

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

آيَاتُ السَّلَامِ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ

مَجْمَعُ الْمَلَايِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الواحد والاربعون بعد المائتين

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أساذلفة والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شئ الذي له ملك السموات والأرض وجعل كرسيه يحيط بها ، وتفضل وجعل الكرسي بالنسبة للعرش كالحلقة في فلاة .

إذ ورد عن أبي أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكرسي فقال : يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة^(١).

ليدرك الإنسان ضعفه وقصر عمره ، وحاجته إلى رحمة الله عز وجل . ومن معاني قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّأُولَهَا بَنَى النَّاسُ﴾^(٢)، توالي أجيال الناس مع بقاء أنظمة الكون وتعاقب الليل والنهار ، وتقلب الناس في رحاب وفضاء ساعاتهما .

ومن معاني قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٣)، أن الله عز وجل يجعل الإنسان يدرك هذه الحقيقة وأن آباءه وأجداده غادروا الدنيا ، وذات الجديدان يتعاقبان عليها ، وهو أيضاً وأولاده سيغادرونها ويفارقون النظام الكوني البديع إلى عالم الخلود ، وعالم الحساب بلا عمل الذي نرجو فيه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويحتمل موضوع وأوان هذه الشفاعة وجوهاً : منها في عرصات يوم القيامة ، وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام (قال : قال النبي صلى

(١) الدر المنثور ٢/١٦١.

(٢) سورة آل عمران ١٤٠.

(٣) سورة السجدة ٩.

الله عليه وآله وسلم : إذا كان يوم القيامة مدّ الأرض مدّ الأديم (بالعكاظي) حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فأكون أنا أول من يدعى وجبرئيل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها.
وأقول : يارب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ فيقول الله تعالى : صدق.

ثمّ أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال : وهو المقام المحمود^(١).

ومنها على الصراط ، بل ومنها في الدنيا وعالم البرزخ والله واسع كريم .

ولا تختص الشفاعة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شافعاً بل يشفع الأنبياء والصالحون ، وأهل المعروف والتقوى ، ويشفع القرآن بل السورة الواحدة من القرآن و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك الذي بيده الملك.

فلما وضع في حفرة أتاها الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره شقاقك ، وإنني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضرراً ولا نفعاً ، فإن أردت هذا به فانطلقني إلى الربّ فاشفعني له ، فانطلقت إلى الرب.

فتقول : يا رب إن فلاناً عمداً إليّ من بين كتابك فتعلمني وتلاني ، أفمحرقه أنت بالنار ومعذبه وأنا في جوفه؟ فإن كنت فاعلاً به فامحني من كتابك.

فيقول : ألا أراك غضبت فتقول : وحق لي أن أغضب ، فيقول : اذهبي فقد وهبته لك ، وشفعتك فيه.

فتجيء سورة الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه شيء فتجيء فتضع فاهها على فيه ، فتقول : مرحباً بهذا الفم فرمياً تلاني ، وتقول : مرحباً بهذا الصدر فرمياً وعاني ، ومرحباً بهاتين القدمين فرمياً قامتاً بي ، وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه) (١).

الحمد لله الذي أبى إلا أن تكون نعمه على كل إنسان كثيرة ، ومتصلة ولا متناهية ، ويعجز الإنسان عن إحصائها ، ومع تجليات علم الأبدان والاجتماع والفضاء يدرك الناس عظيم فضل الله عز وجل عليهم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢). ومن الآيات إرتقاء علم التفسير معها كما في هذا السفر المبارك

ترى ما هي النسبة المنطقية بين فضل الله وبين الأجر بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

المختار هو العموم والخصوص المطلق ، ففضل الله أعم ويشمل الناشئين ، ومن فضله تعالى بعثة الأنبياء ونزول الكتب السماوية التي تدعو إلى الوحدانية ، وتثبّت معالم الإيمان في الأرض ، وجعلها مصدر أنوار قدسية تشع على النفوس ، وتخترق شغاف القلوب لتعاهد الأجيال المتعاقبة عبادة الله عز وجل والنفرة من الشرك ومفاهيم الضلالة .

الحمد لله الذي جعل حبل النعم ممدوداً ومتصلاً ، وهو في زيادة طولية وعرضية لا يعلمها ولا يقدر عليها إلا الله عز وجل الذي له المشيئة المطلقة في السموات والأرض ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

(١) الدر المنثور ١٠/٦٢.

(٢) سورة الحديد ٢١.

(٣) سورة التوبة ٢٢.

(٤) سورة هود ٤.

الحمد لله على آلائه وعلى عطائه ، ووفرة رزقه ، ودوام حلمه ، وقرب رحمته من كل فرد من الناس في كل لحظة وساعة من ساعات الدنيا ، لا تخفى عليه خافية ، والقاهر لكل شئ الملك الذي تفضل وجعل الإطلاق والعموم في ملكه رافة بالناس .

الحمد لله ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ﴾^(١) الذي تفضل وجعل من أسمائه السلام ، وفيه عهد للناس باشاعة الأمن والسلام في الأرض ، وقهر للذين يعكرون صفو السلم ويشعلون الحروب ، ويسفكون الدماء .
والله هو الذي يقطع دابر الفتن ، ويمنع من استدامتها واستطالة أهلها على الناس ، وكل من هذا العهد والقهر والمنع من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وتكرار آيات ملكية الله وقدرته على كل شئ ، ومجئ الاثنين مجتمعين في آية واحدة ، ومتفرقين ، وفيه ثناء من الله عز وجل على نفسه ، وقانون وجوب تعاهد الناس للسلم والأمن في ملك الله ، وقانون وجوب الخشية العامة والخاصة من الله عز وجل ، وكلما ارتقى الإنسان في منازل الحكم والسلطان والقرار العام يجب أن يكون أكثر خشية وتقوى من الله عز وجل .

وقد ورد النداء العام بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^(٣) ثلاث مرات في القرآن^(٤) وكلها بلفظ ربكم ، مع ورود آيات عديدة بلفظ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الحشر ٢٣.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

(٣) سورة النساء ١.

(٤) أنظر سورة النساء ١ ، سورة الحج ١ ، سورة لقمان ٣٣.

(٥) سورة التوبة ١١٩.

الحمد لله الذي أمر العباد بالشكر له والثناء عليه ، والإمتناع عن الجحود بنعمه الظاهرة والباطنة ، وفي التنزيل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١)، وجعل الله عز وجل الشكر ملازماً للعبادة والإقرار بالتوحيد ، وشاهداً عليه قال تعالى ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

ومن أسرار الحياة الدنيا عجز الناس عن الإحاطة بالمنافع الدنيوية والأخروية لقول (الحمد لله) لذا أمر الله عز وجل في ست مواضع من القرآن بالقول به منها ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرٌ تَكْبِيراً﴾^(٣).

الحمد لله في اليسر والعسر ، والسراء والضراء وفي الحياة ، وبعد الممات ، فالله عز وجل وحده القادر على أن يكتب لنا حمداً وأجراً قبل أن نخلق وبعد أن نغادر الحياة الدنيا فضلاً ولطفاً وإحساناً منه تعالى.

الحمد لله الذي جعل القرآن ﴿تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وسبيل هداية ورشاد تفتح به أبواب العلم والأمن والسلامة يدعو الناس كل يوم إلى اللواتم والتأخي في مرضاة الله عز وجل ، ويشرهم بتوالي النعم على الإيمان فليس لخزائن السموات والأرض من نفاذ ، وهي قريبة من الناس ليس من حاجب أو برزخ دونها ، وهو من مصاديق الربوبية المطلقة لله عز وجل ولطفه بالخلائق.

(١) سورة البقرة ١٥٢.

(٢) سورة البقرة ١٧٢.

(٣) سورة الاسراء ١١١.

(٤) سورة النحل ٨٩.

وهل من لطف خاص بالناس في المقام ، الجواب نعم لقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ، فذات منصب الخلافة تشريف عظيم ونعمة سابغة تنبسط على كل إنسان وينهل منها الكبير والصغير ، والذكر والإنثى إلى يوم الدين.

وهل يحضر موضوع الخلافة هذه في الآخرة أم أن القدر المتيقن منه إرادة الحياة الدنيا ، المختار هو الثاني ، فالآخرة عالم حساب ، ولزوم تعاهد وظائف الخلافة فرد منه .

الحمد لله الذي ليس قبله شئ ، والآخر الذي ليس بعده شئ الذي ينفرد بالأزلية والسرمدية والوجود الدائم بصفات الكمال من غير فصل ، وفي التنزيل ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢).

الحمد لله الظاهر الذي ليس فوقه شئ والباطن الذي ليس دونه شئ الذي أحب خلقه فاغدى عليهم النعم. وخص الله الناس بتوالي الفضل والإحسان منه على نحو دفعي وتراكمي ومباشرة وبالواسطة ، وأكرمهم بأن جعل الملائكة والنبوة والتنزيل وسائط بينه وبينهم.

وهل فاز جنس من الخلائق الأخرى بهذه الوسائط ، المختار لا ، وإن كانت نعم الله عظيمة على كل جنس وفرد من الخلائق ، لبيان عظيم فضل الله عز وجل على الناس ، وإقامته الحجة عليهم في لزوم تعاهد سنن العبادة ، ونبد الإقتتال والحروب بينهم ، وفي التنزيل ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣).

الحمد لله الذي أبى إلا نصر الأنبياء ولم يقع هذا النصر بالسيف ونحوه من آلة الحرب إنما نصرهم بالمعجزة والبرهان الذي يدل على صدق بعثتهم من عند الله عز وجل.

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٢٥٥.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

فلا بد أن يكون السلم شعارهم ، وهو الذي تجلّى في نبوة محمد ، والشواهد العملية اليومية على دعوته إلى الله عز وجل بالحكمة والدليل والمعجزة ، ومن مصاديق السلم في دعوته مواجهته لاعتى جيوش العرب آنذاك بآيات القرآن ، ونداء (قولوا لا إله إلا الله فتلحقوا)^(١).

ولم يرد هذا النداء كاملاً في آية قرآنية ولكنه مستقراً من مضامين آيات متعددة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾^(٢).

ومن المتسالم أن الآية أعلاه محكمة غير منسوخة ، وجاءت بلغة الشرط (إذا) مما يدل على عدم القصد والسعي إلى لقاء المشركين في ميدان القتال ، وإن تم اللقاء كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ اتَّخِذَ الْجَبَّانُ﴾^(٣) فيلزم الثبات. إذا نشبت المعركة أي على نحو القضية الشرطية لإرادة النسبة بين ابتداء المشركين بالقتال وبين لزوم ثبات المؤمنين في الميدان لزجرهم عن الإستمرار في التعدي ، كما ورد في البحث المنطقي^(٤).

فلا بد من الثبات في الميدان وعدم الفرار من المشركين . لتثبيت أركان وسنن الإيمان في الأرض ، ومنع المشركين من تكرار غزوهم للمدينة ، وإصرارهم على القتال ومحاولات اغتيال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والفتك بالصحابة ، رجالاً ونساءً.

وأخبرت الآية عن الفلاح والفوز والعز بهذا الثبات ، وهناك مسائل :
الأولى : هل ينحصر الفلاح بخصوص ميدان المعركة أم يشمل الحياة الدنيا أو الآخرة أم يشملهما معاً ، المختار هو الأخير .
الثانية : هل الثبات في الميدان من السلم .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٢/٥ .

(٢) سورة الأنفال ٤٥.

(٣) سورة آل عمران ١٦٦.

(٤) انظر ص ٥١.

الثالثة : دلالة الآية على عدم الهجوم والغزو .

الحمد لله العلي العظيم المتعال الذي قهر الخلائق بسلطانه وجبروته ، والذي يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، والذي يعلم عدد ذرات الرمال ، وأراد الله سبحانه للناس أن يكون حمدهم وشكرهم له أكثر من هذه الذرات ، وهي شبه ثابتة في عددها أما الحمد لله عز وجل فهو متجدد ويزداد كثرة على تقادم الأيام وهو من مصاديق وجوب تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن سبع عشرة مرة في اليوم واللييلة.

والنسبة بين قراءة القرآن وقول الحمد لله عموم وخصوص مطلق .
ونسأل الله عز وجل أن يجعل تلاوتنا لكل حرف من القرآن حمداً مضاعفاً له سبحانه ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾^(١).

بتقريب أن قول الحمد لله حسنة ، ولم تقل الآية من جاء بالإحسان أو فعله لأن الإحسان نوع مفاعلة بين المحسن والمحسن إليه وهناك مادة وموضوع للإحسان ، أما الحسنة فهي مفردة مستقلة وبينها وبين الإحسان عموم وخصوص مطلق .

وهل تعاهد السلم بين الناس من الحسنة أم الإحسان ، الجواب إنه منهما معاً وهو إحسان من وجوه :

الأول : السعي في السلم إحسان للذات .

الثاني : إنه إحسان للغير ، القريب والبعيد .

الثالث : فيه إحسان للأجيال اللاحقة ، إذ تتقوم الحياة الدنيا وسعة الرزق فيها بالسلم والإستقامة .

الرابع : السلم مناسبة موضوعية للتدبر في آيات الله ، ومعجزات الأنبياء ، وتعاهد لمفاهيم الرحمة بين الناس .

وهذا هو الجزء الواحد والأربعون بعد المائتين من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) في آية علمية مستحدثة في التاريخ ، ومن فضل الله عز وجل أني أقوم بالكتابة والتأليف والمراجعة والتصحيح لكتبي في التفسير والفقه والأصول وعلم الكلام بمفردي .

الحمد لله عدد ما في السموات والأرض وما بينهما من الأجناس والأفراد والذرات .

الحمد لله عدد ما خلق ويخلق ، وأيهما أكثر ما خلقه الله من السموات والأرض وما بينهما أم ما سيخلقه الله عز وجل من مثلهن وغيره في قادم الأحقاب والدهور ، وأفراد الزمان الطولية غير المتناهية.

فالموجود الآن سبع سماوات ، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَكَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(١) فهل يخلق الله عز وجل سماء أو سموات أخرى مثل السبعة أو أكثر منها ، المختار نعم .

قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٢) وهل التوسعة أعلاه في ذات السماء أم في السماء وغيرها مما خلق الله وما سيخلق ، المختار هو الثاني لأصالة الإطلاق ، ولعظيم فضل الله عز وجل .

وجاء قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ على نحو التنكير لإفادة الكثرة وتوالي التوسعة والزيادة ، ويدل قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٣) ، على خلق

(١) سورة نوح ١٥.

(٢) سورة الذاريات ٤٧.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٤.

غيرها أعظم منها سواء ما هو موجود قبل طيها أو بعد ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

الحمد لله عدد ما أحصى ، وعدد ما أحصى كتابه ، والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق ، فقد اختص الله عز وجل بإحصاء كل شيء ، ولا تعلم الخلائق هذا الإحصاء ، ولا تقدر عليه لأن موضوع وأفراد هذا الإحصاء لا يعلمها إلا الله عز وجل ، ولو اجتمع الإنس والجن على إحصاء شطر منها لعجزوا من جهة الكم والكيف والعلم والإستحضار ، وفي التنزيل ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَىٰ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾^(٢).

الحمد لله الذي جعل اسم (السلام) من أسمائه الحسنی ليكون دعوة للخلفاء في الأرض وعامة الناس لتعاهد السلام والمواذعة والتراحم بينهم. وقد حمل الأنبياء هذه الدعوة نقلاً وتبليغاً وصبراً بعظيم منافع إشاعة السلم في الأرض ، وتجلت مناهج السلم النبوي وخلودها بسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية والقرآنية والدفاعية والتدوينية التي هي مرآة وترجمان للقرآن ، والإنذار من ضد السلام الخاص والنوعي وأسباب الكدورة وإثارة الضغائن بين الناس .

ولقد أنزل الله عز وجل القرآن وجعله كتاب السلام والداعي إلى السلم المجتمعي والتآخي والأمن العام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة النمل ٦٥.

ومن إعجاز القرآن بيانه الملازمة بين الإيمان والحفاظ على السلم المجتمعي والعام ، وإخباره عن عصمة آيات السلم من النسخ وإن ادعي نسخ آية السيف لمائة وأربع وعشرين آية من آيات السلم والصلح والموادعة.

وقد صدرت والحمد لله الأجزاء (٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢١٠-٢١١-٢٣١-٢٤٠-٢٤١) من هذا السفر المبارك بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة).

ومن خصائص هذا السفر (معالم الإيمان في تفسير القرآن) تضمنه لآلاف القوانين المستحدثة المستنبطة والمستقرأة من آيات القرآن ، ولا زلت في تفسير سورة آل عمران ، قال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

والمساهمة في تنضيد وطبع وترجمة ونشر هذا السفر من الخمس والزكاة والحقوق الشرعية مبرئة للذمة ، وفيها النماء والبركة ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١).

حرر في التاسع من شهر ربيع الأول ١٤٤٤

٦ تشرين أول ٢٠٢٢

سنة النبي (ص) القرآنية

هل يستقرأ من قراءة عامة في سنة النبي محمد قانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) الجواب نعم ، وهو من الشواهد على أن السنة النبوية ترجمان للقرآن وأن تفسيرها له لا ينحصر بتفسير قول أو فعل للنبي لآية مخصوصة بل السنة النبوية مجتمعة تفسر الآية القرآنية ، وتبين القوانين العامة في القرآن وتمنع من اختلاف المسلمين.

وهذا علم جديد تقف عنده بأن تفسير السنة النبوية للقرآن أعم من أن ينحصر بالحديث مقابل الآية القرآنية بل يأتي الحديث النبوي بما تستقرأ دلالاته من أكثر من آية قرآنية ، كما أن الآية القرآنية الواحدة تكون شاهداً على صدق عدة أحاديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشرط أن لا تكون دراسة هذا التفسير العام إجتهاداً في مقابل النص ، إنما هو عون ومدد في بيان معاني اللفظ القرآني ، ومناهج العقيدة وذخائر بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للآية القرآنية ، ودلالات الأمر والنهي في القرآن.

ومن السنة القرآنية التي نقترحها ونؤسس لها علماً أمور :

الأول : تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن^(١) ، وصحيح أن هذا التفسير من المعنى الأعم للسنة القولية إلا أنه لا يمنع من إتخاذه علماً مستقلاً ، وقسماً للسنة القولية والفعلية والتقريرية ، مع بقاء ذات التفسير في السنة القولية فليس من تعارض بينهما .

(١) قد صدر لنا جزءان في تفسير النبي (ص) للقرآن قبل ثلاثين سنة ومسجلان في دار الكتب والوثائق في بغداد.

الثاني : دلالة فعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مضامين آيات القرآن ، فيمكن القول بقانون كل فعل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم له أصل في القرآن .

الثالث : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن في الصلاة وخارجها ، وهذه التلاوة لم تدخل في السنة القولية ، فهي قسيم لها ، ويجوز معها تأسيس علم السنة القرآنية .

الرابع : نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيفية تلقيه له .

الخامس : بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثواب في تلاوة السورة القرآنية ، وقانون شفاعة السورة لصاحبها يوم القيامة .

السادس : إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولي والفعل للقرآن وسوره .

السابع : قانون تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت والصحابة آيات وسور القرآن والترغيب بحفظها .

الثامن : تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم الموضوعي لآيات القرآن

التاسع : قانون اقتباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأحكام من آيات القرآن مع الشواهد ، وتارة يبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصل الإقتباس وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١) ، ليكون منهاجاً للعلماء للتحقيق في استنباطها الأحكام من أدلتها التفصيلية ، وأخرى يستقرأ بعلم الدلالة والإستقراء .

ومن معاني السنة القرآنية سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بتنزيل القرآن وعلومه .

العاشر: الصدور عن السنة النبوية في الأحكام التكليفية الخمس لأنها المصدر الثاني للتشريع ، و(عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندري . . . ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)^(١).

الحادي عشر: النسبة بين الوحي والقرآن هي العموم والخصوص المطلق ، فكل قرآن هو وحي وليس العكس ، ومن الوحي السنة النبوية القولية والفعلية ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

ولو دار الأمر بين نطق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المباحات برأيه واجتهاده وبين نطقه بها بالوحي فالمختار هو الثاني ، وقد يرد كلام أو حدث نادر يظن معه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتهد برأيه كما في حديث تأبير قوم من أهل المدينة لنخلهم.

و(عن أنس قال سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصَوَاتًا فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يَلْقَحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ لَوْ تَرَكَوهُ فَلَمْ يَلْقَحُوهُ لَصَلَحَ فَتَرَكَوهُ فَلَمْ يَلْقَحُوهُ فَخَرَجَ شَيْصًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ قَالُوا تَرَكَوهُ لِمَا قُلْتَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ)^(٣).

ولكن تلقيح النخل اليدوي أمر معروف عند أهل الجزيرة عامة ، ومتوارث عند أهل المدينة خاصة ، وقد يلحق بالهواء والريح السطحية

(١) الدر المنثور ٣٠٩/٢.

(٢) سورة النجم ٤-٣.

(٣) مسند أحمد ١٣٢/٢٥.

الهادئة خاصة النخل المتقارب ، قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾^(١)، ولعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد بيان العمل بالأسباب والعلل. على فرض صحة سند وموضوع الحديث فانه يحتمل بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لموضوعية القواعد الثابتة في الزراعة ونحوها ، وامكان تلقيحه بالريح ، والأرجح مجئ يوم يحمل فيه النخل من غير تلقيح.

ومقامات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وهي :
الأول : العبودية لله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم (فإن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً)^(٢).

ومع كثرة آيات العبودية لله عز وجل بصيغة الجملة الأسمية والفعلية والشرطية فلم يرد لفظ (عبد الله) في القرآن إلا مرتين إحداهما في عيسى عليه السلام نطق بها وهو في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٣)، والأخرى في النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(٤)، أي أعواناً .

لتكون هذه الآية من آيات السلم المحكمة إذ تتضمن قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله تناجى المشركون ضده ، وقاموا بايذائه وأهل بيته وأصحابه وقابلهم بالصبر واستدامة التبليغ ، وكان هذا الأذى مقدمة لقتالهم له ، كما وردت آيات بخصوص عبودية النبي محمد لله عز وجل منها ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي

(١) سورة الحجر ٢٢.

(٢) المستدرک على الصحيحین ١٤٢/١١ .

(٣) سورة مريم ٣٠.

(٤) سورة الجن ١٩.

يُنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١﴾، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢﴾.

وعن الكلبي أن الإمام الصادق عليه السلام قال له : كم لحمد اسم في القرآن ، أي أن الإمام هو الذي يبادر بالسؤال ، ولا ينتظر من يسأله مما يدل على موضوعية الأمر واقتباس المسائل منه.

قال الكلبي (اسمان أو ثلاث، فقال: يا كلبي له عشرة أسماء ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿٣﴾، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ﴿٤﴾، ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ﴿٥﴾، ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٦﴾، ﴿يس﴾ * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧﴾،

و ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٨﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ ﴿٩﴾، و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿١٠﴾، و ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ * رَسُولًا ﴿١١﴾،

(١) سورة العلق ٩.

(٢) سورة الاسراء ١.

(٣) سورة آل عمران ١٤٤.

(٤) سورة الصف ٦.

(٥) سورة الجن ١٩.

(٦) سورة طه ١-٢.

(٧) سورة يس ١-٤.

(٨) سورة ن ١-٢.

(٩) سورة المزمل ١.

رَسُولًا^(٢)، فالذكر اسم من أسماء محمد صلى الله عليه واله ونحن أهل الذكر، فسل يا كلبى عما بدا لك، قال: فأنسيت والله القرآن كله فما حفظت منه حرفاً أسأله عنه^(٣).

والكلبي هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (١١٠-٢٠٤). وكان الإمام يكرمه ويجلسه إلى جانبه، إذا دخل عليه ويتحدث معه بانبطاط، وقد روي عنه وعن أبيه وممن روى عنه الطبري في تأريخه^(٤).

وهل من صلة بين تسمية كل من عيسى عليه السلام والنبي محمد (عبد الله) في القرآن وبين بشارة عيسى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَبَشِّرِ رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٥)، الجواب نعم.

ليان سمو مرتبة الرسالة على النبوة ولزوم أخذ الناس أحكام التنزيل منه والانتقاء المناسب من سنته.

الثاني : مقام البشرية، وأنه كسائر البشر من جهة الخلقة والتكليف وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٦).

(١) سورة المدثر ١.

(٢) سورة الطلاق ١٠-١١.

(٣) البحار ١٦/١٠١.

(٤) أنظر تأريخ الرسل والملوك ١١٩/١.

(٥) سورة الصف ٦.

(٦) سورة الكهف ١١٠.

فلم تقل الآية (بشر كمثلكم) لبيان التشبيه واحتمال إنفراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص في الخلقة ، وإن كانت المثلثة لا تمتنع من الخصوصية .

الثالث : مقام النبوة والوحي والعصمة من النسيان .

الرابع : مقام الرسالة والتبليغ قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

الخامس : مقام الإمامة في الإيمان والإنقطاع إلى الله ، والرياسة العامة للناس ، قال تعالى ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ، وقد نال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا المقام السامي بلطف من عند الله ، وهو من مصاديق الإطلاق والعموم في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ويبدأ هذا الجزء وهو (٢٤١) بتأسيس علوم مستحدثة وهي :

الأول : السنة القرآنية .

الثاني : السنة التدوينية.

(١) سورة الفتح ٢٩.

(٢) سورة البقرة ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

الثالث : السنة الدفاعية .

مع صلة كل منها بخصوص آيات السلم ودلالة السنة النبوية على عدم نسخها .

وجرى التحقيق في آيات الأحكام وإحصائها وهل هي خمسمائة آية أو أكثر أو أقل ، ونقترح هنا (علم إحصاء آيات السنة النبوية) وهذا علم جديد رابع نبينه هنا .

وسيرد التفصيل في الجزء التالي من التفسير وهو الثاني والأربعون بعد المائتين لبيان دلالة السنة النبوية على القوانين العامة التي وردت بخصوصها.

أجزاء من هذا السفر وهي :

الأول : قانون لم يغز النبي (ص) أحدا .

الثاني : قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة .

الثالث : قانون التضاد بين القرآن والإرهاب .

الرابع : قانون النزاع المسلح بين القرآن والإرهاب .

الخامس : قانون آيات الدفاع سلام دائم .

وقد صدرت بخصوص كل قانون من القوانين أعلاه عدة أجزاء من هذا التفسير .

ولا بأس بتأليف مجلد أو رسالة دكتوراه أو هما معاً بخصوص :

الأول : آيات العبودية لله في القرآن .

الثاني : آيات عبودية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لله عز وجل ، ودلالاتها ، وإفاضات إجتماع العبودية مع مرتبة الرسالة ، ومنها بيان صدق نبوة محمد والزجر عن الغلو فيه ، ومن باب الأولوية القطعية المنع من الغلو بأهل البيت عليهم السلام والصحابة والأولياء .

ومن منافعها اقتداء أهل الملل الأخرى بالمسلمين باجتئاب الغلو بالأنبياء والرؤساء ، كما أنها أزاحت وإلى الأبد إدعاء بعض الطواغيت الربوبية ، كدعوى فرعون ونمرود.

الثالث : السنة النبوية القرآنية .

الرابع : آيات الإحتجاج والجدال في القرآن ودلالاتها
على السلم ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ
اتَّبَعَنِي﴾^(١).

السنة التدوينية^(٢)

هذا مصطلح مستحدث في هذا السفر إذ يتوارث العلماء
ذكر السنة القولية والفعلية والتقريرية للنبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم ، وقد أسست واستحدثت في هذا التفسير
المبارك أقساماً للسنة منها السنة الدفاعية والتدوينية ، وهي
كتب ورسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك
والأمراء ، ومنهم ملك فارس والروم واليمن والحبشة ،
وكتبه إلى عماله في الأمصار ، والكتب الخاصة للأشخاص
والفتاوى والعطايا .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
الفصل العام بين آيات القرآن ورسائل وكتب النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ويتعلق هذا الفصل بوجوه منها التباين
في اللغة والصيغة بين القرآن والسنة وارتقاء القرآن مراتب ،
وتلقي المسلمين لآيات القرآن بالتلاوة حال نزولها من عند
الله ، والعناية الفائقة بها على نحو العموم الإفرادي
والإستغراقي والمجموعي ، وكتابتهم لآيات القرآن بما تيسر
آنذاك من الأدوات والوسائل ، إلى جانب جمعه في صدور
أهل البيت والصحابة فيكتبون بالعصب ، جمع عسيب وهو

(١) سورة آل عمران ٢٠ .

(٢) سورة .

جريد النخل يكشطون منه الخوص ، ويكتبون في الطرف العريض .

ومع أنها بدائية إلا أنها تفيد الثبات كما يكتبون القرآن بالرقاع وهي القطع من الجلد أو القماش أو الورق ، والأكتاف ، والعظام الملائمة للكتابة.

والأقتاب وهي قطع الخشب الصغيرة كالتي توضع على البعير. والخاف وهي الحجارة ، لبيان معجزة أخرى وهي أن القرآن مكتوب عند عدد غير قليل من الصحابة .

وفيه شاهد على تقديس المسلمين لكلام الله وحرصهم البالغ على حفظ آياته وتوثيقها وتلاوتها وهذا الحرص العام من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية.

ويدل اجتهاد المسلمين بكتابة آيات القرآن على حرصهم على السلم وانشغالهم عن القتال ومقدماته ، وعلى سلامة آيات السلم من النسخ.

السنة الدفاعية

مصطلح جديد المراد منه سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : مقدمات القتال والدفاع .

الثاني : السنة النبوية في ميدان القتال ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي بين الصفين (قولوا لا إله الله تفلحوا).

ليان أن هذا الفرد من السنة يشمل أفراداً من السنة القولية والفعلية والتقريرية والتدوينية الخاصة بالحرب والدفاع .

الثالث : توصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عند خروجهم بالسرايا بنشر شآبيب الرحمة إذ كان (يُوصِيهِمْ بِتَقْوَى

اللَّهُ وَيَقُولُ سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَغْدُرُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا^(١) .

وكان ينهى عن قتل النساء والولدان والشيخ الكبير ، وأصحاب الصوامع ، وعدم ذبح شاة أو بقرة إلا للأكل وعدم قطع نخل أو شجرة مثمرة .

و(عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا عبد الله هل تدري كيف حكم الله سبحانه فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال : الله ورسوله أعلم .

قال : لا يجهز على جريحها ، ولا يقتل أسيرها ، ولا يطلب هاربها)^(٢) .

الثالث : لبس النبي للدروع والخوذة ، وتقلده لل سيف ، وحمله الرمح والقوس العربية ، (وكان يتترس بالترس وكان يحب الخيلاء في الحرب ، وقال إن منها ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله .
فأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة .

وأما التي يبغض الله عز وجل فاختياله في البغي والفخر وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف . وكان ينهى عن قتل النساء والولدان)^(٣) .

الرابع : دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسلم
ونبذ القتال وسط الميدان ، من غير تعارض بين هذه الدعوة ، وبين مناداته بكلمة التوحيد .

(١) زاد المعاد ٩٠/٣ .

(٢) الثعلبي/الكشف والبيان ٢٦٥/١٢ .

(٣) زاد المعاد ٩٠/٣ .

وهل كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ القرآن وسط لمعان السيوف لسمع الكفار آيات البشارة والإنذار ، والوعد والوعيد ، وذخائر التنزيل والإعجاز في كلام الله عز وجل الجواب نعم .

وفيه حجة على الذين كفروا ، ودعوة قهرية لهم للرجوع إلى أهليهم بآيات القرآن ، ليتوجه اللوم العام لهم على محاربتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل .

ولتكون كل معركة من معارك الإسلام الأولى سبباً لتفكيك جيوش العدو ، وتخلي الأتباع عن رؤساء الضلالة من قريش حتى اضطروا للحوار وعقد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة النبوية ، لينزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١) وهناك مسألتان:

الأولى : هل كانت قريش تعلم أن صلح الحديبية سيكون فتحاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل إبرامه .

الثانية : هل صلح الحديبية من السنة الدفاعية .

أما المسألة الأولى فالمختار نعم ، إذ كانت قريش تشن الهجوم ، عقب الهجوم ، والغزو بعد الغزو على المدينة وأطرافها ، وسروح أهلها ، بينما يكون الصلح دفعاً قهرياً لهذه الغزوات ، فاضطروا إليه اضطراباً وادركوا عدم النفع من هذه الغزوات وأظهرها معركة بدر ، وأحد ، والخندق.

ليكون هذا الإدراك من الخيبة في قوله تعالى ﴿لَيُتَقَطَّعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الفتح ١ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٧ .

ويكون انقلاب مشرقي قريش خائبين من معركة أحد مقدمة لصلح الحديبية من غير أن يضر به تجهيزهم عشرة آلاف مقاتل في معركة الأحزاب ، خاصة وأن رجوعهم من معركة الخندق بالخيبة أيضاً معجزة من عند الله عز وجل جعلت الخزي مصاحباً لهم قال تعالى بخصوص معركة الخندق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١).

وأما المسألة الثانية ، فالجواب نعم صلح الحديبية أبهى مصاديق السنة الدفاعية ، وهو فرع لها ، ولم يقع إلا بعد أن صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في ميادين القتال والدفاع ، وأصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه بالجراحات الشديدة .

وسقط منهم أربعة عشر شهيداً في معركة بدر ، وسبعون في معركة أحد ونزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

وبعد أن لاقى المشركون الخيبة والخزي في غزوهم المتكرر للمدينة ، وأدرك عامة العرب عجزهم عن قهر النبوة ومواجهة التنزيل .

وتدخل في السنة الدفاعية أفعال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان القتال وبعد إنتهاء المعركة ، وحرصه على وجوب تعاهد المسلمين تقوى الله عز وجل ، وأداء الصلاة .

قانون السنة الدفاعية مقدمة للمسلم

(١) سورة الأحزاب ٩.

(٢) سورة البقرة ١٥٤.

إن إستحداث علم جديد اسمه (السنة الدفاعية) في هذا السفر دعوة لدراسات أكاديمية وتأليف مجلدات خاصة بالسنة الدفاعية ، لتجلى البراهين على صبغة السلم التي تتصف بها السنة النبوية حتى في حال الدفاع والإضطراب إليه ، إذ تضمنت آيات القرآن حصر قتال المسلمين بالذين يقاتلونهم مع الكف والإمتناع عن القتال حالما يكف المشركون عنه ، قال تعالى ﴿فَإِذَا غَرَضْتُمْ فَلَئِنْ قَاتَلْتُمُ الْمُشْرِكِينَ فَقَاتِلُوا إِنَّكُمُ السَّلَامُونَ﴾ (١).

ترى ما هي الصلة بين قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة وبين السنة الدفاعية ، الجواب هو الإتحاد والتداخل وتأكيد أحدهما للآخر وبعضهما لبعض .

وبين السنة الدفاعية والسلم عموم وخصوص من وجه ، فالسنة الدفاعية مقدمة للسلم.

ولم يتقلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيف إلا للضرورة ، فعندما صار ثلاثة آلاف من جيش المشركين على بعد (٤) كم من المسجد النبوي لبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامة القتال ، ويدل عليه خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بيته في قوله تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه ذكر السنة النبوية في مقامات الدفاع وحسن امتثال الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج للدفاع واتخاذ مواقعهم حيث أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تذكر الآية تقلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة النساء ٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢١.

للسيف ولبس الدروع ، ولكنه ظاهر ومستقراً من الآية أعلاه وأخبار السنة النبوية.

ولم تذكر الآية تخلي الرماة عن مواقعهم ، هذا التخلي الذي صار سبباً لخسارة فادحة عند المسلمين من غير أن يخسروا المعركة أو ينهزموا من الميدان باستثناء عدد منهم ، ومن الصلة بين السنة الدفاعية والسلم في المقام أمور :

الأول : إنشغال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بأداء الفرائض العبادية وتلاوة آيات القرآن ، والدعوة إلى الله إلى أن صارت جيوش المشركين على مشارف المدينة.

الثاني : عدم خوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جيوش المشركين ، والتي هي أضعاف عدد المسلمين ، وقد قدموا رسائل التهديد بالإبادة العامة للمسلمين ، وهل عدم الخوف هذا من عمومات قوله تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(١) ، الجواب نعم .

الثالث : انتهت معركة أحد في اليوم الذي إبتدأت فيه وقصر مدتها معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الشواهد على نزول الملائكة ، وحمل المشركين على الانسحاب من ميدان المعركة .

الرابع : ما أن انتهت المعركة حتى رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى الذكر والعبادة ، وهو من الشواهد على

ثبوت سنن السلم في حياتهم اليومية ، ومن مفاهيم قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . .﴾^(١).

قانون المنافع المتجددة للسنّة الدفاعية

من منافع تخصيص علم مستحدث للسنّة الدفاعية رصد واحصاء معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميادين القتال بأن تؤخذ كل معركة مثل بدر ، وأحد ، والخندق على نحو مستقل ، ودراسة معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها.

وهذه الدراسة باب مفتوح ومتجدد للعلماء في الأزمنة اللاحقة ، ويتقوم هذا العلم ومنافعه من وجوه :

الأول : تفسير وتأويل آيات الدفاع والقتال ، والآيات الأخرى ، واقتباس مصاديق سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الدفاعية منها .

الثاني : أسباب وموضوع نزول الآيات .

الثالث : السنّة النبوية القولية والفعلية ، والنسبة بين السنّة والسنّة الدفاعية عموم وخصوص مطلق ، فالسنّة أعم ، والسنّة الدفاعية فرع منها ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

الرابع : إخبار الآية القرآنية والصحابة والتابعين عن وقائع الإسلام الأولى وصبر وحكمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة الحشر ٧.

الخامس : شواهد الميدان ، ولو ورد خبر عن معارك الإسلام عن كفار قریش قبل إسلامهم ، أو من مهمات عمل الكفر ، فهل يمكن الإستدلال به ، ام لا حجة لخبر الفاسق .

الجواب يؤخذ به مع القرائن على صحته من جهة موافقته لمناهج وإعجاز القرآن والسنة والوقائع ، قال تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١).

ومن منافع السنة النبوية أنها دروس نبوية للصحابة والتابعين وأجيال المسلمين والناس جميعاً في السلم ، والإمتناع عن الغزو والإبتداء بالقتال .

ومن مصاديق السنة الدفاعية أنها بقدر صرف العدو ، ودفعه عن المدينة وأطرافها وسروحها ، وكان في المدينة الصحابة من المهاجرين والأنصار واليهود فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدافع عنهم جميعاً.

علم التاريخ في القرآن

لقد جعل الله عز وجل باب العلوم والتحصيل مفتوحاً إلى يوم القيامة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) ، وتدل الآية أعلاه على اللطف الإلهي من وجوه :

الأول : تقريب الناس من الكسب العلمي .

الثاني : إزاحة العوائق دون التحصيل والكسب العلمي .

الثالث : تهئية مقدمات اكتساب العلوم .

(١) سورة الحجرات ٦.

(٢) سورة العلق ٥.

الرابع : إنتفاع عامة الناس من العلوم المستقرأة ، فمن بديع صنع الله في الدنيا عجز أرباب العلم والسلطان عن حصره بطائفة من الناس .

وقد اشتغل بعضهم بمسألة وهي هل التأريخ فن أو أدب أو علم أي هل تختلط فيه الحقائق والأساطير ، وأن المؤرخ يسيح في الخيال ، ويستخدم مواهبه في السرد القصصي الذي هو فن ونوع من أنواع الأدب ، أم أن التأريخ علم من العلوم الإنسانية ، والمختار هو الثاني ، وتخرج منه الأساطير والخرافات ونحوها .

ومن إعجاز القرآن بيانه لعلم التأريخ ، وأنه مدرسة لأجيال ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

ومن إعجاز وجعل المادة التاريخية المتحدة مصدراً للعلوم التفصيلية وذكره لوقائع متعددة من حين خلق آدم في الجنة وقصص الأنبياء والملوك والطواغيت والأمم مما يجعل كل فريدة منها مادة لتحصيل العلوم واستقراء المسائل ، واستنباط القوانين .

وهل كان حج آدم عليه السلام البيت توطئة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم .

سأل شامي الإمام علي عليه السلام (كم حج آدم من حجة ، فقال له: سبعين حجة ماشياً على قدميه ، وأول حجة حجها كان معه الصرد يدلّه على مواضع الماء وخرج معه من الجنة ، وقد نهى عن أكل الصرد والخطاف)^(٢).

ومن إعجاز القرآن ترشح القواعد والأحكام عن أخباره وإنتفاع الأجيال منها ، واقتباس العلوم في كل جيل من مدرسة التأريخ في القرآن .

(١) سورة يوسف ١١١ .

(٢) البحار ٢٨٢/٦١ .

ولم يكتف القرآن بسرد القصة والخبر بل جعل للتأريخ منهاجاً وأصولاً وقواعد ، وجاءت السنة النبوية للتحليل والتفصيل ، وبيان علل الوقائع ، وآثارها في النشاطين ، فمن خصائص مدرسة التأريخ في القرآن ربط الوقائع والأحداث بالعواقب .

وذات القرآن له تأريخ في بدايات نزوله وفي جمعه ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والأحداث التي ترشحت وتفرعت من نزول الآية القرآنية .

وتمتاز القصة القرآنية بأنها وحي من عند الله ، وهو من فضل الله سبحانه على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والناس جميعاً .

وقد أخبر الله عز وجل عن قانون الوحي في القصة القرآنية ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قُلُوبِنَا الْغَافِلِينَ ﴾^(١).

ليكون الأدب والسلم والأمن فروعاً للقصة القرآنية ، وأحد منافعها التي لا تحصى ، لقد أراد الله من قصص القرآن بناء أمة مؤمنة متمسكة بالتوحيد ، تعمل بمنهاج الأنبياء ، وتقتضي آثار الصالحين ، وتجتنب القبائح والطغيان والرذائل والغرور ، وفق علم التأريخ الذي أظهره القرآن بجلاء .

النسبة بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار المعجزات المتتالية ، وهو من مصاديق ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ^(١)، وهل تختص المعجزات بالحياة الدنيا وجنس البشر، المختار لا .

وهل يأتي بعض الملائكة على يديه باعجاز خارق للعادة في صفوفهم يراه الملائكة الآخرون فيجتهدون بالتسبيح والتهليل، المختار نعم .

فالإعجاز الملوكوتي العام من مصاديق قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، وقد أنعم الله عز وجل على الأنبياء بالمعجزة فكل نبي يأتي بمعجزة، وبين المعجزة الحسية والعقلية عموم وخصوص من وجه، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق :

ومادة الإلتقاء من وجوه :

الأول : كل من المعجزة الحسية والعقلية أمر خارق للعادة، وخلاف نواميس الطبيعة .

الثاني : تفيد المعجزة التحدي للناس على تباين مداركهم وعلومهم واختلاف مذاهبهم، ويسلمون جميعاً بالعجز عن الإتيان بمثلها.

الثالث : قانون سلامة المعجزة من المعارضة، لتكون من التوحيد النظري والعملية مجتمعين، فلا يستطيع فرد أو جماعة أو أمة الإتيان بمثلها.

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ١١٧.

وفي خصوص القرآن قال تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

الرابع : قانون اختصاص النبوة بالمعجزة ، فلا تأتي المعجزة سواء كانت حسية أو عقلية إلا على أيدي الأنبياء .

الخامس : قانون المعجزة شاهد سماوي على صدق نبوة النبي ، ورسالة الرسول .

السادس : قانون دفع المعجزة الضرر عن النبي وعن أصحابه واتباعه ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(٢) ، وفيه شواهد عديدة في حياة الأنبياء والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، منها نجاة النبي صالح عليه السلام وأصحابه مما أصاب ثموداً .

السابع : قانون المعجزة من عند الله عز وجل ، فلا يقدر ملك مقرب ولا نبي مرسل استحداث معجزة ، نعم تجري المعجزة على يد النبي بفضل من عند الله ، وهل تشارك الملائكة بالمعجزة ، الجواب نعم .

الثامن : المعجزة لطف من عند الله عز وجل ، ولا يختص هذا اللطف بالأنبياء ، إنما هو للناس جميعاً ، وإذا انقطعت المعجزة بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى فهل تنتفع الأجيال اللاحقة للنبوة ومنها جيلنا من المعجزة ، الجواب نعم

(١) سورة الاسراء ٨٨.

(٢) سورة آل عمران ١١١.

، ولا يختص هذا الإنتفاع باتباع النبي صاحب المعجزة لذا وثق القرآن معجزات الأنبياء في القرآن لتكون سبيل هداية للناس جميعاً.

التاسع: قانون مصاحبة المعجزة لأول وجود للإنسان وقبل أن يهبط إلى الأرض إذ كان آدم عليه السلام نبياً رسولاً مكث في الجنة برهة من الزمن هو وحواء ، ومكث آدم وزوجته في الجنة هذا معجزة له.

العاشر: قانون جذب المعجزة الناس للإيمان سواء كانت حسية أو عقلية.

الحادي عشر: المعجزة وسيلة لجذب الناس للإيمان ، وهي لطف ورحمة .

الثاني عشر: قانون المعجزة فرع قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

الثالث عشر: قانون المعجزة إشغال للمشركين بأنفسهم .

الرابع عشر: إظهار النبي لمعجزته ، وعدم كتمانها .

الخامس عشر: كل من المعجزة الحسية والعقلية حجة لله عز وجل على الناس ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

السادس عشر: كل من المعجزة الحسية والعقلية تتوجه إلى الناس جميعاً ، ولا تحجب عن أحد ، وهو من الشواهد على أن

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ١٤٩.

النبوة رحمة عامة ، ويحتمل قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وجوهاً :

الأول : إنه خاص بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : انه يشمل الرسل لأنهم أصحاب شرائع مبتدأة .

الثالث : بعثة كل نبي رحمة للعالمين .

المختار هو الثالث ، ونزل القرآن بتوثيق النبوات رحمة من الله بالناس .

السابع عشر : كل من المعجزة الحسية والعقلية دعوة للمسلم ونشر للأمن والطمأنينة .

الثامن عشر : المعجزة محكمة لا يطرأ عليها النسخ .

التاسع عشر : حضور المعجزة يوم القيامة لتشهد للذين آمنوا وصدقوا بها .

العشرون : الملازمة بين المعجزة والوحي .

الواحد والعشرون : دعوة كل من المعجزة الحسية والعقلية إلى الأخرى .

مادة الإفتراق بين المعجزة الحسية والعقلية

ومادة الإفتراق من وجوه :

الأول : التباين الموضوعي بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية.

الثاني : مخاطب المعجزة الحسية حاسة السمع والبصر ،

وتخاطب المعجزة العقلية العقول والمدارك ، قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدُبُّرِ آيَاتِهِ وَلَيْذَكَرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

الثالث : ترشح المعجزة الحسية عن المعجزة العقلية^(٢).

الرابع : قانون تجدد المعجزة العقلية في كل زمان بينما ينحصر وقوع المعجزة الحسية في أوانها مثل التهام عصا موسى عليه السلام لعصي سحرة فرعون ، ومثل ناقة صالح .

الخامس : قانون كل نبي له معجزة حسية بما فيهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه انفرد بالمعجزة العقلية.

السادس : المعجزات الحسية معدودة أما المعجزات العقلية فانها من اللامتناهي .

السابع : توثيق المعجزة العقلية للمعجزات الحسية وليس العكس ، إذ ذكر القرآن معجزات نوح وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنبياء آخرين عليهم السلام ، ومن مصاديق هذا التوثيق تلاوة المسلمين والمسلمات القرآن كل يوم خمس مرات في اليوم .

الثامن : قانون إنقطاع المعجزة الحسية بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وبقاء المعجزة العقلية إلى يوم القيامة ، وهو من أسرار سلامة القرآن من التحريف والتبديل والنقص والزيادة ، لتكون المعجزة من مصاديق المحفوظ في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٣).

(١) سورة ص ٢٩.

(٢) انظر الجزء الأربعين بعد المائتين ص ٢٢٨ من هذا السفر.

(٣) سورة الحجر ٩.

ومن الآيات أن الأخبار والقصص الواردة في القرآن لا يدخل عليها النسخ .

التاسع : تختص المعجزة الحسية بالذين يرونها أو يسمعون بها لذا سميت حسية ، أما المعجزة العقلية فهي خطاب لكل الناس لذا قال تعالى ﴿لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

العاشر : المعجزة العقلية من اللامتناهي كما وكيفاً وموضوعاً.

الحادي عشر : يمكن تقسيم المعجزة إلى أقسام :

الأول : المعجزة المتحدة التي تأتي مرة واحدة كانشقاق القمر ، قال تعالى ﴿اقْتَرَبَتُ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢) .

الثاني : المعجزة المتتالية .

الثالث : المعجزة المتجددة في جنسها ، المتعددة في موضوعها ، مثل عصا موسى مرة تلقف عصي السحرة ، وأخرى يضرب بها البحر ، وناقة صالح في خروجها من الصخرة ووفرة حليبها أيام ورودها .

النص والظاهر والمجمل

المراد من ظواهر الألفاظ المعاني التي تتبادر إلى الذهن عند سماع الفاظها مع قيد وهو إحراز مطابقة ظاهرها للمراد مثل إجابة أبناء يعقوب له عندما حضره الموت ﴿إِذْ قَالَ لَبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة ص ٢٩ .

(٢) سورة القمر ١ .

(٣) سورة البقرة ١٣٣ .

والنسبة بين هذا العنوان و(حجية ظواهر القرآن) عموم وخصوص مطلق ، فحجية ظواهر القرآن أخص ، وتدخل فيها موضوعية تفسير وبيان النبي للآية القرآنية .

وكذا بيان الصحابة وأهل البيت وعلماء اللغة ، وتستحضر أسباب النزول والصلة بين الآيات ، والوقائع والأحداث المصاحبة لنزول الآيات وقرائن صلتها بها.

وللنص معنى لغوي ، وفقهي ، وأصولي .

أما اللغوي فالنص هو الرفع ، ومنه نص الحديث أي رفعه (ونَصَبْتُ نَاقَتِي: إِذَا رَفَعْتُهَا فِي السَّيْرِ.

وَالْمَاشِطَةُ تَنْصُ الْعُرُوسَ فَتَقْعُدُهَا عَلَى مَنْصَةٍ. وَنَصَبْتُ الشَّيْءَ: حَرَكْتَهُ. وَنَصَبْتُ الرَّجُلَ: إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ. وَنَصُ كُلِّ شَيْءٍ: مُنْتَهَاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحَقَاقِ ، أَي إِذَا بَلَغَتْ غَايَةَ الصِّغَرِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الْكِبَرِ فَالْعَصْبَةُ أُولَى بِهَا مِنَ الْأُمِّ)^(١).

والنص بالإصطلاح الفقهي يطلق على ما دل على الحكم سواء من الكتاب أو السنة، وكانت دلالته نصاً أو ظاهراً أو مؤولاً .

أما في إصطلاح علم الأصول فهو لا يحتمل انصرافه إلى غير ما دل عليه بوجه ، كما يمكن تقسيم النص تقسيماً مستحدثاً إلى قسمين:

الأول : النص في اللغة .

الثاني : النص في القرآن .

وكذا بالنسبة لتقسيم الظاهر والمجمل الذي هو في مقابل النص .

وقد قسم الكلام المفيد إلى ثلاثة أقسام ، وقد قسمتها إلى تسعة أقسام بدل الثلاثة كما سيأتي في هذا الجزء والجزء التالي والحمد لله^(١) ، والثلاثة هي :

الأول : النص ، وهو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِكِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٢) ، ومثل ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(٣) ومثل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٤) فشهر رمضان المدة المحصورة بين هلال شهر رمضان وهلال شهر شوال ، ويفيد النص القطع ، ولا يعدل عنه إلا بوجود ناسخ له .

ولو تردد الأمر بين أمرين :

الأول : الآية منسوخة .

الثاني : الآية غير منسوخة .

فالصحيح هو الثاني .

وعندنا حوادث غير متناهية وأخبار قرآنية متناهية ، ويحيط القرآن باللامتناهي من الحوادث .

ويدل قوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥) ، على وجوب الرجوع إلى القرآن عند إختيار قول أو فتوى ، إذ تنفي هذه الآية انسداد باب العلم بالأحكام ، والعلمي وهو الطرق العلمية المؤدية إلى الأحكام سواء دليل الانسداد الكبير وهو انسداد باب

(١) سيأتي في الجزء التالي وهو الثاني والأربعون بعد المائتين على نحو التفصيل إن شاء الله .

(٢) سورة ص ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ١٩٦ .

(٤) سورة البقرة ١٨٥ .

(٥) سورة النحل ٨٩ .

العلم في الأحكام مطلقاً من جهة السنة وغيرها ، أو الصغير من جهة انسداد باب العلم من جهة السنة مع انفتاحه في الطرق الأخرى . ولم يرد لفظ الإنسداد في كتب الأصول عند السنة .

ومن التبيان في القرآن وجوه :

الأول : ورود النص والمبين في القرآن .

الثاني : التفسير الذاتي للقرآن بتفسير آياته بعضها لبعض .

الثالث : الصلة الموضوعية والحكمية بين الآيات المتجاورة .

وقد أسست في تفسيري باباً اسمه باب سياق الآيات ، ويختص بصلة الآية محل البحث بالآيات المجاورة لها .

ومن معاني النص القرآني : ما تأويله تنزيله مثل ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾

(١) في قوله تعالى ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢).

فالجامع في العدد ينحصر بالعشرة ، فحالما نزل تجلّى معناه ، وكذا يدرك المسلم والمسلمة معناه عند قراءته وتلاوته سواء في الصلاة أو خارج الصلاة ، وقد يشكل عليه بأن التأويل يستلزم

(١) سورة البقرة ١٩٦.

(٢) سورة البقرة ١٩٦.

الانتقال من التنزيل إلى معنى واستنباط الدلالة بتكلف ، لأن التأويل نوع تصيير ، ولكنها دقة عقلية لا تؤخذ في المقام .

الثاني : الظاهر ، وهو لغة الواضح والبين ، أما في الإصطلاح فهو المعنى الراجح من اللفظ مع احتمال معنى آخر غيره يكون مرجوحاً وضعيفاً ، وخرج بقول احتمال معنى آخر النص لأنه لا يحتمل إلا معنى واحداً .

وهل الظاهر مثل النص من المبين ، الجواب نعم ، وإن تفاوت معه بالرتبة ، وهذا الظاهر عام وفي مقابل النص والمجمل ، وليس هو من الظاهر في مقابل الباطن .

الثالث : المجمل : وهو اللفظ الذي لا ظاهر له ، ويحتمل معنيين أو أكثر لا رجحان لأحدها إلا بالقرينة مثل لفظ (حقه) في ﴿وَأَتَوْحَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ .

وهناك أسباب لإجمال اللفظ منها :

الأول : غرابة اللفظ مثل (هلوعاً) .

الثاني : التشابه في رسم اللفظ .

الثالث : تعدد التفسير والتأويل للكلمة الواحدة مثل (القرء) وهل هو الطهر بين حيضتين أم ذات الحيض .

والمجمل ، أصله من الجمل وهو الجمع ، والمحصل في الحساب والإستنتاج .

ومن معانيه في الإصطلاح : ما يتوقف فهم المراد والمقصود منه على غيره ، ومنه لفظ (القرء) كما في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ نَلَكَ قُرُوءٌ﴾^(١) ، مردد بين أيام الحيض والطهر الذي بين حيضتين .

وقيل أن الصلاة لفظ مجمل لأن كيفية أوانها مجهولة تستلزم البيان ، وكذا بالنسبة للزكاة فإن النصاب ومقدار الزكاة مجهولان لا بد من البيان ، ونؤسس هنا مسألة وهي أن لفظ الصلاة جامع للنص والمجمل ، فهي نص جامع بين الملل السماوية من أيام ابنا آدم وإلى يوم القيامة ، وفي عيسى عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١).

وهي لفظ مجمل بلحاظ الكيفية والأركان والأجزاء وأوقات الصلاة ، قال تعالى ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢).

ومنه تعيين القبلة في القرآن ، قال تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣) وفيه أمانة وقرينة بتفصيل وكيفية الأداء . وهل هذه الوصية من الله عز وجل التي هي أمر وواجب خاصة بعيسى عليه السلام أم أنها شاملة للأنبياء ، وأتباعهم الجواب هو الثاني ، وهو الذي تجلّى بالقرآن ومفاهيمه والسنة النبوية . ولا أصل للقول بأن الصلاة لفظ مجمل فقط ، فكل من الصلاة والزكاة أمر عبادي بين وظاهر .

قانون تعدد معاني اللفظ القرآني

تجد في النص والظاهر والمجمل القرآني الدعوة إلى السلم وتعاهد نشره وقوانينه في الأرض . ولا يأمر بإيجاد الصلة والعلاقة بين مسائل وقوانين هذا السفر وبين مفردات علم الفقه والأصول والكلام .

(١) سورة مريم ٣١ .

(٢) سورة الاسراء ٧٨ .

(٣) سورة البقرة ١٤٩ .

ويمكن تقسيم جنس الكلام تقسيماً استقرايياً جديداً أعم وأوسع فبدل تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وهي النص والظاهر والمجمل ، أقسمه إلى تسعة أقسام وهي :

الأول : النص .

الثاني : الأظهر .

الثالث : الظاهر الذي يرقى إلى مرتبة النص بالقرينة مثل خطاب الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمراد إلحاق الأمة به مثل (قل) (٢٢٨) مرة في القرآن مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) ، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْزٍ إِلَيَّ قَوْمٌ﴾^(٢) .

الرابع : الظاهر العام .

الخامس : المؤول .

السادس : المرجوح .

السابع : المجمل .

الثامن : المجمل ثابت المتعدد .

التاسع : اللفظ والكلمة الجامعة للنص والمجمل بحسب اللحاظ والجهة ، مثل ﴿أَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ فاقيموا نص بأداء فعل ، وأمر يستلزم الوجوب .

والصلاة في الآية جملة من حيث عدد الركعات والأجزاء والأوقات والكيفية لتأتي آيات أخرى والسنة النبوية في بيانها ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ

(١) سورة الأَخْلَاص ١ .

(٢) سورة الْفَتْح ١٦ .

قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا^(١) ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٢).

كما في قولنا أن اللفظ القرآني قد يجمع بين الحقيقة والمجاز ، وهو مصطلح مستحدث لغة واصطلاحاً .

وسياقي التفصيل والأمثلة بخصوص هذه الوجوه التسعة في الجزء التالي وهو الثاني والأربعون بعد المائتين.

وهل كانت العرب تتخذ من الجملة عدة معان ، الجواب نعم قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

ويرد في القرآن لفظ مجمل ولا ينصرف لمعنى مخصوص بل يبقى يشمل عدة معان وكذا بالنسبة للمؤول وهو من إعجاز القرآن وبقائه غضاً طرياً متجدداً ملائماً للأمكنة والأزمنة المختلفة ، وفيه شواهد عديدة منه ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤).

وفي المعاني باسناده عن محمد بن مسلم قال : سألت جعفرأ عليه السلام فقلت قول الله عز وجل ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾^(٥) ، قال اليه في كلام العرب القوة والنعمة يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

وهذا المعنى غير المعنى الظاهر عليه.

(١) سورة الاسراء ٧٨.

(٢) البحار ٣٣٥/٧٩ .

(٣) سورة يوسف ٢.

(٤) سورة الذاريات ٤٧.

(٥) سورة ص ٧٥.

لقد نزل القرآن عربياً ، والعرب يفرقون بين المعنى الظاهر والانتقال إلى المؤول ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(١).

مبحث المؤول

قسم من تقسيم مستحدث هنا ، فيكون قسيماً لكل من النص والظاهر والمجمل للبيان والوضوح ، والمؤول هو استعمال المرجوح في الإحتمال والإنصراف إليه وصيرورته كالظاهر ، بدليل أو قرينة أو أمانة في مقابل الظاهر .

فاذا صرف معنى الكلام إلى المرجوح بالقرينة والدليل فيسمى حينئذ المؤول ، وأستدل بمثل وهو (رأيت أسداً) فان الظاهر هو رؤية هذا الحيوان المفترس المعروف ، وقد يكون المراد رجلاً شجاعاً لوجود دليل أو قرينة ، كما لو قيل جلست مع أسد ، وقد لا يتم هذا المثال ، والأولى الإتيان بمثال يلتقي فيه الظاهر والراجح والمرجوح في الحقيقة أو المجاز .

فالمؤول هو المرجوح الذي صار هو المعنى المستفاد من اللفظ عند إطلاقه للقرينة الصارفة ، والقرينة على شعبتين :
الأولى : قرينة عقلية .

وقد يقع الاختلاف في لفظ هو يحمل على الظاهر أو المؤول مثل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢) فالظاهر تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح ، وبه قال الحنفية ، فهو عندهم من قسم الظاهر أما الشافعية فعدوه من المؤول بالحمل على ما ذكر عليه اسم الشريك كالكالات والعزى ، ولكن لا تصل النوبة إلى المؤول .

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢١.

الثانية : قرينة لفظية .

الإنفراد بالمعجزة العقلية

لقد تقدم قانون المعجزة الحسية في ثانيا المعجزة العقلية في الجزء الأربعين بعد المائتين وفي ثلاث صفحات ٢٣٥ - ٢٣٨ .

ترى لماذا انفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين مائة وأربعة وعشرين ألف نبي بالمعجزة العقلية ، الجواب لأنه خاتم النبيين ، وإنقطاع المعجزة من بعده ، ولإكرامه من عند الله وحفظ الشرائع بواسطته واستدامة عبادة الله عز وجل إلى يوم القيامة برسائله ، وتحلي أمته بلباس التقوى ، قال تعالى ﴿وَلَنَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

سيأتي قانون الإنفراد بالمعجزة العقلية معجزة مستقلة ، وفيه وجوه :

الأول : تفضل الله عز وجل بتوثيق المعجزات الحسية للأنبياء السابقين بالمعجزة العقلية .

الثاني : بقاء وتجدد المعجزة العقلية ، وهو القرآن إلى يوم القيامة.

الثالث : سلامة القرآن من التحريف والتبديل والتغيير .

الرابع : تلاوة المسلمين والمسلمات كل يوم خمس مرات لآيات القرآن ، لبيان معجزة تثبت وحفظ للقرآن بالتلاوة وهي غير قانون

التلاوة حفظ القرآن ، والنسبة بين القانون السماوي والمعجزة عموم وخصوص مطلق ، فالقانون أعم.

الخامس : تفقه المسلمين بخصوص معجزات الأنبياء وموضوعيتها في قصصهم ، ونشرهم ألوية الإسلام والسلام في الأرض ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(١).

السادس : بيان فضل الله على الناس باختتام النبوة بالمعجزة العقلية ، ليكون تأويل نعت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخاتم النبيين في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢) على وجوه في تقديره :

الأول : خاتم النبيين لتوثيق رسالة الأنبياء .

الثاني : محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين لذكر أسماء طائفة من الأنبياء والرسل .

الثالث : خاتم النبيين بمائز وهو إجتماع المعجزة الحسية والعقلية عنده .

الرابع : قانون بقاء وتجدد رسالة خاتم النبيين إلى يوم القيامة .

(١) سورة يوسف ٣.

(٢) سورة الأحزاب ٤٠.

الخامس : قانون خاتم النبيين شاهد صدق على النبوات السابقة، قال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١).

السادس : قانون الحاجة إلى المعجزة العقلية لخاتم الأنبياء لإنقطاع النبوة برسالاته ، فتعدد أقسام وأنواع المعجزات من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{(٢)(٣)}.

السابع : إتصاف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصفة خاصة من بين الأنبياء وهي (خاتم النبيين) ولا ينحصر موضوع هذه التسمية بالموضوع والحكم ، وأنه ليس من نبي بعده ، ولكن ذات الاسم (خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)^(٤) له موضوعية وشأن ، وهو أصل تقتبس منه المسائل والقوانين .

قانون المعجزة الحسية فرع المعجزة العقلية

هذا علم مستحدث في هذا الجزء من التفسير وهو مما رزق الله عز وجل النبي محمداً من بين الأنبياء لأنه خاتم النبيين ، ولبقاء شريعته إلى يوم القيامة .

فمعجزات الأنبياء حسية تدرك بالحواس كتناقة صالح وعصا موسى عليهما السلام.

(١) سورة النساء ٤١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

(٣) أنظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية المباركة .

(٤) سورة الأحزاب ٤٠.

أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد أفاض الله عز وجل عليه بالمعجزة العقلية وهو آيات القرآن ، وكل آية هي معجزة قائمة بذاتها وبصلتها مع غيرها ، وهي معجزة بترشح المعجزات الحسية عنها.

ومن الجمع بينها وبين آية قرآنية أخرى ، مع لزوم ذكر المعجزة والمعجزات الحسية التي تفرعت وتتفرع عن الآية القرآنية ، لأن هذا التفرع المبارك من اللامتناهي.

ويتجلى للعلماء والمحققين من وجوه :

الأول : إحصاء وجمع الآيات التي تتضمن الخطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : إحصاء وجمع آيات (قل) بأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعددها (٣٢٨) آية.

الثالث : إحصاء وجمع آيات نداء الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الرابع : إحصاء وجمع الآيات التي تخص أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة ، ومنها ما ورد في السور المكية وما فيها من الشواهد على المعجزات الحسية ، وما يتفرع عنها من المعجزات مثل قوله تعالى ﴿رَحَلْنَا الشَّاءَ وَالصَّيْفَ﴾^(١).

وكيف أن قريشاً كانوا بنعمة عظيمة ، وسعة من المال والجاء ، مع معاناة أكثر أهل الجزيرة العربية من الفقر والفاقة آنذاك ، ويجاهدون من أجل لقمة العيش واستمرار الحياة في أذى ، ويدل عليه لجوء طائفة منهم إلى الواد ، وهو قبيح ذاتاً وأثراً ليكون من إعجاز نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجاة البنت من القتل من حين الولادة.

وسلامة المجتمعات مما يترتب على الوأد من النقص في الإنجاب ، بقلّة الزوجات والأمهات ، فمن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجاة الأولاد ذكوراً أو إناثاً من الوأد والقتل خشية الفقر والفاقة ، قال تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

وتدل الآية أعلاه على معجزة حسية أخرى للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي مع سلامة البنين والبنات من القتل لزوم التقوى والعصمة من إرتكاب الفواحش ، واجتناب سفك الدماء ، وهو من مصاديق ﴿وَبَلَّغْ الْآيَاتِ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢) بما ينشر الرحمة والأمن والسلم المجتمعي .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ﴿رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٣) ، اضطرار الذين حاربوه لإنفاق أموالهم على قتاله ، ونحرهم إبل التجارة لإطعام المقاتلين الكفار المتوجهين صوب المدينة سواء الثلاثة آلاف في معركة أحد ، أو العشرة آلاف في معركة الخندق .

ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية التي تترشح عن قوله تعالى ﴿رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٤) ، وقوله

(١) سورة الأنعام ١٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٤٠.

(٣) سورة قريش ٢.

(٤) سورة قريش ٢.

تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(١)، ظهور العوز وتراكم الديون على كفار قریش والتباطئ في سير القوافل ، وقلة عدد إبل القافلة لبيان أن من معجزاته لحوق الخزي والذل لأعدائه .

وهل تفرع معجزة حسية واحدة أم متعددة عن الآية القرآنية ، الجواب هو الثاني ، من جهات :

الأولى : تفرع عدة معجزات حسية عن الآية القرآنية ، وهذا التفرع من إعجاز الآية القرآنية ، والدلائل على صدق نزولها من عند الله عز وجل .

الثانية : قانون استقراء المعجزة الحسية من الحديث النبوي .

الثالثة : أسباب نزول الآية القرآنية مادة ومناسبة للمعجزة الحسية .

الرابعة : استنباط المعجزة الحسية من الجمع بين آيتين من آيات القرآن .

ويمكن تأليف مجلدات متعددة بخصوص هذا القانون ، لبيان أن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة ويصعب إحصاؤها ، لأن علم تفرع المعجزات الحسية عن آيات القرآن مفتوح بابه إلى يوم القيامة .

بلحاظ أن كل آية من القرآن خزانة للعلوم ينهل منها العلماء والناس جميعاً ، وهو من مصاديق (قانون ترغيب الآية القرآنية بالغوص في علومها) .

وهل سعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقول والفعل للصلح والموادعة والسلم من المعجزات الحسية المتفرعة عن آيات القرآن ، الجواب نعم ، لقانون السنة النبوية مرآة للقرآن.

قانون حضور الخلافة في الآخرة

الحمد لله على نعمة الخلافة التي إنفرد بها الناس من بين الخلائق لتلازمهم في الحياة الدنيا وتكون عضداً ، وباعثاً للعمل الصالح ، وبرزخاً دون فعل السيئات ، ويحتمل حضور هذه النعمة في الآخرة وجوهاً :

الأول : مصاحبة الخلافة للناس جميعاً في الآخرة ، وهو من مصاديق ما ورد عن أبي سعيد قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، فجعل في الأرض منها رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها ، والبهائم بعضها على بعض ، وآخر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة)^(١).

وتحتمل هذه المصاحبة شعبتين :

الأولى : حضور الخلافة مع الناس على نحو العموم المجموعي وبهيئة يراها الناس ويدركون أنها الخلافة وما شرفهم الله به في الحياة الدنيا ، إذ تحضر الأشياء يوم القيامة بهيئة مادية وصورة خارجية .

وعن ابن عباس يرفعه (أن "البقرة" و"آل عمران" يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان - أو فرقان من طير صَوَافٍ. من ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت.

فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك.

وفي حديث البراء، في قصة سؤال القبر: "فيأتي المؤمن شابٌ حسن اللون طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح"^(١).

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إن العبد المؤمن إذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول : من أنت؟ فيقول أنا عمك الصالح فيقوده إلى الجنة ، وبعكس هذا في الكافر)^(٢).

فان قلت هل هذه حجة في عدم حضور الخلافة في الآخرة فلو كان لبان ، فلم تذكر الخلافة كما ذكر حضور القرآن والعمل الصالح بهيئة جميلة.

الجواب لا ، لان الخلافة ميثاق وليان أن خلافة الإنسان ليست مطلقة لا زماناً ولا موضوعاً ، فهي نوع أمانة يعقبها الحساب ، قال تعالى ﴿وَقُفُّوا لَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٣).

الثانية : حضور الخلافة مع كل إنسان ذكراً كان أو أنثى على نحو العموم الإفرادي.

الثاني : مصاحبة نعمة الخلافة لخصوص المؤمنين من الأمم المتعاقبة .

الثالث : ملازمة الخلافة في الآخرة للأنبياء على نحو التعيين بلحاظ أن قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، خاص بالأنبياء فيعرفون يوم الحشر بهذه الملازمة.

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٩٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٤٣ .

(٣) سورة الصافات ٢٤.

الرابع : الخلافة يوم القيامة ظلة وغمامة مباركة لخصوص آدم عليه السلام لأن الآية نزلت بخصوصه ، فكما انفرد من بين الأنبياء وعموم الناس بالإقامة في الجنة هو وزوجه ، والنفخ فيه من روح الله ، فكذا ينفرد بحضور الخلافة معه لاسيما وأنها فرد واحد .

الخامس : إنقطاع الخلافة في الحياة الدنيا وعدم حضورها في الآخرة لقيد (في الأرض) الوارد في الآية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، وبخصوص الآخرة ، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٣).

السادس : حضور الخلافة يوم القيامة كشاهد على الناس ، بلحاظ التقيد بسنتها أو الإنحراف عنها بالفساد وسفك الدماء ، وبهيئة هي الأنسب والأظهر مما ينطبق عليه قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

السابع : مسألة الخلافة في الأرض لا صلة لها بعالم الحساب والجزاء . وعن أبي العباس أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام (عن قول الله عز وجل : وعلم آدم الأسماء كلها " ما هي ؟

قال: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض)^(٥).

الثامن : شفاعة الخلافة يوم القيامة للذين عملوا بأحكامها أو مطلقاً حتى للذين لم يعملوا بها بلحاظ أنهم المحتاجون إلى الشفاعة كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي)^(٦).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٤.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) البحار ١١/١٤٧.

(٦) البحار ٨/٣٠.

التاسع : التباين في الحكم والكيف بين كبر هيئة الخلافة التي تحضر مع الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأقل منها مع المؤمنين ، وصغرها مع عامة الناس.

العاشر : حضور الخلافة في عالم البرزخ في الحساب الابتدائي ، ومجئ منكر ونكير إلى القبر ، دون عالم الآخرة .

الحادي عشر : حضور الخلافة يوم القيامة مع إعراضها وعزوفها عن الذين أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء وهذا الإعراض من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، حينما احتجوا على جعل الإنسان في الأرض خليفة. والمختار هو الشعبة الثانية من الوجه الأول أعلاه.

وقد تفضل الله عز وجل وعلم آدم وهو في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض جميع الأسماء ، لورود سور الموجبة الكلية ﴿كُلَّهَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وهل من صلة بين خلق آدم في الجنة وحضور الخلافة في الآخرة ، المختار نعم.

ويحتمل السؤال من الله عن الأسماء في قوله تعالى ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ وجوهاً :

الأول : إرادة كل الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم .
الثاني : المقصود أسماء ومسميات معدودة .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣١.

الثالث : مسميات ظاهرة أمام الملائكة .

والمختار هو الثاني والثالث أعلاه .

إذ ذكرت الآية (أسماء هؤلاء) بارادة اسم الإشارة للقريب الظاهر ،
المدرّك بالحواس .

لإقامة الحجة على الملائكة من عند الله فاذا كانت الملائكة تعجز عن
معرفة بعض الأسماء التي علمها الله عز وجل آدم والقريبة منهم ، فمن
باب الأولوية أهلية آدم للخلافة في الأرض وأنه يعلم الأسماء كلها.

بحث منطقي

دأب علماء المنطق من الأقدمين على بيان منهاج مباحث علم
المنطق وفق أبواب مرتبة هي :

المبحث الأول : المقدمة ، وتتضمن تعريف علم المنطق
وموضوعه ، والمنفعة من تعلمه ، والحاجة إليه .

والمنطق لغة هو مصدر ميمي مشتق من كلمة النطق ، وهو
صدور اللفظ من الإنسان ، وبمعنى الكلام ومفرده كلمة .

وتعريف المنطق في الإصطلاح أنه آلة قانونية تعصم مراعاتها
الذهن من الوقوع في الخطأ عند التفكير والتدبر ومقدمات القول أو
الفعل .

وقد أطلق على علم المنطق أسماء أخرى منها :

الأول : علم الميزان لأن به توزن البراهين والحجج .

الثاني : رئيس العلوم ، ونسبت هذه التسمية إلى الفارابي ، ولا
أصل لها ، لأولوية تقديم علوم التنزيل والسنة ، وعلم الكلام ،
وأحكام وسنن الشريعة .

والقول بأنه آلة لتحصيل العلوم المتعددة لا يعني أنه رئيسها ، إنما هو مقدمة أشارت إليه آيات قرآنية عديدة منها آيات التدبر ، كما في قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(١).

وآيات التفكير كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^{(٢)(٣)}.

الثالث : خادم العلوم وبه سماه ابن سينا ، كما في كتاب غمز عيون البصائر في شرح الأشياء والنظائر لشهاب الدين الحسيني الحموي المتوفى سنة (١٠٩٨) هجرية .

وجاءت تسمية ابن سينا لعلم المنطق بأنه خادم العلوم رداً وانكاراً لتسمية الفارابي له (رئيس العلوم) .

الرابع : علم قواعد التفكير .

الخامس : معيار العلوم .

ولابن السكيت كتاب اسمه (إصلاح المنطق) وهو كتاب كالمعجم اللغوي ولا صلة له بعلم المنطق .

المبحث الثاني : مبحث الألفاظ : لقد رزق الله عز وجل

الإنسان النطق والإفهام ، وتبين أول كلمات آدم حين خلقه الله أن المدار على اتخاذ الكلام وسيلة للإفهام ، وجعل الألفاظ للمعاني

(١) سورة ص ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) أنظر الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

بقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا..﴾^(١) ولما بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كانت أول آية نزلت عليه هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢).

وهل هذه الآية مدخل لعلم المنطق ، الجواب نعم ، لتبقى سبياً للهداية والإيمان ، وبرزخاً دون مفاهيم الضلالة والجحود ، ودليلاً على قانون تأسيس العلوم في القرآن ، ومنها علم المنطق والأصول. وإذا حضر اللفظ تبادر إلى الذهن المعنى المقصود منه للعلاقة والدلالة بينهما ، ولا بد لطالب العلم من معرفة أحوال الألفاظ في الجملة من أجل ترتيب الأفكار على نحو صحيح .

وبإمكان العلماء استقراء براهين وشواهد عديدة لاقتباس واستقراء كل علم من القرآن ، وأن الهداية والإرشاد والتوثيق إليها بفضل من الله عز وجل ، قال تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

وإذا سمعت رنة جرس الهاتف علمت أن شخصاً يطلبك ، إذ دلّ عليها الجرس ، وتسمى رنة جرس الهاتف (دالاً). ويسمى وجود الشخص الذي يطلبك (مدلولاً).

والصفة التي حصلت من الطريقة (دلالة) لذا فالدلالة هي انتقال الذهن إلى وجود شئ عند العلم بوجود شئ آخر ، ولا بد من سبب وعلاقة بين الشيئين .

المبحث الثالث : التصورات : وهي أعم من مبحث الألفاظ ، وتسمى الحدود أي تحديد طبيعة شئ مخصوص مجهول ، كي يتصوره

(١) سورة البقرة ٣١.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة العلق ٥.

الذهن من غير أن يلزم إثباتاً أو نفيّاً إنما هو إدراك للشئ بالكلمات مثل ما يدرك من لفظ شجر ، نهر ، شهر ، قلم ، لذا فهو لا يصل إلى مرتبة التصديق .

وقسم الفارابي وابن سينا المنطق إلى قسمين رئيسين :

الأول : قسم التصورات .

الثاني : قسم التصديقات .

وقيل أن أرسطو هو الذي اعتمد هذا التقسيم ، ومن جاءوا بعد

أرسطو قسموا المنطق إلى :

أولاً : التصورات .

ثانياً : التصديقات .

ثالثاً : القياس .

ويمكن استقراء تقسيم مستحدث أكثر دقة وصواباً من آيات

القرآن.

وبلحاظ قانون هذا الجزء (آيات السلم محكمة غير منسوخة) فإن

من عالم التصور أن بعثة الأنبياء رحمة للناس ، وهم لا يسعون إلى

القتال وسفك الدماء ، إنما جاءوا بالمعجزات التي تهدي الناس إلى

الإيمان والنجاة في النشأتين وحملوا ألوية السلم.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم

يغادر الدنيا إلا بعد أن خلف آيات السلم وإحكامها ، وترك السنة

النبوية السلمية ترجماناً وتفسيراً لها.

وتخاطب آيات القرآن العقول وفيه شاهد على سلامة آيات

السلم من النسخ وغنى النبوة عن الغزو والقتال ، ومن مصاديق

علم المنطق في المقام قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

وقيل من فقد حساً فقد علماً ، فمثلاً فاقد البصر من الأصل لا يتصور الألوان والتباين بينها ، ولا هيئة الهلال ، وإتساعه حتى يكون بدرأ ثم أخذه بالنقصان حتى يصير إلى المحاق ، إلا مع التقريب بوصف الغير بينما يعرف الألوان والمرئيات بالضرورة الذي يملك حاسة البصر ، وينقسم التصور إلى شعبتين :

الأولى : التصور النظري ، وهو الذي يحتاج إلى فكر واستحضار تعريف يبين معنى الكلمات مثل ، المبتدأ ، المثلث واضلاعه ، والربا وحرمة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^{(٢) (٣)}.

ومن التصور النظري إدراك إعجاز آيات القرآن مما يستلزم التفكير والتدبر ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤).

الثانية : التصور الضروري ، وهو ما يدرك بالحواس الظاهرة كالسمع ، والبصر ، والذوق ، واللمس من غير حاجة إلى تفكير أو تدبر مثل سماع الأصوات ، ورؤية الشجر والشمس والسماء ، أو الإحساس بالحرارة والبرودة أو الحلاوة .

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٣٠.

(٣) انظر الأجزاء ٨٩-٩٠-٩١-٩٢ من هذا السفر التي اختصت بتفسير هذه الآية.

(٤) سورة النساء ٨٢.

ومثل رؤية الهلال خطأ رفيعاً في الليلة الأولى ثم يتسع إلى أن يكون بدرأً في وسط الشهر ثم يأخذ بالتناقص إلى أن يختفي في ليالي المحاق ، قال تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(١).

وكذا ما يدرك بالحس الباطن مثل إدراك الشيع أو العطش أو الخوف .

المبحث الرابع : التصديقات ، ويشمل مباحث القضايا ، وهي التي يصح تصديقها ، كالجملة الخبرية في علم اللغة والبلاغة كقول محمد رسول الله .

فهذه قضية ، وهي جملة مفيدة ، وكذا آيات السلم محكمة غير منسوخة وقانون آيات الدفاع سلام دائم .

ومن الأخبار ما يصح تصديقه أو تكذيبه لذا ورد في خبر الفاسق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَسَبِّحُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا بَٰجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

أما قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنٰى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣) ، فهو انشاء وتدخل البديهيّات في القضايا لقبولها بالذات التصديق . وتنقسم القضايا إلى شعبتين :

(١) سورة يس ٣٩ .

(٢) سورة الحجرات ٦ .

(٣) سورة الإسراء ٣٢ .

الأولى : القضية الحملية ، كقولك الصلاة واجب ، فالموضوع هو الصلاة ، والمحمول هو واجب ، ويحمل المحمول على الموضوع ، والمسند على المسند إليه .

وتنقسم القضية الحملية إلى قسمين :

الأول : القضية الحملية الموجبة كما في المثال أعلاه ، ومثل الصيام فريضة وقوله تعالى ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾^(١).

الثاني : القضية الحملية السالبة مثل (لم يغز النبي (ص) أحداً) و(ليس آيات السلم منسوخة).

وتنقسم القضية الحملية بقسميها أعلاه بلحاظ موضوعها إلى شخصية وطبيعية ومهملة ومحصورة ، وتنقسم القضية المحصورة إلى شعبتين :

الأولى : الكلية ، وهي تغشي القضية لجميع المصاديق مثل ﴿وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ قَاتِلُونَ﴾^(٢) ومثل كل معارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفاعية و(كل آيات السلم محكمة).

الثانية : الجزئية ، مثل ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣).

الثانية : القضية الشرطية ، لإرادة وجود نسبة بين قضية وأخرى ، مثل : إذا هلّ هلال رمضان وجب الصوم ، فالمقدم هو هلال رمضان والتالي هو الصوم .

(١) سورة النبأ ٧.

(٢) سورة الروم ٢٦.

(٣) سورة الإسراء ٢٩.

والرابطة هي أداء الربط بين الجملتين (إذا) ومثال : إذا هجم مشركو قريش لزم الدفاع كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

فالمقدم هجوم المشركين ، والتالي هو الدفاع ، والرابط (إذا) .

قانون سلامة القرآن من الزيادة والنقصان

من إعجاز القرآن قانون سلامته من التحريف والزيادة والنقصان.

ومن الدلائل على سلامة القرآن من التحريف قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) ، وقوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٣) ، وحديث الثقلين ، والروايات الواردة في ثواب قراءة وخواص ومنافع السور ، وثروة الجدل والاحتجاج بالقرآن وسلامة آيات الأحكام ، وتأکید الصحابة على موضوعية الواو في الأنصار ، (وروي أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾^(٤) ، برفع الواو وحذف الواو من الذين .

قال له أبي بن كعب : إنما هو والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وإنه قد كررها مراراً ثلاثة ، فقال له : إني والله لقد قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم بإحسان ، وإنك يومئذ شيخ تسكن بقيق الغرق.

(١) سورة الأنفال ٤٥ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) سورة فصلت ٤٢ .

(٤) سورة التوبة ١٠٠ .

قال : حفظتم ونسينا وتفرغتم وشغلنا وشهدتم وغبنا ثم قال عمر لأبي : أفيهم الأنصار.

قال : نعم ولم يستأ من الخطاب ومن ثم قال عمر : قد كنت أظن إنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي : بلى ،

تصديق ذلك أول سورة الجمعة وأواسط سورة الحشر وآخر سورة الأنفال قوله ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾^(١) ، إلى آخره وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(٢) إلى آخر الآية^(٣).

والإستقراء من أحاديث العرض ، بعرض الأحاديث على القرآن لبيان صحة سندها بلحاظ موافقتها لآيات القرآن ، وما بين الدفتين قرآن

المعجزة شاهد سلامة القرآن من التحريف

المعجزات الحسية المترشحة عن المعجزة العقلية من شواهد على سلامة القرآن من التحريف وكذا قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين القرآن في الصلاة اليومية ، وحفظ المسلمين القرآن من التحريف على وجوه محتملة :

الأول : اجتهاد المسلمين في منع التبديل والتقييد لبعض الكلمات .

الثاني : المناجاة العامة بمنع الزيادة في القرآن ، وهو من مصاديق ﴿وَوَاصُواْ بِالْحَقِّ﴾^(٤) ، إذ أن المناجاة والتوصية وتوارث المسلمين للنطق بالآيات وكتابتها كما أنزلت من عند الله عز وجل

(١) سورة الجمعة ٣.

(٢) سورة الحشر ١٠.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٠٧/٦.

(٤) سورة العصر ٣.

من مصاديق التواصي بالحق ، قال تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾^(١).

الثالث : إدراك كل مسلم ومسلمة حرمة النقص في القرآن .
والتحريف لغة الإنحراف والميل والعدول عن الشيء ، قال تعالى
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢).
ومعناه الإصطلاح من نقي التحريف هو سلامة القرآن من
الزيادة والنقصان في الكلمات والحروف .
وهل من موضوعية لنزول القرآن نجوماً في سلامته من التحريف
الجواب نعم .

وهل من موضوعية لسلامة القرآن من التحريف في علم الناسخ
والمنسوخ ، الجواب نعم ، ومنه الإستدلال في هذا الجزء والإجزاء
المشابهة الأخرى بسلامة آيات السلم من النسخ لحضور الآيات كما
أنزلت.

وكما تترشح المعجزة الحسية عن آيات القرآن فان القرآن شاهد
على أمور :

الأول : صدق المعجزة النبوية الحسية ، كما في صحة الإسراء
لقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾^(٣).

الثاني : التوثيق المؤبد للمعجزة النبوية لبقاء القرآن سالماً من
التحريف إلى يوم القيامة .

(١) سورة الاسراء ١٠٥.

(٢) سورة النساء ٤٦ .

(٣) سورة الاسراء ١.

الثالث : صيرورة المعجزة حجة وبرهاناً على صدق النبوة .
 (و) عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية فأنشق القمر بمكة فرقتين فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(١) ، إلى قوله { سحر مستمر } أي ذاهب^(٢) .

خصائص آيات (قل)

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة عقلية وهي ورود الأمر والخطاب (قل) ثلاثمائة وثمانية وعشرين مرة في القرآن ، عدا عموم الوحي ، وكل واحدة منها معجزة من جهات :

الأول : صيغة الأمر ، وما تدل عليه من صفة عبودية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لله عز وجل وامتناله المطلق لأوامره تعالى .

وقال الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً .

قال الله تبارك وتعالى : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)^(٣) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتخذني نبياً ، وإن الله اتخذني

(١) سورة القمر ١ .

(٢) الدر المنثور ٩/ ٣٢٨ .

(٣) البحار ٢٥/ ١٣٥ .

نبيا قبل أن يتخذه رسولا، وإن الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا، وإن الله اتخذه خليلا قبل أن يجعله إماما، فلما جمع له الاشياء قال: "إني جاعلك للناس إماما" قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: "ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين" قال: لا يكون السفیه إمام التقي. (١).

الثاني: كثرة مواضع آيات (قل).

الثالث: بيان آيات (قل) للأحكام الشرعية، ليكون معاني صيغة الأمر فورية العمل بالأحكام.

الرابع: تلاوة المسلمين لآيات (قل) وتقديرها (قولوا)، ومن الخاص قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢).

الخامس: بسؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين، واجابته على ذات السؤال من غير أن ينتظر منهم جواباً، ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَعُتَا وَلَا ضَرَّ أَقْلُ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣).

وقد ورد لفظ (قل) في هذه الآية خمس مرات، وورد اسم

(١) البحار ١٢/١٢.

(٢) سورة الأعراف ١٥٨.

(٣) سورة الرعد ١٦.

الجلالة سبع مرات والثامنة (ربك) في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَبِضْفَةٍ وَتُلْثُهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

السادس : آيات (قل) مدرسة في الإحتجاج على المشركين .

السابع : من أسرار آيات (قل) أنها باعث على الإيمان ،
وتثبيت أقدام المسلمين في منازل الهداية والإيمان .

الثامن : بيان قانون وهو آيات (قل) دعوة للسلم ، وتغليب لغة الحوار والإحتجاج الذي يقترن به الأمن طوعاً وانطباعاً.

آيات الصيام سلام متجدد

من معاني السلم التراحم في آيات الصيام تعاهد المسلمين لصيام شهر رمضان من كل سنة من غير تحريف أو زيادة أو نقيصة .

وهو من فضل الله عز وجل ، والشواهد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأداء الأجيال المتعاقبة من أمته للفرائض العبادية وفق أحكام التنزيل لتكون دعوة للأمن في الأرض وقهر النفس الغضبية والشهوية.

وتضمنت آيات الصيام مسائل :

الأولى : ذكر اسم شهر رمضان في القرآن تشريف له .

الثانية : بيان صفة خلود لشهر رمضان ، وهي نزول القرآن في أيامه .

الثالثة : ذكر قانون الهدى من وجوه :

أولاً : التنزيل هدى للناس وبينات ، وقد ورد لفظ (هدى للناس) ثلاث مرات في القرآن ، وهي :

الأولى : خصوص القرآن ، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

الثانية : إرادة التوراة والإنجيل ، كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾^(٢).

الثالثة : قصد التوراة في قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران ٣-٤.

(٣) سورة الأنعام ٩١.

وتبين هذه الآيات مجتمعة قانون ملازمة الهداية للناس في كل زمان بالتنزيل وهو من رحمة الله عز وجل ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١).

ثانياً : آيات وسور القرآن هدى للناس .

ثالثاً : اجتماع شهر رمضان ونزول القرآن هدى للناس .

الرابعة : مجئ البينات للناس بنزول القرآن ، وبحلول شهر رمضان في كل عام لبيان أنه مدرسة الفقاهة ، ومناسبة لإخلاص العبادة وتجلي الخلق الحميد ، والتخلي عن المعاصي والرزائل وقبائح الفعل المذموم ، وهو من الهدى والبيّنات في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

الخامسة : من إعجاز الآية مجيؤها بصيغة اسم الجنس (هدى)، والبيّنات بالجمع لبيان الكثرة والتعدد والتوالي والتعاقب فيها.

وكل آية قرآنية بينات متعددة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بُرْآنٌ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدَّلَهُ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) سورة يونس ١٥.

والآية أعلاه من سورة يونس ، وهي مكية ، ولم يكن القرآن قد نزل كله في مكة ، مما يدل على أن تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الناس شطر من آيات وسور القرآن قبل الهجرة.

والظاهر متعلق بالينات بالقرآن ونزوله إلا أنه لا يمنع من فيوضات خاصة لشهر رمضان .

السادسة : بيان قانون آيات القرآن فرقان ، وفصل وفصل وتفصيل بين الحق والباطل .

السابعة : دعوة المسلمين والمسلمات في كل زمان إلى رصد أول شهر رمضان بل رصد الأهلة مطلقاً لمعرفة أوان هلال رمضان وهو الشهر التاسع من من أشهر السنة القمرية ، ويستقرأ الإطلاق في رصدها من قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

ليبيان إنشغال المسلمين بمتابعة مقدمات العبادة ، والتهيئ لها ، وفيه شاهد على أن آيات الأحكام سلام وأمن .
وهل يصح تقدير آية البحث بصيغة التأنيث للنساء (فمن شهدت منكن الشهر فلتصمه).

الجواب نعم ، بلحاظ أن الخطاب في الآية قبل السابقة لعموم المسلمين والمسلمات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٢) ليشمل استحباب العناية بالهلال من قبل المسلمات أيضاً وإن قيل بعدم قبول شهادة المرأة في الهلال.

(١) سورة البقرة ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

قانون آية الأهلة سلام

من علامات الحقيقة التبادر كما في مبحث الألفاظ في علم أصول الفقه ، والمراد منه إنسباق الذهن عند سماع الكلمة أو الجملة إلى معنى مخصوص من دون قرينة مقالية أو حالية ، للدلالة على أن استعمال اللفظ في المناسب حقيقة وليس مجازاً ، وإن كان حقيقة شرعية ، كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَكَيْسَ الْبِرِّ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَتَى أَتَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أِبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ، أي يسألونك يا رسول الله عن أحكام الهلال ، والأهلة جمع هلال ، وقد سألوا عن الهلال لماذا يظهر خيطاً رفيعاً ثم يتسع ويكبر ، ثم يكون بديراً ثم يأخذ بالنقصان.

فأجابهم الله عز وجل بما فيه النفع في الدارين ، بأن هيئة الهلال لتنظيم أعمال الناس وضبط الأوقات ، وللفرائض والعبادات كالحج ، ولم تذكر الآية الصيام لورود آية خاصة به ، وهو قوله تعالى ﴿فَنَسِ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢).

ولدخوله مع عمومات (مواقيت للناس) ولأن ذكر الحج بيان لأداء الفرائض العبادية.

نعم يدخل هلال شهر رمضان وشهر شوال في آية (الأهلة) وهو من الإعجاز في مجيئ الآية بصيغة الجمع .

ومن إعجاز الآية مجيئ الجواب من عند الله عز وجل بصيغة العموم الإستغراقي (مواقيت للناس) من جهات :

(١) سورة البقرة ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

الأولى : بيان الآية لبقاء نظام الأهلة وسير الهلال إلى يوم القيامة ، لا يستطيع البشر تغييره بما يخالف وظيفته في ضبط المواقيت.

الثانية : صحيح أن كثيراً من الناس يعتمدون حساب الشمس إلا أنه لا يغني عن الحساب القمري، قال تعالى ﴿تَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(١).

الثالثة : إفادة الألف واللام في ﴿النَّاسِ﴾ الجنس واستقراء جميع الأفراد ، وعموم أهل الأرض في كل زمان في العبادات والمعاملات والأحكام .

وهو من مصاديق قانون الدنيا دار الرحمة ، فهناك نعمة عظيمة من الطبيعي الكلي الذي يتنفع منه الناس جميعاً ، البر والفاجر ، والمسلم والكتابي ، والكافر .

الرابعة : آية الأهلة محكمة ، وسالمة من النسخ ، وموضوعها متجدد كل يوم ، إذ يطل علينا الهلال في الليلة الأولى والثانية من الشهر ثم ينتقل في منازل وأطواره على نحو التدرج إلى :

الأول : الهلال المتزايد.

الثاني : الترييع الأول.

الثالث : الأحدب والبدر.

الرابع : البدر منتصف الشهر القمري.

الخامس : الأحدب المتناقص.

السادس : الترييع الثاني .

السابع : الهلال المتناقص.

الثامن : المحاق وهو آخر منازل القمر في مدة شهر .

ويدل هذا التقسيم والإعجاز الكوني المتجدد في التباين في حجم القمر وساعة اطلالته في المساء على عدم إنحصار التوقيت بأول الشهر وآخره ، فقد تكون المعاملات في الثلث الأول أو الثاني أو الأخير من الشهر ، كما في الديون ، وعدة المطلقة ، والمتوفى عنها زوجها .

ومن الحساب الجزئي وما هو أقل من الشهر قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ
*وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(١) ، والمراد الليالي العشر الأوائل من شهر ذي الحجة .

و(عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال {والفجر وليال عشر والشفع والوتر} ^(٢) قال : إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر) ^(٣) .

ويرد الحساب في القرآن حتى في الليلة الواحدة كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾^(٤) .

ويأتي الجمع ﴿الْأَهْلَةَ﴾ في الموضوع المتحد لعدة أشهر أو عدة سنوات ، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تُاجِرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سِتْرًا فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥) .

(١) سورة الفجر ١-٢ .

(٢) سورة الفجر ١-٢ .

(٣) الدر المنثور ١٠/٢٥٤ .

(٤) سورة المزمل ٢٠ .

(٥) سورة القصص ٢٧ .

ولم يرد لفظ ﴿أُنْكَحَكَ﴾ ، ﴿ابْتَسَى﴾ ، ﴿هَاتَيْنِ﴾ ، ﴿حَجَجَ﴾ ،
﴿أَتَمَّتْ﴾ ، ﴿أَشُقَّ﴾ في القرآن إلا في هذه الآية ، واعتمد حساب عشر
سنوات وفق سير ومنازل القمر ، لأن النبي يعطي بالأوفى ، فلا بد أنهم
كانوا يعلمون منزل وموضع هلال كل شهر بحيث يحسبون كل اثني عشر
هلالاً سنة كاملة .

ومن معاني بيان القرآن لحساب الأيام والأشهر والسنين دعوة الناس
للعناية بأمورهم المعاشية ، وضبط المعاملات والإنصاف والعدل في الحكم ،
وإحقاق الحق ، ومنع الغش ، والخداع ، والتدليس على الناس .

ولبعث السكينة في النفوس ، وإنقطاع الناس إلى ذكر الله عز وجل .
ولا ينحصر ترتيب المكاسب والتجارات بالأهلة وحساب
الشهور ، فقد يكون وفق فصول السنة كالزراعات ، لذا نزل
بخصوص تجارة قريش قوله تعالى ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ
وَالصَّيْفِ﴾^(١) ، فكانت قوافلهم تسير في الشتاء إلى اليمن لأنه بلد
حامي ، وفي الصيف إلى الشام لأنه بارد ، مما يدل على الظاهر أن
معركة بدر وقعت في فصل الصيف .

ولا يعني هذا أن تجارة قريش في الصيف لا تكون إلا إلى الشام
، وكذا بالنسبة لتجارة الشتاء إلى اليمن ، إنما هو الفرد الغالب ،
وإذا اتفق موسم الحج في الشتاء واحتاجت قريش شراء الحبوب
والقطن والأقمشة والذهب والفضة من الشام فإن قوافلهم تقطع
الصحراء إليها .

من رشحات قانون الاستعانة

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

قد تقدم في الجزء الأربعين بعد المائتين قراءة بلحاظ قانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) بخصوص قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، وهي أول آية من آيات نداء الإيمان في نظم القرآن^(٣) بعنوان آية ﴿قُولُوا انظُرْنَا﴾ وفيه دعوة للسلم والصبر.

ليان قانون وهو آيات السلم أكثر بكثير من التي تتضمن لفظ السلم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤).

والآيات التي تدل على الصلح كما في قوله تعالى ﴿الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٥).

ومن خصائص آيات الأخبار والقصص سلامتها من النسخ، وعدم طروء عليها لأنها حقائق عقائدية وشواهد تاريخية ثابتة. وتتضمن آية البحث أموراً :
الأول : نداء الإيمان .

(١) سورة البقرة ١٥٣.

(٢) سورة البقرة ١٠٤.

(٣) أنظر الجزء الأربعين بعد المائتين ص ٢٢٠-٢٢٩.

(٤) سورة البقرة ٢٠٨.

(٥) سورة البقرة ١٢٨.

الثاني : الأمر إلى المسلمين والمسلمات بالإستعانة بالصبر .

الثالث : الأمر بالإستعانة بالصلاة .

الرابع : الإستعانة الجامعة بالصبر والصلاة قربة إلى الله ورجاء فضله وإحسانه .

الخامس : قانون في جملة خبرية وهو أن الله مع الصابرين .

ولم تقل الآية (ان الله مع المصلين) لبيان أن النسبة بين الصبر والصلاة عموم وخصوص مطلق ، فالصلاة صبر في طاعة الله عز وجل .

وهل يصح تقدير الآية : إن الله مع المصلين ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ۖ ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ۖ ﴾^(٢) أي واجباً مفروضاً .

وقد تقدم في الجزء السابق قراءة سلمية في آيات ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾^(٣) .

ووردت الإستعانة في القرآن بالله عز وجل ، وهي من أبهى مصاديق التوحيد وفي الآيات :

الأولى : قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٤) .

(١) سورة النساء ١٠٣ .

(٢) سورة النساء ١٠٣ .

(٣) أنظر الجزء الأربعين بعد المائتين .

(٤) سورة الفاتحة ٥ .

الثانية : قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ .

الثالثة : قوله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾^(٢) فليس من أمة شرفها الله بالإستعانة بالصبر مثل المسلمين ، ومن مصاديق هذه الإستعانة قوله تعالى ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) .

ومن وجوه الإستعانة بالصبر :

الأول : الصبر في طاعة الله .

الثاني : الصبر عن معصية الله ، فهذا الصبر أمر وجودي وحبس للنفس ومسك وقبض إرادي للجوارح ، وبعث للنفرة في النفوس من المعاصي ، وهل يختص هذا البعث بصاحبه ، الجواب لا ، إنما يتأسى ويقتدي به الآخرون .

الثالث : الصبر عند نزول المصيبة ، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^(٤) .

الرابع : الصبر في دفع الفتنة .

(١) سورة الأعراف ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة ١٥٦ .

والمؤمن لا يعلم عدد الذين اقتدوا به في عمل الصالحات ، وفي اجتناب السيئات ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) في رد الله عز وجل على الملائكة.

الجواب نعم ، ليبين الأجر والثواب العظيم والمضاعف للمؤمن والمؤمنة يوم القيامة ، فيرى أنه لم يعمل من الصالحات ما يكون سبباً وعلة لهذا الثواب.

فيأتيه الجواب من عند الله : إنه ثواب إقتداء الناس بك. وهل يختص هذا الثواب بالملتقين به ممن حوله وممن كان حياً بين ظهرانيهم ، الجواب إنه أعم ويشمل الأبعد عنه ، والذين اقتدوا وتعلموا منه بعد وفاته بدقة وإحصاء لا يعلمه إلا الله عز وجل.

قانون الإستعانة بالصلاة

من الثوابت في الشريعة الإسلامية قانون الإستعانة بالله وحده ، قال تعالى ﴿أَنْ أَلْقُوهُ لَلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٢) ، فلا تصح الإستعانة بغيره ، وهو لا يتعارض مع قانون التوسل ، ونزل القرآن بالإستعانة بالصبر والإستعانة بالصلاة كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) ، لتكون هذه الإستعانة متعددة من جهات :

الأولى : الإستعانة بالصبر .

الثانية : الإستعانة بالصلاة .

الثالثة : الإستعانة بالصبر والصلاة مجتمعين .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ١٦٥.

(٣) سورة البقرة ١٥٣.

ترى ما هي النسبة بين الإستعانة بالله والإستعانة بالصبر والصلاة ، الجواب نسبة الأصل والفرع بتقريب ، وتقدير الآية على وجوه منها :

الأول : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله بالصبر في البأساء والضراء .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله بأداء الصلاة في أوقاتها .

الثالث : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله بالصبر والصلاة معاً .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله في الصبر عن المعاصي .

الخامس : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله لتثبيت مفاهيم السلم في الأرض وتحمل أذى المشركين .

ليبان أن الإستعانة بالصبر والصلاة ليست بعرض واحد مع الإستعانة بالله عز وجل ، إنما هي بطولها وفرع منها .

وجعل الله عز وجل العبادات والفرائض على وجوه :

الأول : العبادات طريق ومرآة الإستعانة بالله ومظهر من مظاهرها .

الثاني : قانون العبادات سبيل قضاء الحوائج .

الثالث : قانون الدنيا دار الإستعانة بالله .

الرابع : الصبر في سبيل الله والصلاة قربة إلى الله عز وجل سبيل من سبل الإستعانة بالله عز وجل ، وهل جاء ذكر الصبر والصلاة في موضوع الإستعانة من باب الحصر أم المثال .

المختار هو الثاني لبيان أن سبل الإستعانة بالله من اللامتناهي ، وتحتمل تلاوة المسلم للآية القرآنية وجوهاً :

الأول : تلاوة الآية القرآنية صبر .

- الثاني : تلاوة الآية القرآنية استعانة بالله لأموال الدنيا والآخرة.
- الثالث : تلاوة آيات القرآن فرع الإستعانة بالصلاة .
- الرابع : تلاوة آيات القرآن صلاح وهداية إلى الإستعانة بالله والتزهد عن الشرك ، قال تعالى ﴿وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(١).
- الخامس : تلاوة القرآن دعوة عامة للصبر والأمر بالمعروف ونهي الخصومة والإقتتال.

قانون الصبر على السلم

لما جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) فإنه سبحانه هداه إلى سبل عمارة الأرض ، مع تقيده في كل يوم من السلم والأمن ، وتحيب حال ومفاهيم السلام إلى النفوس وبعث النفرة من العنف والحرب والإقتتال .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في الصبر وتحمل الأذى ، وكانت سنته القولية والفعلية في الصبر مدرسة الأجيال ، وفيه ترغيب للمسلمين بالصبر ، وبيان أن الصبر خارج موضوع النسخ ، فلا يصل إليه النسخ أبداً .

وعن الإمام علي عليه السلام (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، إذا قطع الرأس نبت باقي الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٣).

والصبر لغة المنع والحبس ، وفي الاصطلاح إمساك النفس والجوارح عن فعل ما يؤدي إلى السخط والأذى .

(١) سورة القمر ١٧.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٠٧.

والصبر واجب ، وعليه الكتاب والسنة والإجماع ، قال تعالى ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) لبيان أن الصبر إحسان للذات والغير.

لقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشد ضروب الأذى من المشركين في بدايات الدعوة النبوية ، وتعرض للشتم والإستهزاء والسخرية مع أن المعجزات كانت تترى على يديه ، وآيات القرآن تنزل بالتتابع والتوالي.

وضرب مشركو قريش الحصار عليه وعلى بني هاشم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ، ولم يشهر سيفاً ، ولم يمسك عموداً ، كان سلاحه الصبر وتلاوة آيات القرآن .

وصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الفقر والفاقة ، وعندما أقبلت الدنيا والغنائم أظهر الزهد ، وأنفق الأموال التي تأتيه في ذات يوم وصولها ، وقد ينفق مائتي وثلاثمائة ألف في اليوم ، ويمسي أهل البيت وليس في بيوتهم ناراً لطبخ زاد.

وهل ذات هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة من الصبر ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٢).

كما صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أذى المنافقين والمنافقات في المدينة ، وكان من منافع هذا الصبر الصلاح العام ، والأجر والثواب ، وتوبة طائفة من

(١) سورة هود ١١٥.

(٢) سورة المدثر ٧.

المنافقين ، وعندما اختارت قريش وحلفاؤها الحرب والقتال ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد عليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمثل ، ولم يغز مكة بغتة ، ولم يتخذ من عمرة القضاء وسيلة للسيطرة على مكة ، وكان أمراً سهلاً ، ولكنه صبر واجتنب سفك الدماء في الحرب مع عدم أهلية المشركين لولاية البيت ، وقبل شرطهم بعدم أدائه وأصحابه العمرة عام الحديبية.

فان قلت قد سار النبي في السنة الثامنة للهجرة وبعد عمرة القضاء بسنة واحدة لفتح مكة ، الجواب من جهات :
الأولى : نقض المشركين بنود صلح الحديبية .

الثانية : صيرورة أكثر أهل مكة مسلمين ، وانتظارهم ذكوراً وإنثاءً الفرج ، ودعوتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقدوم .

الثالثة : حاجة مكة للتنزه عن الشرك والأوثان المنصوبة في البيت الحرام والتي كان عددها ثلاثمائة وستين صنماً .

الرابعة : فتح مكة رحمة دنيوية وأخروية بأهلها وباب لتوبتهم وصلاحهم ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِذْ رَأَوْا بُعْدَهَا لَغَوْرٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الخامسة : من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تبدل حال أهل مكة بعد معركة الخندق وصلاح الحديبية ، ودخولهم الإسلام أفواجاً.

وصار المسلمون والمسلمات يؤدون الصلاة في مكة علانية ، ويتلون آيات القرآن ، ودخل عدد من رؤساء المشركين الإسلام ،

وظهور طائفة ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم ضعيفوا الإسلام والمترددون في أمرهم.

فنزل القرآن بذكرهم وخصهم بسهم من الصدقات ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

قانون الاستعانة بالصبر في الحديبية

من معاني قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٢)، بلحاظ صلح الحديبية وجوه :

الأول : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر لتحقيق السلم .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على شروط الذين كفروا في تحقيق صلح الحديبية ، فحالما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضع الحديبية قال (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم قال للناس انزلوا)^(٣).

وتقديم الرضا بشروط المشركين بقاء صلة الرحم وقبل نزول الجيش من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهات :

الأولى : تهيئة أذهان الصحابة للصلح .

الثانية : البشارة بعدم حدوث قتال ، إذ كان بعضهم يخشى هجوم المشركين لا سيما وأن المسلمين منزوعو السلاح .

(١) سورة التوبة ٦٠.

(٢) سورة البقرة ١٥٣.

(٣) عيون الأثر ١١٥/٢.

الثالثة : قانون الطمأنينة بجوار البيت الحرام ، إذ صار الصحابة على بعد عشرين كيلو متر منه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(١)

الرابعة : بيان قانون أولوية السلم في منهاج النبوة .
الخامسة : قانون تنمية ملكة السلم والصلح عند المسلمين ، فلما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢) جاءت السنة النبوية لبيان كيفية هذا الدخول ، وسبله ، وعدم التردد أو التلكؤ فيه ، وهو من مصاديق قانون تفسير السنة النبوية العملي لآيات القرآن .
الثالث : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصلاة لدعوة الناس إلى الإسلام.

وهذه الإستعانة من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو لم يستعن بالقوة والسلاح والسلطان والمال والجاه بل بذكر الله وسنن التقوى ، وصار أعظم سلاح لجذب الناس إلى الإيمان.

الرابع : بين الإيمان والكفر تضاد وتخاصم ، وليس من سبيل للإلتقاء بينهما ، وقد سالت الدماء بين المسلمين وبين مشركي قريش وحلفائهم.

وكان العرب يعرفون بالثأر والميل الشديد للإنتقام ، وتعير الذي يتخلف عن الأخذ بثأره ، فنزل القرآن بنسخ هذه الأعراف ، ولزوم الدعوة والدخول في السلم في كل حال وعلى نحو الإطلاق ، لبيان قانون نسخ النبوة لأعراف الجاهلية المذمومة ، وبناء صرح

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢٠٨.

قيم النبوة القائمة على السلم والصلح والمودعة والعفو والرأفة والمحبة ، بما يفيد استدامة طاعة الله ، وحال السلم والتسامح.

وقد ورد لفظ (الجاهلية) أربع مرات في القرآن ، منها قوله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١).

الخامس : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم في الحديبية فانه فتح وظفر ، فما أن تم صلح الحديبية حتى نزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

وهل حال السلم واستدامته أمر وجودي أم عديمي ، الجواب هو الأول ، لذا لا بد من تعاهده وفيه الأجر والثواب .

وهل يدخل في قوله تعالى ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾^(٣) ، أم أن المتيقن من الدخول هو الإبتداء ، الجواب هو الأول ، فالمراد من الدخول هو استدامة البقاء في حال السلم والصلح ، ودفع مقدمات الفتنة وأسباب الإقتتال وتجده ، وتقدير الآية على وجوه:

الأول : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم ولا تغادروه .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم وتقيدوا بشرائطه ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٤).

(١) سورة الفتح ٢٦.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة البقرة ٢٠٨.

(٤) سورة الإسراء ٣٤.

الثالث : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أمر مركب يتقوم بأطراف:

الأول : طرفا السلم .

الثاني : موضوع السلم .

الثالث : تعاهد حال السلم .

الرابع : الصبر على السلم ، ومنع النفس الغضبية والشهوية من الإستحواذ على الجوارح وعالم الفعل .

ولذا كانت الإستعانة بالصبر على تحقيق السلم ظاهرة وجلية ، فهل يستعان بالصلاة لتحقيق السلم ، الجواب نعم .

ليكون من معاني ورشحات قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١) ، أي أنها فرضت عليهم لتهديب الأخلاق ، وتعاهد صرح السلم والترغيب بالصلح ، والرضا بحكم الله ، وقهر النفس الغضبية ، وفي التنزيل ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْغُوزُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢) .

(وقد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أمرني ربي بتسع الإخلاص في السر والعلانية.

والعدل في الرضا والغضب.

والقصد في الغنى والفقر .

وأن أعفو عمن ظلمني.

وأصل من قطعني.

وأعطي من حرمني .

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة المائدة ٥٠.

وأن يكون نطقي ذكرا.

وصمتي فكرا ونظري عبرة^(١).

ومن السلم ورشحاته العفو عن الظالم والمعتدي ، ومنه صلة الذي يقطع الرحم وعدم مقابله بالمثل .
وقال ابن عربي (قوله تعالى {وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} ^(٢)).

فيها مسألتان : المسألة الأولى هذه الآية منسوخة بآية القتال ، وكل منسوخ لا فائدة لمعرفة معناه ، لا سيما في هذا الموضع^(٣) .
ولكن النقاش في الكبرى وهي عدم ثبوت النسخ وعلى فرض نسخ عدد قليل من آيات القرآن فإن معناها باق ، ومضامينها القدسية متجددة ويلزم الغوص في ذخائرها ، ولا يصح تعطيل تفسير آيات من القرآن.

والمختار أن الآية أعلاه محكمة غير منسوخة والمراد من آية القتال قوله تعالى في سورة التوبة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ^(٤).

من آيات السلم

قد تقدم ذكر بعض آيات للسلم قيل انها منسوخة ، ثم جمع عناوينها والإشارة إلى الأجزاء التي تتضمنها في باب أجزاء (آيات السلم) في الجزء السابق وهو الأربعون بعد المائتين ص ٢٩٧.

(١) تفسير القرطبي ٣٠١/٧.

(٢) سورة المزمل ١٠.

(٣) ابن عربي/ أحكام القرآن ٤٦٤/٧.

(٤) سورة التوبة ٢٩.

ونذكر في هذا الجزء وأجزاء لاحقة آيات أخرى قيل أنها منسوخة ولم يثبت نسخها.

وأوصل بعض العلماء عدد الآيات المنسوخة إلى (مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ففي البقرة وقولوا للناس حسنا ولنا أعمالنا ولا تعتدوا أي لا تبدءوا بالقتال ولا تقاتلوهم)^(١).

وقيل (وأما الآيات المنسوخ عمومها بالاستثناء أو ما في معناه بعدها فثلاثة وعشرون موضعا في إحدى عشرة سورة فأما الآيات المنسوخة على النظم فمائة وثلاثة مواضع في ثلاثين سورة فجملة المواضع المنسوخة مائتان وتسعة وأربعون موضعا ، وأما الآيات الناسخة فمائة وثمانية مواضع في سبع وثلاثين سورة)^(٢).

ولا أصل لهذه الدعوى ، كما سيأتي بيان سلامة كثير منها من النسخ.

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحض على مكارم الأخلاق ، وصيغة الإطلاق في حسن المعاملة ، (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخره.

قالوا: بلى يا رسول الله: فقال: إفشاء السلام في العالم)^(٣). ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إفشاء التحية ، ولم يخصه بالمسلمين إنما ذكر السلام بالذات والنسبة الموضوعية بينه وبين التحية عموم وخصوص مطلق ، فموضوع السلام أعم ، أما إذا كان المراد قول السلام عليكم فهو أخص من التحية .

(١) ابن جزى/التسهيل لعلوم التنزيل ١٩/١.

(٢) ابن البازري(ت ٧٣٨ هجرية)/ ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٣/١.

(٣) البحار ١٢/٧٣.

لقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نشر ألوية السلام بالقول والفعل وذكر لفظ (العالم) لإرادة أهل المشرق والغرب وأصحاب الملل المختلفة ، (وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خياركم أولوا النهى، قيل: يا رسول الله ، ومن أولوا النهى.

قال: هم أولوا الاخلاق الحسنة والاحلام الرزينة، وصلة الارحام، والبررة بالامهات والآباء والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون) ^(١).

ونادراً أن تجد حديثاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه (في العالم) بينما ورد بخصوص السلام وعلى نحو مكرر .

اقسام النسخ

النسخ هو رفع حكم ثابت بخطاب وحكم لاحق لولاه لبقية الحكم في الخطاب الأول ، وأركان النسخ هي :

الأول : الناسخ وهو رافع للحكم السابق .

الثاني : المنسوخ وهو الحكم المرفوع والذي أصبح متروكاً .

الثالث : موضوع النسخ .

قال تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢).

كما جاء النسخ في القرآن بمعنى نقل الكتابة ، ولكن الفرق ظاهر في المقام إذ ورد بصفة نستنسخ ، وكانت طائفة من المتقدمين تطلق النسخ على التخصيص والإستثناء ونحوه.

(١) البحار ٧١/٥٧.

(٢) سورة البقرة ١٠٦.

وقالوا بنسخ آية السيف لمائة وأربع عشرة آية ، أما المتأخرون فقالوا باختصاص النسخ بمجئ حكم يرفع حكماً سابقاً لذا قالوا : لا ينسخ بآية القتال والسيف إلا ما فيه نهى عن القتال ، فلا يشمل حال المسلمين قبل الأمر بالقتال لعدم قدرتهم عليه فلا يجوز النهي عنه ، ولكن حتى هذا المعنى لم يثبت فان آيات السلم والصلح والمواذعة باقية على حالها ، وكذا آيات النهي عن القتال.

والناسخ على أقسام :

الأول : نسخ الآية من القرآن بآية أخرى من القرآن ، قال تعالى ﴿وَإِذَا بَدُلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُتَكَبِّرٌ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

الثاني : نسخ القرآن للسنة النبوية ، وهو جائز فقد جعل الله عز وجل القرآن ﴿تَبَيَّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

و(عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما نزلت هذه الآية^(٣) أسمع ربي قد رخص لي فيهم ، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم . فقال الله من شدة غضبه عليهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤)^(٥).

(١) سورة النحل ١٠١.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) أي آية ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة ٨٠.

(٤) سورة المنافقون ٦.

(٥) الدر المنثور ١٢٧/٥.

الثالث : نسخ السنة بالسنة ، وهو جائز ، و(عن ابن بُرَيْدَةَ، عن أبيه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم، وقال: يا رسول الله، ما لك؟

قال: "إني سألت ربي، عز وجل، في الاستغفار لأمي، فلم يأذن لي، فدمعت عيني رحمة لها من النار، وإنني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، لتذكركم زيارتها خيراً، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية، فاشربوا في أي وعاء ولا تشربوا مسكراً)^(١).

الرابع : نسخ القرآن بالسنة ، وهو غير جائز ، فالسنة لا تنسخ القرآن خاصة وأن القرآن قطعي الصدور قطعي الدلالة ، ومن السنة النبوية ما هو ظني الصدور وإن كان قطعي الدلالة ، وقال جماعة منهم أبو حنيفة بالجواز ، والمدار على الدليل والبرهان.

وقال في معالم الدين في الأصول^(٢) (يجوز نسخ كل من الكتاب والسنة المتواترة والآحاد بمثله ، ولاريب فيه . ونسخ الكتاب بالسنة المتواترة وهي به ، ولانعرف فيه من الاصحاب مخالفاً ، وجمهور أهل الخلاف وافقونا فيه ، وأنكره شذوذ منهم ، وهو ضعيف جداً لا يلتفت إليه ، ولا ينسخ الكتاب والسنة المتواترة بالآحاد عند أكثر العلماء)^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٢٢.

(٢) وهو من دروس الحوزة العلمية ، وقد درسته وامتحنت به قبل ثلاثين سنة عند الأستاذ آية الله السيد الحسين بحر العلوم.

(٣) الشيخ حسن بن زين الدين معالم الدين في الأصول ١/١٨٨.

ولم ينكر نسخ السنة للقرآن شذوذ ، بل هو المشهور والمختار .
 وإذا قيل أن السنة نسخت آيات من القرآن فليذكروا هذه الآيات ،
 والأحاديث التي نسختها كي يتبين الصواب من الخطأ وعلى فرض حصول
 فرد واحد أو اثنين فليس بحجة وبرهان ولا يرقى إلى إنشاء قانون وقاعدة
 كلية بأن السنة تنسخ القرآن ، وأحاديث العرض بخلافه .

النسبة بين النسخ والإستثناء

هناك تباين موضوعي وحكمي بين النسخ والإستثناء ، والنسخ
 لغة الإزالة وهو على أقسام :

الأول : يأتي البديل عن المنسوخ مثل :

الأول : نسخ الشيب الشباب .

الثاني : مجئ الناسخ مع بقاء المنسوخ على حاله ، كما في قولك
 نسخت الكتاب ، أي صارت له نسخة ثانية مشابهة للأولى كما هو
 شائع في هذا الزمان ، أما في الإصطلاح فالمعنى مختلف ، ويتعلق
 بالحكم ، وهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه .

ويبقى الناسخ والمنسوخ في القرآن من غير تعارض بينهما ،
 ولكن الآيات المنسوخة قليلة .

وأكثر النسخ الذي ذكره بعض المفسرين لم يثبت ، قال تعالى
 ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُتَقَرِّبٌ لِّأَكْثَرِهِمْ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾^(١) .

ومن النسخ في السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن

الأشربة إلا في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير ألا تشربوا مسكرا^(١).

وعن بريدة (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث وعن النبيذ إلا في سقاء وعن زيارة القبور فكلوا من لحوم الأضاحي ما بدا لكم وتزودوا وادخروا ومن أراد زيارة القبور فإنها تذكر الآخرة ، واشربوا واتقوا كل مسكر)^(٢).

أما الإستثناء فهو إخراج الاسم الواقع بعد أداة الإستثناء من الحكم الواقع على ما قبلها .

وللإستثناء أركان ، وهي :

الأول : المستثنى منه ، وهو الاسم المعرفة الذي يقع قبل أداة الإستثناء ويتعلق الحكم به في ذات الجملة .

الثاني : أداة الإستثناء ، وهي الكلمة التي تستعمل لإخراج ما بعدها من حكم ما قبلها ، وهي :

الأولى : حرف (إلا) وهو أشهرها وأكثرها استعمالاً .

الثانية : اسم (غير) (سوى) ويكون المستثنى بهما مجروراً على أنه مضاف إليه .

الثالثة : فعل أو حرف جر (عدا) (خلا) (حاشا) .

وتستعمل هذه الأدوات مرة على كونها أفعالاً ، وأخرى تقبل أن تكون حروف جر ، وعليه يترتب إعراب المستثنى .

فاذا استعملت أفعالاً صار المستثنى مفعولاً به ، وهي أفعال جامدة لا تنصرف ، ويلزمها حال واحدة ، وصيغتها الماضي ، ولا يأتي منها مضارع أو أمر .

(١) تفسير القرطبي ٦١/٢ .

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٦٩/٢ .

أما اذا استعملت كحروف جر فيكون المستثنى اسماً مجروراً بحرف الجر.

وورد من أدوات الإستثناء في القرآن حرف (إلا) ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ إِلَيْهِ﴾^(١).

وقد تأتي (إلا) أداة للحصر بعد النفي ، كما في قوله تعالى في ذم المجرمين ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) ، وأيهما أكثر وروداً في القرآن (إلا) للإستثناء أم للحصر ، لا بد من إحصاء دقيق وتتبع لآيات القرآن في دراسة خاصة ، والمختار أن استعمال (إلا) للحصر في القرآن هو الأكثر.

وقد يأتي الإستثناء في القرآن بغير أدوات الإستثناء التي ذكرها النحويون ، مما يدل على أن علوم القرآن أعم من أن تحيط بها الصناعة النحوية والأصولية والكلامية .

فقد ورد الإستثناء في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ، فقوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إستثناء ليقى عمل المستثنى منه على حاله ، والمستثنى يكون فرداً نادراً لا يتعارض معه إنما هو في طوله.

وليس هو من جنس النسخ .

(١) سورة الأنعام ١١٩.

(٢) سورة الأنعام ١٢٣.

(٣) سورة البقرة ١٧٣.

أي من أكل من هذه الأشياء المحرمة وهو مضطر فلا شئ عليه لأنه يدفع الموت عن نفسه ، ويكون أكله بمقدار سدّ الرمق وقدر ما يقيمه .

ومن أكله بغير ضرورة وحاجة فهو باغ وعاد .
وعن الإمام الصادق عليه السلام (الباعي: الذي يخرج على الامام والعادي: الذي يقطع الطريق، لا تحل لهما الميتة)^(١).
وليس من نسخ في المقام إنما هو إضطرار ، وأحكام الضرورة سيالة من باب الطهارة إلى باب الديات .
ومن خصائص الإستثناء هنا عودة المكلف إلى حكم الأصل بعد زوال الضرورة ، بينما يبقى حكم الناسخ ولا يرجع إلى المنسوخ.

وقد يقال باحتمال العودة للمنسوخ عند تجدد ذات الحال التي أنزل فيها كما لو كان بلداً دخله الإسلام حديثاً ، وهذه العودة لم تحدث في تأريخ الإسلام إلى يومنا هذا ، لإنتفاء أسبابها ، ولعدم وجود دليل على العودة للمنسوخ عند تجدد ذات الحال التي نزل فيه ، فالتوجه إلى البيت الحرام قبله باق إلى يوم القيامة .

وكذا قيل بالنسخ بخصوص الإستثناء في قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾^(٢) ، وتمام الآية هو ﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدَفْنِيَ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَسَّ بِالْعُمْرَةِ

(١) البحار ٦٢/١٠٤.

(٢) سورة البقرة ١٩٦.

إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِيهِ
الْحَجُّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

وكذا بالنسبة لقوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِثَ الرِّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا
مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا
وَشَاوِرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا
سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)
وقيل ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرٍ﴾ (٣) (٤) لا ينسخ مدة
الرضاعة حولين كاملين ، إنما هو إستثناء بقيد التراضي ، ولقاعدة
نفي الحرج في الدين .

الثالث : المستثنى : وهو الاسم الذي يقع بعد أداة الإستثناء
ويخرج عن حكم الاسم الواقع قبل أداة الإستثناء .

الرابع : الحكم : وهو المعنى الذي يتضمنه المستثنى منه دون
المستثنى ، سواء كان إثباتاً أو نفياً .

الإختلاف بين النسخ والإستثناء

لا صلة بين النسخ والإستثناء ويكون التباين من جهات :

(١) سورة البقرة ١٩٦.

(٢) سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) سورة البقرة ٢٣٣.

(٤) أنظر ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٤/١.

الأولى : النسخ رفع حكم شرعي بحكم آخر مستحدث بديلاً عنه.

الثانية : اتحاد موضوع النسخ ، كما في نسخ القبلة ، فهي موضوع واحد ولكن الإختلاف في الجهة ، فعندما صار التوجه إلى البيت الحرام قبله نسخ وغلق اتخاذ بيت المقدس قبله ، قال تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (قد نرى) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، لبيان موضوعية القبلة .

أما الإستثناء فموضوعه متعدد ، فالمستثنى غير المستثنى منه.

الثالثة : يزيح الناسخ المنسوخ من مقام الحكم ، أما الإستثناء فلا يزيح المستثنى منه .

الرابعة : قد يكون الإستثناء نفيًا لإثبات أو إثباتاً لنفي مع تعدد الأفراد فالمثبت غير المنفي ، أما النسخ فانه متحد الموضوع ، والنسبة بين الناسخ والمنسوخ البدلية ويأتي الناسخ دائماً بدل المنسوخ .

الخامسة : قلة النسخ وكثرة الإستثناء في القرآن .

السادسة : لا يطرأ النسخ على الأخبار ، ويأتي الإستثناء فيها.

السابعة : يتضمن الإستثناء تقييد المدح أو الذم ، أما النسخ فهو حكم شرعي .

الثامنة : النسخ لطف وتخفيف من عند الله عز وجل ، وقد يلتقي معه الإستثناء بخصوص المستثنى منه ، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا

أَكَلَ السَّعْبُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ^(١)، وقوله تعالى ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ^(٢)﴾.

التاسعة : لكل من المستثنى والمستثنى منه حيزه وموضوعه فلا المستثنى يتعدى على المستثنى منه ، ولا يقع العكس للتباين الموضوعي ، بينما يأتي الناسخ ليزيح المنسوخ عن دست الحكم .

العاشرة : بقاء حكم المستثنى منه ، وحكم المستثنى إلى يوم القيامة من غير تعارض .

والنسبة بين النسخ والإستثناء ليس التساوي ، إنما هي العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما ، ومادة الإفتراق هي الأكثر .

لذا فان قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٣)﴾ ، لا تنسخ اللعنة المذكورة في الآية السابقة لخصوص الذين يكتمون البيئات والحجج والبراهين التي تدل على صدق النبوة ، ونزول القرآن ، إنما يخرج المستثنى بالتخصص من عمومات الآية السابقة ومع كثرة الذين يتوبون يقل عدد الذين تنزل عليهم اللعنة من عند الله والملائكة والناس ، وهو من إعجاز القرآن باتخاذ الإستثناء وسيلة للتوبة والإنابة والصلاح .

قانون جواز النسخ

إجماع المسلمين على جواز النسخ من وجوه :

الأول : العقل ، وأن الله عز وجل لطيف يخفف عن المؤمنين .

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) سورة المائدة ١ .

(٣) سورة البقرة ١٦٠ .

الثاني : الشرع والنقل ، والله المشيئة المطلقة ، يفعل ما يشاء ، وينفع النسخ الناس في النشأتين ، قال تعالى ﴿ مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) .

الثالث : وقوع النسخ في القرآن .

ولا عبرة بالقليل النادر الذي أنكر النسخ ، وليس من الصحابة وأهل البيت عليهم السلام من أنكره .

وقد أقر أبو مسلم الأصفهاني (٢٥٤ - ٢٣٣) هجرية وهو من المعتزلة ومن تابعي التابعين بجواز النسخ ، ولكنه أنكر وقوعه في القرآن ، ولا يلتفت إليه فقد سبقه الإجماع وتعبه .

وكان أبو مسلم من رجالات الدولة العباسية ، وله تفسير جامع التأويل لمحكم التنزيل ، وهو غير متوفر ، إنما جمعت أقواله بواسطة كتب أخرى ذكرت في مجمع البيان ، ومفاتيح الغيب ، لذا فالقول بأنه منكر للنسخ واقعاً لم يثبت ، وقيل أنه يحمل آيات النسخ على التخصيص ، ويجعل هذا الحمل خلافاً صغرياً .

وأستدل بقوله تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . ﴾^(٢) إنما ورد بالنقل من غير مستند وصل إلينا ولعله يقصد غير الذي نقل عنه خاصة وأن قوله مخالف لإجماع الأمة .

ولا ملازمة بين النسخ والبداء ، إذ أن الله عز وجل منزّه عن البداء الذي بمعنى ظهور بعد خفاء ، إنما يعلم الله عز وجل ما يصلح الناس في كل زمان ، وينقلهم من حكم إلى حكم آخر تخفيفاً ، وحكمة منه تعالى ، وهو من تصرفه المطلق في عالم الأكوان

(١) سورة البقرة ١٠٦ .

(٢) سورة فصلت ٤٢ .

والخلائق ، فالنسخ من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾^(١) (٢) .

وهل النسخ من مصاديق قوله تعالى ﴿يُحْيُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ
أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣) ، الجواب نعم .

ولكن أكثر ما ذكر من النسخ في القرآن لم يثبت ، ومنه نسخ آية
السيف لنحو مائة وأربع وعشرين آية من القرآن ، وهو بعيد عقلاً
وشرعاً ودلالة ، كما ورد البيان في الأجزاء السابقة وهذا الجزء
بخصوص ثبوت عدم نسخ عدد من آيات السلم والصلح
والموادة ، وتأتي أجزاء أخرى بذات الموضوع إن شاء الله .

بحث كلامي

يقتضى العلم أمراً وجودياً ، والوجود أشرف من العدم ، والعلم
ضده الجهل ، ومن البديهيات ان العالم أشرف وأحسن من الجاهل ،
وعليه النقل والعقل .

ومن خصائص العالم تسخير علمه في طاعة الله عز وجل ،
والنفع العام ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ﴾^(٤) ، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥) .

وفي المرسل عن مكحول قال (سئل رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم عن العالم والعابد فقال : فضل العالم على العابد

(١) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٢) أنظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين الذي اختص بتفسير هذه الآية .

(٣) سورة الرعد ٣٩ .

(٤) سورة العنكبوت ٤٣ .

(٥) سورة فاطر ٢٨ .

كفضلي على أدناكم . ثم تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(١) ثم قال إن الله وملائكته ، وأهل السماء ، وأهل الأرض ، والنون في البحر ، ليصلون ، على معلمي الخير ^(٢).

وعن (قيس بن كثير قال: قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء -وهو بدمشق- فقال: ما أقدمك أي أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال أما قدمت لتجارة؟ قال: لا.

قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا؟ قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.

قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيه (علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء .

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) ^(٣).

ويدل الحديث بأن العلماء ورثة الأنبياء على قانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) بدلالة وراثة العلماء للعلوم والمعارف ، فلم يرثوا منهم السيف وتعلم الرماية ، وإنما ورثوا العلم ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا ظَرَمُنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

(١) سورة فاطر ٢٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٧٥/٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٥٠/٦ .

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾.

وقد شرف الله عز وجل الإنسان بالعلم وجعله زيتته وغذائه الروحي وبصره ودليله.

وقد تجلّى شأن العلم في حياة الإنسان باقترانه بأصل خلقه إذ جعله الله عز وجل موضوعاً لأول خطاب تلقاه آدم عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢).

وكان العلم عنوان الفخر منذ خلق آدم عليه السلام، ولم يكن فخراً مقارنة مع المخلوقات ذات المراتب الأدنى من جنس الإنسان بل أمام الملائكة الذين شرفهم الله عز وجل بالقرب والدنو من العرش وبخصال كريمة ينفردون بها.

وينقسم العقلاء إلى قسمين عالم وجاهل، والإنسان ينفر من الجهل ولا يركن إليه لما نفخ الله تعالى فيه من روحه، وقد دأب الأنبياء والحكماء وقادة الأمم على تحصيل العلم واكتسابه إلا أن الأنبياء ينفردون بخصوصية وهي الوحي والعلم من عند الله عز وجل .

ولا يمكن إجراء مقارنة تشابه بين العلم الحضوري والكسبي، فارقى مراتب التحصيل لا تبلغ أدنى درجات الوحي مطلقاً، ووحي النبوة أسناها وأعلاها .

ومع اختصاص الوحي بالأنبياء فانهم شاركوا الناس طلب العلم وكانوا رواده والمبشرين إليه بمجد ومثابرة، وقد ورد (عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) سورة البقرة ٣١.

تَغْدُو فَتَعْلَمَ بِأَبَا مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ
أَلْفَ رَكْعَةٍ^(١).

ورمي الحديث بضعف السند.

إن مسألة من مسائل العلم تفتح أبواباً عقائدية كل واحد
منها يساهم في تثبيت أركان العبادة في الأرض ، ومنه قوله
تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢).

وبين طلب العلم والعبادة عموم وخصوص من وجه وليس
عموماً وخصوصاً مطلقاً، ففي طلب العلم منافع يلتقي فيها مع
العبادة، ولكل منهما منافع يستقل بها .
ومن الآيات ان كل واحد منهما يقتبس من الآخر ، ويؤثر فيه
تأثيراً إيجابياً .

ومن مادة الإلتقاء تداخلهما واشتراكهما في ارتقاء الإنسان في
سلم الكمالات الإنسانية والتوجه نحو الجزاء الحسن في الآخرة.
لقد رغب الأنبياء في طلب العلم حثاً للناس على وروده ، وعدم
الترفع عن الكسب وللحاجة المستديمة للعلم سواء النظري منه أو
العملي.

والعلم تسخير للعقل وهو أشرف ما جعل الله عند الإنسان،
والعقل عقلان شخصي ونوعي وكل منهما يؤثر بالآخر ويتأثر به إلا
أن تأثير الثاني بالأول هو الأكثر.

والنبوة خارجة بالتخصص ، لأن الوحي يفوق العقل
بالمرتبة والفعل والأثر ، قال تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ

(١) سنن ابن ماجه ٢٦٣/١ .

(٢) سورة العلق ٥.

الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^(١)، والعقل حائل دون تعطيل الحواس، ومتى ما كان اتجاه الأمة اتجاهاً عقلياً فإنها ترتقي في ميادين الحياة المختلفة.

تقدير ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾

لقد ورد الضمير (هو) في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ الَّذِينَ﴾^(٢)، ويعود لله عز وجل بلحاظ الآيات السابقة وعطف الضمير عليها، قال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ الَّذِينَ﴾^(٣).

وذكرت الآية الإطعام والسقاية على نحو الإطلاق والموجبة الكلية لإفادة الإستدامة والتجدد والكثرة فيهما، أما المرض فقد ذكرته الآية بصيغة القضية الشرطية والأمر الطارئ لدعوة الناس للدعاء وسؤال الوقاية من المرض، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ الَّذِينَ﴾^(٤).

وسورة الشعراء مكية لذا تضمنت الإنذار والوعيد للمشركين عبدة الأصنام مع الإحتجاج عليهم والترغيب باللجوء إلى الله عز وجل فهو المشافي والمعافي، وكل انسان يحب العافية ويرجو الشفاء إذا ابتلي بالمرض، فالآية

(١) سورة هود ٤٩ .

(٢) سورة الشعراء ٨٠.

(٣) سورة الشعراء ٧٧-٨٠.

(٤) سورة الشعراء ٨٠.

ترغيب بالإسلام ، ودعوة للتدبر في الشواهد الكثيرة من شفاء المؤمنين.

وقد خلد القرآن الطب النبوي ومعجزة عيسى في الطب وشفاء الأمراض المستعصية ، وإحياء الموتى بإذن الله ﴿وَأُبْرِى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١) ، ومن معاني قيد (بإذن الله) في المقام وجوه :

الأول : الشكر لله عز وجل .

الثاني : منع الغلو بشخص عيسى عليه السلام .

الثالث : دعوة عيسى عليه السلام الناس إلى عبادة الله والتصديق برسالته .

الرابع : تفقه الناس في الدين ، وإرتقاؤهم في المعارف الإلهية ، وإدراك أن الأمور تجري بمشيئة من عند الله عز وجل .

الخامس : البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعجزات التي يأتي بها من عند الله عز وجل ، ومنها توثيق معجزات الأنبياء في القرآن الكتاب السماوي الخالد والباقي إلى يوم القيامة بسلامته من التحريف ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

السادس : تفويض عيسى عليه السلام الأمور إلى الله ، نسبة معجزاته إليه سبحانه دعوة للسلم ومنع من الإقتتال .

السابع : شفاء الأعمى والأبرص وذوي الأمراض الجلدية المستعصية على يد الرسول عيسى عليه السلام دعوة سماوية للسلم المجتمعي.

(١) سورة آل عمران ٤٩.

(٢) سورة الحجر ٩.

وهل إبراء الأكمه والأبرص من باب الحصر أم من باب المثال وأن عيسى عليه السلام يشافي أمراضاً أخرى باذن الله ، المختار هو الثاني .

أحاديث العرض سلام

الحمد لله الذي جعل القرآن ﴿ثِيَابًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، ومنع قطع الخلاف في نسخه للسنة النبوية ، وعدم نسخها له ، فأيات القرآن بيان كاف وشاف لأمر الدين والدنيا ، ولا يعني هذا الإستغناء عن السنة فهي ترجمان القرآن وتفسير لآياته ، وعون في كشف بيانه للأحكام والقوانين والمسائل.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حدثتني بالحديث فأنحلوني أهناه وأسهله وأرشدته، فإن وافق كتاب الله فأنأ قلته، وإن لم يوافق كتاب الله فلم أقله)^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه صعد المنبر (فخطب الناس فقال : إن الحديث سيفشو عني فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني)^(٣).

وعن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث (وإنه سيفشوا عني أحاديث فما

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) البحار ٢/٢٤٢ .

(٣) البيهقي / معرفة السنن ٩/١ .

أتاكم من حديثي فاقروا كتاب الله واعتبروه فما وافق كتاب الله فأنأ قلته وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله^(١).

ويمكن القول أن أحاديث العرض من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أول من دعا إلى اللجوء إلى القرآن وإلى تنقيح السنة النبوية ، ومنع الإفتراء عليه إلى يوم القيامة .

وفتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لطبقات العلماء باب تنقيح الأحاديث النبوية وإسقاط الحديث الموضوع .

وتأسس علم الدراية والرواية وقواعد ضبط الحديث النبوي ، ليعث الشوق في نفوس طلبة العلم والطمأنينة في نفوس المسلمين ، وتثيت منهاج العلوم بالصدور عن القرآن ، واللجوء إليه في الملمات ، وتلقي الأحاديث النبوية الشريفة بالقبول ، وتجلي معاني الإعجاز بالجمع بين آيات القرآن ، وبينها وبين السنة النبوية ، وكذا الإعجاز لخصوص آيات القرآن ، وخصوص ذات السنة النبوية.

ولا ينحصر الأمر في المقام بأحاديث العرض ، بل تدل السنة النبوية واستشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن وآياته على الصدور عنه ، وكون السنة النبوية بياناً ومرآة للقرآن ، وليس في السنة النبوية ما يدل على نسخ آيات السلم والصلح .

وليس من حصر للآيات والأحاديث التي تدل على الرأفة والرحمة والإحسان للناس جميعاً ، وهذه الأحاديث شواهد على صدق أحاديث العرض على القرآن بالإضافة إلى إتحاد السنخية ، فكل من القرآن والسنة النبوية وحي ولكن القرآن أرقى مراتب فهو كلام الله عز وجل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(١) ، وقال تعالى بخصوص السنة النبوية ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

ومنهم من أنكر أحاديث العرض ، وليس له دليل ، وهل تدل أحاديث العرض على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم .

لما فيها من التحدي بموافقة السنة النبوية للقرآن ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلن هذه الأحاديث وليس من شخص من المسلمين وأهل الكتاب من قال بتعارض بين القرآن والسنة لإنتفاء هذا التعارض .

لقد حالت أحاديث العرض دون الكذب والإفتراء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في باب الأحكام والسلم والحرب والأسرى والغنائم والصلح ، إذ بقيت آيات السلم والصلح على حالها سالمة من النسخ لقانون السنة النبوية شاهد على استدامة أحكام آيات السلم والصلح والموادعة إلى يوم القيامة ، فليس من نسخ لها في القرآن ، ولا تنسخها السنة ولا يطرأ حديث نبوي موضوع محاولة لنقضها إذ أغلق هذا الباب ، وسقطت الأحاديث الموضوعة ، وشخصت أحاديث خبر الواحد مع حجيتها ، وبينت الأحاديث الضعيفة ، ومع الإختلاف والتعارض يكون القرآن هو الفيصل لأمر :

الأول : القرآن كلام الله وهو قطعي الصدور ومنقول بمراتب أعلى من التواتر .

(١) سورة فصلت ٤٢.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

الثاني : تفسير آيات القرآن بعضها لبعض والذي سميته (التفسير الذاتي) وما هو مجمل في موضع تجده مبيناً في موضع آخر.

الثالث : خلو القرآن من التضاحم أو التعارض .

الرابع : ليس من موضوع ومسألة تتعلق بالسلم والحرب إلا في القرآن وبما يمنع من الشطط والغبن والظلم .

الخامس : قانون وجوب التدبر في آيات القرآن ، قال تعالى ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١).

ومن الإعجاز في أحاديث العرض أنها سلام وبرزخ دون إثارة الخصومات بأحاديث موضوعة.

بين نسخ الشرائع والأحكام

النسخ فضل ورحمة وتخفيف من عند الله عن المكلفين ، وتقريب لهم لطاعة الله ، وهو من الشكر لهم على حسن امتثالهم للأوامر الإلهية ، فيأتي بالفعل العبادي التام ، فينزل النسخ والتخفيف والبدل ليظهروا امتثالاً مستحدثاً هو طاعة الله عز وجل في الجديد من التكليف من غير تردد أو شك أو وهم ، والنسخ على قسمين :

الأول : النسخ بين الشرائع ، إذ تنسخ الشريعة اللاحقة بعضاً من أحكام الشريعة السابقة مع تجلي المنافع لهذا النسخ ، والإرتقاء في سلم المعارف عند أداء الفرائض .

وفي النسخ لطف من الله ، بما ينفع العباد في مصالحهم كما يبين النسخ معجزة لكل نبي وأنه يأتي بتشريع مستقل في طول التشريعات السابقة وليس في عرضها ، ولييان التعدد في أمم الموحيدين واتباع الأنبياء ، ولزوم الألفة بينهم ولييان أن الملك لله

وحده وله المشيئة في الخلائق ، ويكون من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) ، أي يعبد الناس الله عز وجل بالكيفية التي يريد لها هو سبحانه.

فلا يأتي النسخ بين الشرائع على أركان العبادة من الصلاة والزكاة والصوم وإن اختلفت الكيفية وشرائط الأداء ، وفي الصيام ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

والنسخ تدبير عظيم من حكمة الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ، ومن النسخ في الشرائع السبت ، وتعين القبلة وكيفية الصلاة ، ومنه منع الجمع بين الأختين الذي كان في الشرائع السابقة.

الثاني : نسخ بعض الأحكام في الإسلام .

من بديع صنع الله التنزيل ، والنبوة ، وهما صلة بين الله عز وجل وبين الناس من غير حاجة منه سبحانه إلى هذه الصلة ، ولكنها لطف ورحمة ، وشاهد على عظيم سلطانه وسعة قدرته ، وأنزل الله عز وجل القرآن ﴿ثُبَّتْنَا كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤) ، ومنه شهادته على وقوع النسخ .

و(عن أبي البخري قال : دخل علي بن أبي طالب عليه السلام المسجد فإذا رجل يخوف فقال : ما هذا .

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة ٢١٦ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

فقالوا : رجل يذكر الناس .

فقال : ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان بن فلان
فاعرفوني ، فأرسل إليه فقال : أتعرف الناسخ من المنسوخ .
فقال : لا .

قال : فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه .
وأخرج أبو داود والنحاس كلاهما في الناسخ والمنسوخ
والبيهقي في سننه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : مر علي بن
أبي طالب عليه السلام برجل يقص فقال : أعرفت الناسخ
والمنسوخ؟
قال : لا .

قال : هلك وأهلك^(١).

ومن خصائص النسخ أنه جامع للرحمة والإمتحان والإختبار
ليكون العبد على استعداد للإمتثال للتنزيل ، وليبان مرتبة المسلمين
الأوائل في طاعة الله ورسوله .

ولكن النسخ في القرآن قليل ، ولا يرجع فيه إلى قول المفسرين ،
وإجتهاد العلماء وحده ، إنما هو تشريع ورفع حكم ، ومجئ حكم
آخر بديل فلا بد أن يكون هذا البديل ظاهراً جلياً ، صالحاً للثبات ،
خالياً من التردد.

فلو تردد الأمر بين التزاحم بين آيتين وبين الجمع بينهما ،
فالجمع هو الأولى ولا نحكم بالنسخ ، لقانون الأصل عدم نسخ
الآية القرآنية.

ولابد من حجة وبينة لما هو خلاف الأصل ، ومن قوانين النسخ
تأخر نزول الناسخ عن زمان المنسوخ ، لذا جاء الناسخ في سورة
المائدة لأنها من آخر سور القرآن نزولاً.

ولا يصح النسخ على الموضوع كما في آية السيف إذ جعلتها طائفة من المفسرين ناسخاً لآيات السلم والصلح ، هذه الآيات التي هي إشراقة عقائدية يتفاخر بها المسلمون في كل زمان ، وتبين صبغة التعايش المجتمعي في التنزيل .

وما إكثار ذكر القرآن لقصة آدم وحواء ، وسكنهما في الجنة إلا للتذكير بأن الناس من أب واحد ، ولزوم حضور هذا القانون في الحياة اليومية ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

وهو من أسباب الحاجة إلى معرفة كل من :

الأول : المكي والمدني .

الثاني : أسباب النزول .

الثالث : موضوع النزول ، والوقائع التي صاحبت الآية .

الرابع : الروايات الخاصة بذات الآية ، سواء كانت متقدمة ، أو متأخرة زماناً عنها .

الخامس : وجوه الإلتقاء بين الآيتين ، بما يحتمل النسخ أو نفيه .

السادس : التسليم بالأصل وهو عدم النسخ .

السابع : تعيين المراد من النسخ كجزء الآية إذ يرد أول الآية في شئ ، ووسطها في شئ ، وآخرها في شئ آخر .

جدول بالآيات التي قيل بنسخها بآية السيف

الإجماع على وقوع النسخ في القرآن ، ولا عبرة بالقليل النادر ، وذكر المفسرون آيات منسوخة بين مقل ومكثر لها ، والمختار أن

الآيات المنسوخة قليلة مثل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، إذ نسخت موضوع الصدقة بعد امتثال الإمام علي
عليه السلام لمضامين الآية عند مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله وسلم ونسخت بالآية التي بعدها وهي ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدَّمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ويختص هذا الجدول بالآيات التي ذكر أنها نسخت بآية السيف
وآية القتال.

ومن كتاب واحد وهو (ناسخ القرآن ومنسوخه) لمؤلفه هبة الله
بن عبد الرحيم بن إبراهيم (ابن البازري)^(٣).
ولابد من التوضيح والبيان بعدم ثبوت نسخ هذه الآيات
بالشواهد من القرآن والسنة.

وآية السيف هي ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة المجادلة ١٢.

(٢) سورة المجادلة ١٣.

(٣) (٧٣٨-٦٤٥) هجرية شافعي من أهل حماة ، ولي القضاء لسنوات عديدة بلا أجر
وفقد بصره في كبره ، وله كتب ومؤلفات عديدة منها ناسخ القرآن ومنسوخه .

(٤) سورة التوبة ٥.

أما آية القتال فهي ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

والآيات التي قال ابن البازري أنها منسوخة بآية السيف والقتال نذكرها هنا على نحو الإحصاء ثم يأتي البيان والتفصيل بنفي نسخها ونسخ آيات أخرى ، وهي :

الآية الأولى : قال تعالى ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) ، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١١٩

الآية الثانية : قال تعالى ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(٣)

الآية الثالثة : قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٤).

الآية الرابعة : قال تعالى ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾^(٥).

الآية الخامسة : قال تعالى ﴿قُلْ قَاتَلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾^(٦).

قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء الثامن بعد المائتين ص ٧٩

الآية السادسة : قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٧).

(١) سورة التوبة ٢٩.

(٢) سورة البقرة ٨٣.

(٣) سورة البقرة ١٣٩.

(٤) سورة البقرة ١٩٠.

(٥) سورة البقرة ١٩١.

(٦) سورة البقرة ٢١٧.

قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السابع بعد المائتين
ص ٦٥ من آية السيف

الآية السابعة : قال تعالى ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ^(٢).

قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد
المائتين ص ١٢٥ من آية القتال .

الآية الثامنة : قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ ^(٣).

الآية التاسعة : قوله تعالى ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ^(٤).

الآية العاشرة : قوله تعالى ﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ ^(٥).

الآية الحادية عشرة : قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا ﴾ ^(٦).

الآية الثانية عشرة : قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ ^(٧).

الآية الثالثة عشرة : قوله تعالى ﴿ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا ﴾ ^(٨).

الآية الرابعة عشرة : قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ^(٩).

الآية الخامسة عشرة : قوله تعالى ﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ ^(١٠).

(١) سورة البقرة ٢٥٦.

(٢) سورة البقرة ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران ٢٠.

(٤) سورة آل عمران ٢٨.

(٥) سورة آل عمران ١١١.

(٦) سورة آل عمران ١٢٠.

(٧) سورة النساء ٦٣.

(٨) سورة النساء ٨٠.

(٩) سورة النساء ٨١.

الآية السادسة عشرة : قوله تعالى ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ ^(٢)

الآية السابعة عشرة : قوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ ^(٣) ، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء الرابع عشر بعد المائتين ص ١٩١

الآية الثامنة عشرة : قوله تعالى ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ ^(٤).

ن آية السيف

الآية التاسعة عشرة : قوله تعالى ﴿ وَلَا آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَّخُونُ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ ^(٥) ، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٣٧

الآية العشرون : قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ ^(٦).
الآية الواحدة والعشرون : قوله تعالى ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ ^(٧) ، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٤٥

الآية الثانية والعشرون : قوله تعالى ﴿ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ^(٨).

(١) سورة النساء ٨٤.

(٢) سورة النساء ٩١.

(٣) سورة النساء ٩٠.

(٤) سورة النساء ٨٨.

(٥) سورة المائدة ٢.

(٦) سورة المائدة ٩٩.

(٧) سورة المائدة ١٣.

الآية الثالثة والعشرون : قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٢)

الآية الرابعة والعشرون : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴾^(٣).

الآية الخامسة والعشرون : قوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤)، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٤٧.

الآية السادسة والعشرون : قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ^(٥).

الآية السابعة والعشرون : قوله تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام ١١٢ .

الآية الثامنة والعشرون : قوله تعالى ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ ﴾ الأنعام ١٣٥.

الآية التاسعة والعشرون : قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ الأنعام ١٥٨.

الآية الثلاثون : قوله تعالى ﴿ لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٦)، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٤٩.

(١) سورة الأنعام ٦٦.

(٢) سورة الأنعام ٩١.

(٣) سورة الأنعام ١٠٤ .

(٤) سورة الأنعام ١٠٦.

(٥) سورة الأنعام ١٠٧-١٠٨.

(٦) سورة الأنعام ١٥٩.

الآية الواحدة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾^(١).

الآية الثانية والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ ﴾^(٢).

الآية الثالثة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣)، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السابع بعد المائتين ص ١١٤ .

الآية الرابعة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾^(٤).

الآية الخامسة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾^(٥)

الآية السادسة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾^(٦) ، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٥٢

الآية السابعة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾^(٧).

الآية الثامنة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٨).

(١) سورة الأنعام ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف ١٨٣.

(٣) سورة الأعراف ١٩٩.

(٤) سورة الأنفال ٦١.

(٥) سورة يونس ٢٠ و ١٠٢.

(٦) سورة يونس ٤١.

(٧) سورة يونس ٤٦.

الآية التاسعة والثلاثون : قوله تعالى ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ^(٢).

الآية الأربعون : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ ^(٣).

الآية الواحدة والأربعون : قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ ^(٤).

الآية الثانية والأربعون : قوله تعالى ﴿ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ ﴾ ^(٥).

الآية الثالثة والأربعون : قوله تعالى (إنا عاملون) هذا سهو من النساخ انما هو ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ ^(٦) وليس في القرآن (انا عاملون)
الآية الرابعة والأربعون : قوله تعالى ﴿ وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنَظِرُونَ ﴾ ^(٧).

الآية الخامسة والأربعون : قوله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٨).

الآية السادسة والأربعون : قوله تعالى ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ ^(٩).

(١) سورة يونس ٩٩.

(٢) سورة يونس ١٠٢.

(٣) سورة يونس ١٠٨.

(٤) سورة يونس ١٠٩.

(٥) سورة هود ٩٣.

(٦) سورة هود ٩٣.

(٧) سورة هود ١٢٢.

(٨) سورة النحل ٨٢.

(٩) سورة الحجر ٣.

الآية السابعة والأربعون : قوله تعالى ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(١).

الآية الثامنة والأربعون : ﴿قوله تعالى لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢).

الآية التاسعة والأربعون : قوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣).

الآية الخمسون : قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ ^(٤).

الآية الواحدة والخمسون : قوله تعالى ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٥).

الآية الثانية والخمسون : قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ^(٦).

الآية الثالثة والخمسون : قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ^(٧).

الآية الرابعة والخمسون : قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ^(٨).

(١) سورة الحجر ٨٥.

(٢) سورة الحجر ٨٨.

(٣) سورة الحجر ٩٤.

(٤) سورة النحل ٨٢.

(٥) سورة النحل ١٢٥.

(٦) سورة النحل ١٢٧.

(٧) سورة الاسراء ٥٤.

- الآية الخامسة والخمسون : قوله تعالى ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٢).
- الآية السادسة والخمسون : قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ ^(٣).
- الآية السابعة والخمسون : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ ^(٤).
- الآية الثامنة والخمسون : قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥).
- الآية التاسعة والخمسون : قوله تعالى ﴿ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا ﴾ ^(٦).
- الآية الستون : قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧).
- الآية الواحدة والستون : قوله تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ^(٨).
- الآية الثانية والستون : قوله تعالى ﴿ ادْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾ المؤمنون ٩٦، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٧١

(١) سورة مريم ٣٩.

(٢) سورة مريم ٨٤.

(٣) سورة مريم ٧٥.

(٤) سورة طه ١٣٠.

(٥) سورة طه ١٣١.

(٦) سورة طه ١٣٥.

(٧) سورة الحج ٦٨.

(٨) سورة المؤمنون ٥٤.

الآية الثالثة والستون : قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ ^(١).

الآية الرابعة والستون : قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ^(٢).

الآية الخامسة والستون : قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ ^(٣).

الآية السادسة والستون : قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٤)، قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء السادس بعد المائتين ص ١٧٩

الآية السابعة والستون : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ ^(٥).

الآية الثامنة والستون : قوله تعالى ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ^(٦).

الآية التاسعة والستون : قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ﴾ ^(٧).

الآية السبعون : قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴾ ^(٨).

(١) سورة النور ٥٤.

(٢) سورة الفرقان ٦٣.

(٣) سورة القصص ٥٥.

(٤) سورة العنكبوت ٤٦.

(٥) سورة الروم ٦٠.

(٦) سورة الروم ٦٠.

(٧) سورة لقمان ٢٣.

(٨) سورة السجدة ٣٠.

- الآية الواحدة والسبعون : قوله تعالى ﴿ وَدَعَّ أَذَاهُمْ ﴾ ^(١).
- الآية الثانية والسبعون : قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ﴾ ^(٢).
- الآية الثالثة والسبعون : قوله تعالى ﴿ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ ^(٣).
- الآية الرابعة والسبعون : قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ ^(٤).
- الآية الخامسة والسبعون : قوله تعالى ﴿ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾ ^(٥).
- الآية السادسة والسبعون : قوله تعالى ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ ^(٦).
- الآية السابعة والسبعون : قوله تعالى ﴿ وَأَبْصَرَ ﴾ ^(٧).
- الآية الثامنة والسبعون : قوله تعالى ﴿ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٨).
- الآية التاسعة والسبعون : قوله تعالى ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ^(٩).
- الآية الثمانون : قوله تعالى ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ^(١٠).

(١) سورة الأحزاب ٤٨.

(٢) سورة سبأ ٢٥.

(٣) سورة يس ٧٦.

(٤) سورة الصافات ١٧٤.

(٥) سورة الصافات ١٧٥.

(٦) سورة الصافات ١٧٨.

(٧) سورة الصافات ١٧٩.

(٨) سورة ص ٧٠.

(٩) سورة ص ١٧.

الآية الواحدة والثمانون : قوله تعالى ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١).

الآية الثانية والثمانون : قوله تعالى ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ ﴾^(٢).

الآية الثالثة والثمانون : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾^(٣).

الآية الرابعة والثمانون : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ ﴾^(٤).

الآية الخامسة والثمانون : قوله تعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٥).

الآية السادسة والثمانون : قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٦).

الآية السابعة والثمانون : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٧).

الآية الثامنة والثمانون : قوله تعالى ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾^(٨).

(١) سورة ص ٨٨.

(٢) سورة الزمر ١٤.

(٣) سورة الزمر ٣٩.

(٤) سورة الزمر ٤١.

(٥) سورة غافر ٥٥/٧٧.

(٦) سورة فصلت ٣٤.

(٧) سورة الشورى ٦.

(٨) سورة الشورى ٤٠.

(٩) سورة الشورى ٤٣.

الآية التاسعة والثمانون : قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾^(١).

الآية التسعون : قوله تعالى ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾^(٢).

الآية الواحدة والتسعون : قوله تعالى ﴿ فِيمَا نَذِهِنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّتَقِمُونَ ﴾^(٣).

الآية الثانية والتسعون : قوله تعالى ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾^(٤).

الآية الثالثة والتسعون : قوله تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾^(٥).

ن آية السيف

الآية الرابعة والتسعون : قوله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾^(٦).

الآية الخامسة والتسعون : قوله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾^(٧).

الآية السادسة والتسعون : قوله تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾^(٨).

(١) سورة الشورى ٤٨.

(٢) سورة الشورى ١٥.

(٣) سورة الزخرف ٤١.

(٤) سورة الزخرف ٨٩.

(٥) سورة الزخرف ٨٣.

(٦) سورة الدخان ١٠.

(٧) سورة الدخان ٥٩.

الآية السابعة والتسعون : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾^(٢).

الآية الثامنة والتسعون : قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾^(٣).

الآية التاسعة والتسعون : قوله تعالى ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾^(٤).

الآية المائة : قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٥).
الآية الواحدة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾^(٦).

الآية الثانية بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾^(٧).

الآية الثالثة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾^(٨).
الآية الرابعة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾^(٩).

(١) سورة الجاثية ١٤.

(٢) سورة ق ٣٩.

(٣) سورة ق ٤٥.

(٤) سورة الطور ٣١.

(٥) سورة الطور ٤٨.

(٦) سورة الطور ٤٥.

(٧) سورة النجم ٢٩.

(٨) سورة القمر ٦.

(٩) سورة الممتحنة ٨.

الآية الخامسة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ ﴾^(١).

الآية السادسة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾^(٢).

الآية السابعة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ المعارج ٥

الآية الثامنة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَذَرْنِهِمْ يَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾^(٣)

الآية التاسعة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ^(٤).

الآية العاشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾^(٥).

الآية الحادية عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾^(٦).

الآية الثانية عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ وَأَسِيرًا ﴾^(٧).

الآية الثالثة عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾^(٨).

الآية الرابعة عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا ﴾^(٩).

(١) سورة ن ٤٤.

(٢) سورة ن ٤٨.

(٣) سورة المعارج ٤٢.

(٤) سورة المزمل ١٠-١١.

(٥) سورة المزمل ١٩.

(٦) سورة المدثر ١١.

(٧) سورة الانسان ٨.

(٨) سورة الانسان ٢٩.

الآية الخامسة عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسيطرٍ ﴾^(٢).
 الآية السادسة عشرة بعد المائة : قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^(٣).

قد تقدم البيان ونفي نسخ هذه الآية في الجزء الثامن بعد المائتين ص ٢٨.

وسنبين عدم نسخ هذه الآيات في هذا الجزء والأجزاء التالية منها حسب الدليل ، ولا ينحصر ذكر الآيات المنسوخة بآية السيف وآية القتال بالآيات أعلاه ، فقد ذكر بعض العلماء نسخ آيات أخرى بهما أو بآيات أخرى من آيات القتال ، والأصل هو بقاء آيات السلم سالمة من النسخ :
الآية التاسعة عشرة^(٤) : قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُخْلَصُونَ ﴾^(٥) ، وأن آية السيف نسخت قوله تعالى ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾.

(١) سورة الطارق ١٧.

(٢) سورة الغاشية ٢٢.

(٣) سورة الكافرون ٦.

(٤) يتعلق هذا التسلسل بما ورد في الأجزاء السابقة الخاصة بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وهي كالآتي :

الجزء الثاني بعد المائتين : وتضمن بيان عدم نسخ الآيات ،

الآية الأولى : الآية ٨٣ سورة البقرة

الآية الثانية : الآية ١٠٩ سورة البقرة

الآية الثالثة : الآية ٢ سورة المائدة

الآية الرابعة : الآية ١٣ سورة المائدة

الآية الخامسة : الآية ١٠٦ سورة الأنعام

الآية السادسة : الآية ١٥٩ سورة الأنعام

الآية السابعة : الآية ٤١ سورة يونس

ولكن هذا الشطر جزء من احتجاج عام على الكفار ، ولا يختص بكفار مكة وهم موضوع آية السيف .
ومن الدلائل على صيغة العموم لغة الجمع في قوله تعالى ﴿أَتَحَاجُّونَا﴾ لإفادة الأمة وأجيال المسلمين المتعاقبة ، وهذا الإحتجاج لغة في الحوار ، وعنوان السلام وشاهد على أن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسالة حجة وبرهان وسلم وأمان .

وقد ورد لفظ (اتحاجوني) بصيغة المفرد مرة واحدة في القرآن بخصوص إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ

الآية الثامنة : الآية ٩٦ سورة المؤمنون

الآية التاسعة : الآية ٤٦ سورة العنكبوت .

الجزء الثالث بعد المائتين : وتضمن بيان عدم نسخ الآيات :

الآية العاشرة : ١١٥ سورة البقرة

الآية الحادية عشرة : الآية ٢٥٦ سورة البقرة .

الآية الثانية عشرة : الآية ١٨٠ سورة البقرة .

الآية الثالثة عشرة : الآية ١٩٩ سورة الأعراف .

الآية الرابعة عشرة : الآية ١٩١ سورة البقرة .

الآية الخامسة عشرة : الآية ٦ سورة الكافرون

الآية السادسة عشرة : الآية ٢١٧ سورة البقرة

الآية السابعة عشرة : الآية ٩٠ سورة النساء .

الجزء الواحد والثلاثون بعد المائتين : وتضمن بيان عدم نسخ الآية :

الآية الثامنة عشرة : سورة الأحزاب ٥٦ .

(١) سورة البقرة ١٣٩ .

أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ^(١).

وهذا التباين في صيغة المفرد والجمع ، واختصاص المسلمين بصيغة الجمع أتحاجونا بيان لجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين بالإحتجاج والدليل على التوحيد لإبتداء الآية بالأمر من الله (قل) ، والنسبة بين السلم والإحتجاج عموم وخصوص مطلق ، فالإحتجاج فرع السلم .

وهل هذا التباين من مصاديق وراثية المسلمين للأنبياء في وظائف الدعوة والتبليغ وتعاهد الفرائض ، الجواب نعم ، إذ يتعلق قوله تعالى ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾^(٢) بالتبليغ ، وتأکید التفقه في الدين .

وقوله تعالى ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾^(٣) بقيام المسلمين والمسلمات بأداء الفرائض العبادية وإخلاص العبادة لله عز وجل .

مفردات آية ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾

مفردات الآية على وجوه :

الأول : لغة الإحتجاج .

الثاني : موضوع الإحتجاج وهو الربوبية المطلقة لله عز وجل ، ووجوب عدم الشرك به ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤).

(١) سورة الأنعام ٨٠.

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة ١٣٩.

(٤) سورة النساء ٤٨.

الثالث : صيغة الخطاب في الإحتجاج بين النبي والمؤمنين من جهة وبين الذين كفروا (اتحاجونا) ، وفيه شاهد على حال السلام والأمن للطرفين .

لقد ورد لفظ ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ في ثلاث آيات القرآن :

الأولى : آية البحث أعلاه .

الثانية : قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبَغْيِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

الثالثة : قوله تعالى في الثناء على المؤمنين واعراضهم عن لغو وجدال المشركين ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

وانفردت آية البحث بحرف العطف الواو (وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) .

الرابعة : الأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتحدث باسمه واسم المسلمين والمسلمات ، وتقدير الآية (وقل لنا أعمالنا ولكم أعمالكم).

الخامسة : إرادة التباين والتضاد بين إخلاص المسلمين العبادة لله عز وجل وإقامة مشركي قريش على عبادة الأوثان .

ولا دليل على نسخها فقد كان باب الإحتجاج قائماً إلى حين مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو مفتوح إلى يوم القيامة ، وهو من ألوية السلام ونبد الحروب .

(١) سورة القصص ٥٥.

(٢) سورة الشورى ١٥.

وآية البحث مدنية وهي ترجمان وتأکید لآية مكية في سورة الكافرون ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١).

و(عن سعيد بن ميناء مولى أبي البخري قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ، والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً ، وإن كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً فأنزل الله { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون }^(٢) حتى انقضت السورة .)^(٣).

ليبان معجزة قرآنية بقانون تأكيد الآية المدنية للآية المكية التي نزلت قبل الهجرة ، وفيه شواهد كثيرة لبيان أن هذا التأكيد من مصاديق السلم وإحكام آياته ، فليس من قتال أو أمر بالدفاع في السور المكية .

قانون الإحتجاج في ميدان القتال سلم

قد يقام الإحتجاج في ميدان القتال ، كما في معركة أحد وهو حجة على الذين كفروا لأنهم بدأوا القتال وأصروا عليه ، ولبعث الإرباك في صفوفهم ، وفصل عامة التابعين عن الرؤساء . وهل نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أسواق مكة وعرفات ومنى في موسم الحج قبل الهجرة (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(٤)، من الإحتجاج ، الجواب نعم .

(١) سورة الكافرون ٦.

(٢) سورة الكافرون ١-٢.

(٣) الدر المشور ١٠/٣٦٩.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٢/٥ .

وكذا نداؤه هذا في ميدان القتال مع المشركين ، وهو من مصاديق آية البحث ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(١) ، إذ تتضمن هذه الآية النص ، والظاهر ، والمجمل ، ومعنى الحقيقة والمجاز ، فصحيح أنها تقسيمان وأقسام متعددة ولكنها تجتمع في الكلمة القرآنية فتجد الكلمة الواحدة تجمع الحقيقة والمجاز ، أو تجمع النص والمجمل بحسب تعدد معانيها وهو من إعجاز القرآن ، لإحاطة كلمات القرآن المحدودة باللامحدود من الوقائع والأحداث.

وبعدما أصابت الخسارة المسلمين في معركة أحد ، أطل أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وقال (اعل هبل ، اعل هبل . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان: إنا لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم)^(٢).

فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قولوا) على نحو مكرر من الشواهد على صيغة الجمع في (اتحاجوننا) ولتنمية ملكة الإحتجاج وإقامة البرهان من منازل الإيمان في نفوس المسلمين. وقول أبي سفيان (اعل هبل ، اعل هبل مرتين)^(٣) ، لتقديس الأصنام والإصرار على الوثنية والإشارة إيهاماً إلى موضوعيتها في معركة أحد ، وهو من مصاديق الجهالة التي كانت قريش عليها.

وفي هذا الإحتجاج وتوثيقه ، قال حسان بن ثابت :
طاوعوا الشيطان إذ أخزاهم ... فاستبان الخزي فيهم والفشل
حين صاحوا صيحة واحدة ... مع أبو سفيان قالوا اعل هبل

(١) سورة البقرة ١٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ ٢٩٧/١.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٤ .

فأجبناهم جميعاً كلنا ... ربنا الرحمن أعلى وأجل
اثبتوا تستعملوها مرة ... من حياض الموت والموت نهل
واعلموا أنا إذا ما نصحت ... عن خيال الموت قدر تشتعل^(١).
وتدخل إجابة المسلمين هذه للمشركين في مصاديق قوله تعالى
﴿وَلَكِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(٢)، ويكون هذا الجدل في ساحة الميدان
من الشواهد على صدق وإخلاص الصحابة في الدفاع عن عقيدة
التوحيد ، ومعاني خاتمة هذه الآية وتماها ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَكِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُخْلَصُونَ﴾^(٣).

ومن معاني إخلاص المسلمين في ميدان الدفاع بيان قانون
ثباتهم على الإيمان ، وعدم التهاون أو التهادن مع المشركين ، لبعث
اليأس في نفوسهم لقانون امتناع الإرتداد عن المسلمين ، وهو من
معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن أسباب دخول
أفواج من الناس في الإسلام ، ومنهم رؤساء ووجهاء قومه.

قانون الإحتجاج صرف عن القتال

من خصائص نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن
يبعث المسلمين على الإحتجاج ، ومن معانيه الإنصراف عن القتال
، لأن في الإحتجاج بأعجاز القرآن وصدق نبوة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم كفاية في الدعوة ، وحجة على الناس .
وقد يتعلق نظم الآيات بالجدال مع أهل الكتاب ، ولكن معنى
الآية أعم فيشمل الكفار أيضاً ، بدليل قوله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّنَا

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١١٩/٣ .

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة ١٣٩.

وَرَبُّكُمْ»^(١)، وفيه تذكير للمشركين بأن عبادتكم للأوثان لا تخرجكم عن العبودية التامة لله عز وجل.

ومن معاني الإحتجاج على أهل الكتاب عدم جواز قتالهم ، وابتدائهم باعلان الحرب ، لذا بادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال دخوله إلى المدينة بعقد ميثاق مع اليهود فيها ، ولم يحاربوه كما حاربه قومه من قريش ، ولم يستغلوا بدايات الهجرة وقلة الصحابة للإنتقضاض على المسلمين ، خاصة وأن جانب الأوس والخزرج هو الأقوى والأكثر عدداً.

بل كانوا يأتون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسألونه فيجيبهم بما يدل على صدق نبوته ، وكانوا يلحظون المعجزات التي تجري على يديه ، وتصديق الناس بنبوته ، ودخل الإسلام بعض من يهود المدينة وعلمائهم.

وفي قوله تعالى ﴿أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ﴾^(٢) ورد قولان:

الأول : (أتخاصموننا).

الثاني : (تجادلوننا)^(٣).

وظاهر الآية إرادة الجدال .

لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ الإحتجاج منهاجاً ، ومن الشواهد القرآنية ورود لفظ (قل) خطاباً للنبي محمد (٢٢٨) مرة والنسبة بين السلم والإحتجاج عموم وخصوص مطلق ، فالإحتجاج فرع السلم .

(١) سورة البقرة ١٣٩.

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) الدر المنثور ١/٢٧٧.

قانون البرهان أمضى من الجدل

ولم تذكر الآية الجدل وحده ، بل ذكرت البرهان والدليل من جهات:

الأولى : إن الله عز وجل رب الناس والخلائق كلها ، ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة كل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) .

وهل تدخل هذه التلاوة في الإحتجاج ، الجواب نعم إنها دعوة يومية متكررة للتوحيد ، وهو من أسرار القراءة الجهرية في أكثر ركعات الصلاة اليومية إذ يجهر المسلمون بتسع ركعات هي مجموع ركعات صلاة الصبح والمغرب والعشاء .

وتتعدد آيات الإحتجاج في القرآن ، وليس بالضرورة مجيؤها بذات صيغة الإحتجاج ، فقد ترد بالفاظ أخرى منها مثلاً ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا﴾^(٢) فرد الله عز وجل عليهم بتلقين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلفه المسلمين والمسلمات ﴿بَلِّغْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٣) .

الثانية : إفتخار المسلمين بأعمالهم العبادية ، ورضاهم عن أنفسهم في طاعة الله ﴿وَلَكِنَّا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(٤) بتقديم أنفسهم وأعمالهم ، وهو نوع بيان وإجهار بالشعائر والفرائض العبادية .

(١) سورة البقرة ١٣٩.

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة ١٣٩.

(٤) سورة البقرة ١٣٩.

وفيه دعوة للمشركين بالتدبر في أعمال المسلمين العبادية ،
وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالثة : التباين في العمل بين المسلمين ومشركي قريش .

الرابعة : دعوة أهل الكتاب إلى التدبر في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خلال أعمال المسلمين العبادية .

الخامسة : شهادة القرآن على إخلاص المسلمين في إيمانهم بقصد القربة ، وطاعتهم لله عز وجل .

وفيه ترغيب للناس جميعاً بإخلاص الطاعة لله عز وجل ، وأنها حاجة لهم ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾^(١) .

قانون منافع ذم الشرك

من مفاهيم الآية بيان القبح الذاتي والغيري للشرك ، وذم المشركين ليؤثر هذا الذم في المجتمعات أكثر من السيف ، ويكون سبباً لجذب الناس للإيمان ، وهو من الشواهد على أن الآية غير منسوخة ، ومن وجوه عدم نسخها استمرار وتجدد الجدل في الله عز وجل بين المسلمين وأهل الكتاب من جهة ، وبين المسلمين والكفار من جهة أخرى .

مع التباين في موضوع الجدل ، إذ يلتقي المسلمون مع أهل الكتاب بمفاهيم التوحيد والنبوة ، والإقرار باليوم الآخر ، وقال تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيحِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْكُرُونَ﴾^(٢) .

أما المشركون فإن الجدل معهم والإحتجاج عليهم دعوة لهم للتوبة والإنابة ، وبرزخ دون لمعان السيوف .

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة المائدة ٨٢.

وإذا كان الإحتجاج على الذين كفروا باق إلى يوم القيامة ،
فان قوله تعالى ﴿لَنَأَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(١) مادة الإحتجاج فلا بد من
بقائها معه ، وملازمتها له .

لذا فهي غير منسوخة ، نعم يقع النسخ من طرف الكفار
بدخول طائفة منهم الإسلام ، بتلاوة المسلمين هذه الآية
والإحتجاج عليهم .

ومن معاني الإحتجاج في الآية الإنشغال عن الحرب والمنع من
اللجوء إلى القتال ، ونهي أهل الكتاب عن مظاهرة أو إعانة كفار
قريش ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للتضاد
بين الإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل واتباع الأنبياء وبين الشرك
، ومن الدلائل عليه ﴿وَمُورِئُنَا وَرَبِّكُمْ﴾^(٢) لبيان الجامع المشترك بين
المسلمين وأهل الكتاب ، وإختلاف المشركين منهم باتخاذ الأوثان
آلهة ، وأختتمت الآية بقوله تعالى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ لبيان
اقتران العمل بالإحتجاج ، وأن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَنَأَعْمَلُنَا﴾
إخلاص المسلمين لطاعة الله عز وجل وتحليهم بالتقوى ، وفي الثناء
على القرآن وعمل المسلمين بأحكامه قال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا
رُبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه الإجماع على أن سورة الفاتحة محكمة
ليس فيها منسوخ .

(١) سورة القصص ٥٥.

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة ١-٢.

لماذا لم يقع قتال قبل الهجرة

لقد بقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة النبوية ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو إلى الله الناس القريب والبعيد ، ويتحمل أشد الأذى ، ولم يكن هذا الأذى بسبب إعلان النبوة وحده بل لدخول جمع كثير من قريش وعامة أهل مكة الإسلام ، وظهور أمارات لرؤساء قريش بأن الناس يقبلون على قبول الدعوة لتعضيدها بالحجة والبرهان.

ولم يقع قتال قبل الهجرة بين النبي من جهة وبين المشركين ، لأن المشركين لم يهجموا بالسيوف والخيال على النبي وأصحابه ، إنما اكتفوا بالإيذاء والتعذيب والحصار ونحوه ، مما يدل على رفع النبي لواء السلم قبل الهجرة وبعدها .

ولقد هاجر إلى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة من الصحابة ، وهناك أمور :

الأول : لم يهاجر هؤلاء الصحابة إلى الحبشة إلا بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتجلى في حسن عاقبة هذه الهجرة معجزة له .

(وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ

وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ . بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ . قَالَ لَهُمْ لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَإِنْ بِهَا مَلَكًا لَا يَظْلَمُ عَنْدَهُ أَحَدٌ .

وَهِيَ أَرْضُ صَدَقَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله وسلّم إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة وفراراً إلى الله
بدينهم^(١).

ولكن الأذى الذي كان يلاقيه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قريش أشد لإقامة الحجة على المشركين ، نعم هو في
حفظ الله عز وجل .

الثاني : أيهما أكثر عدداً الذين هاجروا إلى الحبشة أم الذين
بقوا من المسلمين في مكة يومئذ .

والمختار أن الذين بقوا هم الأكثر خاصة مع وجود
مسلمين ومسلمات يخفون إسلامهم وآخرين من قبائل
خارج مكة قال تعالى ﴿تُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢) ،
وهناك أسماء عديدة من الصحابة بقوا في مكة لم يهاجروا
مثل الإمام علي عليه السلام ، أبي بكر ، عمر بن الخطاب
، وعبد الرحمن بن عوف ، ومرثد بن أبي مرثد ، وحمزة
بن عبد المطلب وبلال بن رباح الحبشي ، وسعد بن أبي
وقاص ، ومصعب بن عمير ، وعياش بن أبي ربيعة ، وابن
أم مكتوم ، وعبد الله بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة الجراح ،
والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وفاطمة الزهراء
عليها السلام ، وفاطمة بنت أسد ، وأم أيمن ، وعائشة ،
وسودة بنت زمعة وهي أول زوجات النبي صلى الله عليه
وآله وسلم بعد وفاة خديجة ، وزينب بنت جحش وغيرهم.

ولم يهاجر كل المسلمين إلى الحبشة أو المدينة إذ صاروا على
ثلاث فرق :

الأولى : المهاجرون إلى الحبشة .

(١) الروض الأنف ٨٩/٢ .

(٢) سورة الأنعام ٩٢ .

الثانية : المهاجرون إلى المدينة ، قبل أو مع أو بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿ثَانِيًا أَنُؤَيِّنُ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدَاهُ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

الثالث : الذين بقوا في مكة إلى ما بعد صلح الحديبية ، ومنهم من بقى فيها إلى يوم فتح مكة. وهذا التعداد من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على صبغة السلم في رسالته. والمسلمات اللاتي لم يهاجرن إلى الحبشة أكثر من اللاتي هاجرن إليها.

الثالثة : كانت الهجرة إلى الحبشة في السنة السابعة للبعثة النبوية ، وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدها نحو ست سنوات في مكة يتوالى فيها دخول الناس الإسلام . ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون التناسب الطردي الشهري في دخول الناس الإسلام . فيكون الذين يدخلون الإسلام في كل شهر أكثر منهم في الشهر السابق.

وهل هو من الشواهد على صدق نبوته ، الجواب نعم ، ومع هذه الكثرة لم يقع قتال بين المسلمين والمشركون لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بين ظهرائي المشركون .

معجزة سلامة النبي (ص) من القتل

من خصال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التحلي بالصبر على نحو الموجبة الكلية بأمر ولطف ، من الله عز وجل ، وهو يأمر أصحابه به ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجئ الأمر والنهي لأصحابه بالقرآن والسنة النبوية القولية والفعلية ، قال تعالى ﴿وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١) ، لقد لجأ المشركون إلى خطة من المكر والدهاء ، وهي إرادة قتل النبي ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) ، فرزق الله عز وجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملكة الصبر مع تعاهد التبليغ ومن الإعجاز في الآية أعلاه مسائل :

الأولى : ابتدأت الآية بذكر مكر المشركين ، والجمع بين الشرك والمكر شر ، وضرر فادح على الجميع لولا رحمة الله .

الثانية : جعل المشركين خيارات ثلاثة وهي :

الأول : سجن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة بالكيفية الخبيثة التي يريدون .

ومن إعجاز الآية أن كل هذه الخيارات تؤدي إلى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة إيقاف نزول القرآن وتفريق المسلمين ، ومنع دخول الناس فيه .

لذا أختتمت الآية بالفضل الإلهي ، والوعد الكريم من الله بالمكر اللطيف لنجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنع الإقتال في مكة ،

(١) سورة النحل ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

وتهيئة طريق الهجرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلامته في هذا الطريق مع كثرة المخاطر فيه ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ*^(١).

ولم يهجم المشركون بالجيوش العظيمة أو القليلة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عندما كانوا في مكة ، ليكون هذا التباين بين وجود النبي في مكة وعدم حدوث القتال فيها معجزة لنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه وجوه :

الأول : دعوة الناس للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : التفكير في آيات التنزيل لذا اتصفت كل من السور المكية وآياتها بالقصر وتضمنت لغة الإنذار والوعيد ، واستحضار عالم الآخرة بالوجود الذهني طوعاً وقهراً وانطباقاً ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَكَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) .

الثالث : شيوع الإسلام في القرى والأمصار عن طريق وفد الحاج في كل موسم ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على الإتصال بهم ، ويقوم بالذهاب إلى أسواق مكة مثل سوق عكاظ وذو المجاز وسوق المجنة ، ويأتي إلى القبائل في مواضعها في منى ، متخذاً من الشهر الحرام غطاءً وبرزخاً دون إنتقام كفار قريش منه .

وهل كان الإنتشار السريع للإسلام سبباً لسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل ، الجواب نعم وهذا الأنتشار من مصاديق قوله

(١) سورة الكوثر ١-٢.

(٢) سورة النساء ٨٢.

تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) ومن إعجاز القرآن أن الآية من سورة المدثر وهي من أوائل سور القرآن نزولاً لتكون بشارة من عند الله عز وجل في سلامة النبي من القتل ، وبعث له لتبليغ الدعوة من غير خشية من المشركين .

وهل الآية أعلاه من آيات السلم ، الجواب نعم لأنها أضافت الجنود إلى الله عز وجل وذكرته بصفة الربوبية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على رحمة ولطف الله عز وجل به في ابتداء البعثة ومدة أيامها وما بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى . وهل كان الانتشار من أسباب سعي قريش في قتله الجواب نعم ، وفيه مسائل

الأولى : صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مرضاة الله عز وجل .

الثانية : الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) وعدم تحريض أصحابه للبطش بالمشركين الذين يريدون قتله .

قانون أسواق مكة مناسبة للدعوة السلمية

من مقدمات بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صيرورة أربعة أشهر حرم من كل سنة قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) سورة الحج ٦٨ .

الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾، ومنها ثلاثة أشهر متصلة هي كالدعاء الزماني لفريضة الحج ، وهي شهر ذي القعدة ، وذي الحجة ، ومحرم ، وفيها تقام أسواق مكة ، ولك أن تسميها أسواق الموسم لأنها بمناسبة الحج ، ومنها ما هو خارج مكة ، وهي لواء سلام وأمن بين القبائل من أيام أئينا إبراهيم عليه السلام أي قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنحو ألفي سنة ، لبيان قانون سبق السلم والدعوة السماوية إلى السلام والأمن لبعثة النبي ومصاحبته لها واستدامته إلى يوم القيامة ، وهو من الشواهد على عدم نسخ آيات السلم. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي هذه الأسواق أيام موسم الحج ليعرض الإسلام على أفراد القبائل ، ويتلو عليهم آيات القرآن .

وقد تقدم في الجزء التاسع والثلاثين من هذا السفر (لتزدهر التجارة في أسواق العرب التي تقوم هناك في موسم الحج خاصة ويمكن تسميتها بأنها أسواق موسمية مقرونة بعبادة مخصوصة ومنها :

الأول : سوق عكاظ .

الثاني : سوق ذي المجاز .

الثالث : سوق مجنة .

الرابع : سوق دومة الجندل .

الخامس : سوق مكة .

السادس : سوق عدن .

السابع : سوق حضرموت .

الثامن : سوق صنعاء .

التاسع : سوق هجر .

العاشر : سوق بصرى .

وهذه الأسواق من الكلي المشكك إذ تتباين في البضائع والسلع المعروضة فيها وروادها ، فمنها ما تختص بالمجاورين لها من أهل القرى أو البلد ، ومنها ما يكون عاماً وأعظم هذه الأسواق عكاظ ، ثم سوق ذي المجاز وسوق مجنة .

وسوق عكاظ قريب من الطائف ويعرض فيه التمر والسمن والعسل والخمر والثياب والأبل والسيوف والدروع .

ويستمر عشرين يوماً من صباح هلال ذي القعدة وهو أول يوم من أيام الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم ، ويستمر عشرين يوماً حيث يلقي الشعراء قصائدهم ويقوم الخطباء ، ويكثر فيه التفاخر بالأنساب والآباء وحضوره مقدمة ونوع طريق لأداء الحج ، وربما وقعت حروب بسبب المدح أو الهجاء الذي يقال في هذه السوق كما في حرب الفجار ، وقد يأتي الرجل إلى هذا السوق ليعرض بناته للزواج وقيل هدم الإسلام هذه السوق^(١).

ومن أسواق العرب : سوق حباشة ، ويقام في أرض تهامة على بعد ست ليالٍ من مكة من جهة اليمين وهو ليس من أسواق موسم الحج لأنه يقام في شهر رجب في الأيام الثمانية الأولى منه الذي هو من الأشهر الحرم ، فلا يستطيع العرب الاجتماع في غير الأشهر الحرم للثأر بينهم ، ولأن كل قبيلة تخشى غزو الآخرين لها عند الغياب عن الديار في الأسواق ونحوها ، وتدل إقامة العرب سوق في شهر رجب على عدم صبرهم على التجارة والأشعار لمدة عام كامل ، أي بحلول موسم الحج ، بل يقيمون سوق حباشة في منتصف السنة الشرعية تقريباً وهي سوق عظيمة يباع فيها الخمر

والبرود والحريز والسمن والطيب والسيوف ، وآلات القتل والحناء وآنية الطعام والرقيق .

إذ يحضر الشعراء ويلقون قصائدهم في التفاخر وذكر الآباء ، وفي الحماسة ، وقد تاجر العرب في هذه السوق في مال خديجة قبل البعثة النبوية.

وقد خربت هذه السوق أيام داود بن عيسى بن يوسف من بني العباس الذي بعثه محمد الأمين والياً على مكة والمدينة ، وعندما وقع الخلاف والخصومة بايع للمأمون وأخذ البيعة من الناس له.

الرابع : تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى مراتب الصبر على أذى قريش له ولأصحابه ، فعندما فرضوا الحصار الإقتصادي والاجتماعي على أهل البيت قابلوهم بالصبر على الجوع والعزلة.

الآية العشرون : ﴿وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

هذه خاتمة آية من سورة البقرة قد تقدم بيانها وتام الآية هو ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

لقد ذكرت هذه الآية القتال على نحو صريح ومتقابل (قاتلوا) (يقاتلونكم).

والآية مدنية وليست على القول المشهور بأن الله فرض على المسلمين القتال في المدينة .

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

بل لأن المسلمين مضطرين إلى الدفاع ، فالآية اذن بالدفاع وليس فرضاً للقتال ، بدليل تعقب الأمر بالنهي (ولا تعتدوا) الذي تدل السنة النبوية على التقييد به إلى حين مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، إلى جانب معنى التعدي لغة وما في الإبتداء به من الظلم للذات والغير .

ومن معاني عدم نسخ الآية أن الله عز وجل أراد للعالم أن تكون بنوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خالية من التعدي .

تري ما هي النسبة بين التعدي والشرك ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالشرك أقبح ضروب التعدي ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١) .

وقد تقدم البيان ونفي النسخ عن قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^{(٢)(٣)} .

وذكر أن الناسخ لها آية السيف وتام الآية هو ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٤) وقد تقدم الكلام تفصيلاً في هذه الآية^(٥) وسلامتها من النسخ ، ومن فرائد هذه الآية :

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

(٣) أنظر الجزء الرابع بعد المائتين ص ١٣٦ والجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين ص ١٥٣ من هذا السفر .

(٤) سورة البقرة ١٩٠ .

(٥) أنظر الجزء الثاني والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر .

الأول : ابتداء الآية بحرف العطف الواو ، لعطفها على آية تتضمن أحكام العبادات والآيات الكونية بالسؤال عن الأهلّة وموضوعيتها في تعيين أوان الصيام والحج ، والإمتناع عن النسئ والتحريف في الأشهر الحرم .

الثاني : الأمر للمسلمين بالقتال ، والمراد هنا الدفاع بقرينة انه في سبيل الله وخاص ضد الذين يقاتلون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين .

الثالث : تقييد القتال بأنه في سبيل الله ، ولا يعلم منافع هذا القيد إلا الله عز وجل ، فقد كانت المجتمعات آنذاك مجتمعات غزو ونهب وسلب ، فأدب القرآن المسلمين بقوله ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) ، لإرادة ثواب الآخرة ، وفيه منع من إصرار الناس على الكفر ، وسعيهم للثأر من المسلمين ، فقد أدركوا أن دفاعهم خالص لوجه الله ، وهو دعوة لكل الناس للإيمان ، ونبذ الكفر ومفاهيم الجحود.

وهذا القيد ثابت ومحكم لا يقبل النسخ .

الرابع : حصر القتال والدفاع بالذين يقاتلون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، وفيه دعوة للناس بعدم قتال المسلمين ، لتكون الآية من الشواهد على صيغة السلم التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن الإعجاز في نبوته دلالة آية القتال على السلم .

فاذا لم يبدأ المشركون القتال فليس من قتال ، وهو الذي حصل في مواضع عديدة بأن يلتقي الفريقان ثم يفرقان من غير قتال ، كما

في سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف الهجر في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة النبوية.

وكان عدد أفراد السرية ثلاثين كلهم من المهاجرين ، وبلغوا سيف البحر (أي ساحله) من ناحية العيص والتقوا مع قافلة لقريش قدمت من الشام محملة بالبضائع ، وفيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل ، واصطفوا للقتال ، ومشى بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وكان حليفاً للطرفين ، حتى حجز بينهم ولم يقع قتال .

وكذا في معارك الإسلام الأولى ، لم يقع قتال إلا بعد إصرار الذين كفروا على المبارزة ، وقيامهم برمي السهام والنبال ، كما في معركة بدر ، ومعركة أحد ، والخندق .

وتدل الوقائع على أن طائفة من المشركين هم الذين يقاتلون المسلمين ، قال تعالى ﴿لَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) ، مما يدل على أن دفاع المسلمين ضرورة وحاجة لتثبيت معالم الإيمان في الأرض ، وسلامتهم من دخول النار يوم القيامة لقانون ، الملازمة بين الارتداد والكفر وبين دخول النار. وتحتمل درجة العذاب بين الكافر الأصلي والمرتد يوم القيامة جهات :

الأولى : الكافر الأصلي أشد عذاباً .

الثانية : المرتد عن الإسلام أشد عذاباً لإقامة الحجة عليه باختياره الإيمان ثم التخلي عنه .

الثالثة : التساوي في العذاب .

الرابعة : ليس من قاعدة كلية ، فكل فرد من الكفار مرتداً أو هو بالأصل كافر له عذابه الخاص ، والجامع بينهما هو الخلود في النار.

والمختار هو الأخير ، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(١).

ومن مفاهيم الآية جهات :

الأولى : لا تقاتلوا الذين لم يقاتلوكم .

الثانية : إذا كف المشركون أيديهم عنكم كفوا أيديكم عنهم .

الثالثة : قاتلوا دفاعاً وفي سبيل الله .

الرابعة : استعدوا لقتال المشركين .

الرابع : لقد ابتدأت الآية بالأمر ﴿وَقَاتِلُوا﴾ لتختتم بالنهي ﴿لَا

تَعْدُوا﴾ ، فبعد قيد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاء هذا القيد بالنهي عن الإعتداء ، (عن أنس قال : كنا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتى يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقول انطلقوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا)^(٢).

وهل يختص هذا النهي بحال القتال ، الجواب لا ، فهو مطلق للقبح الذاتي للإعتداء ، ولأنه إنشغال عن ذكر الله .
فالآية محكمة غير منسوخة .

(١) سورة التوبة ٦٨ .

(٢) الدر المنثور ١/٤١٠ .

وقد ورد هذا النهي في خاتمة آية أخرى وهي من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) للنهي عن تحريم ما أحل الله عز وجل ، وتحليل ما حرم سبحانه .

ولبيان حضور أحكام الشريعة في المباحات .
(وعن عائشة : أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عمله في السر؟

فقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ، لكني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وأكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢).

وفيقيد الجمع بين الآيتين عدم نسخ النهي عن التعدي لغة وعرفاً وإصطلاحاً.

لقد جاء الإسلام بالعدل ونشر ألوية الأمن والقضاء على مظاهر الظلم والعنف والتعدي الخاص والعام ، ومن العدل الخاص نفوذ أحكام الإسلام إلى شؤون الأسرة ، وإكرام المرأة من حين ولادتها بعد أن كانت تلقى الوأد وهي مسلوقة الإرادة ، والذي هو من التعدي ، ويكون من معاني الآية : ولا تعتدوا بقتل أولادكم .

(١) سورة المائدة ٨٧.

(٢) الدر المنثور ٤٣٩/٢.

والآية وإن جاءت بصيغة الجمع إلا أنها تتضمن لغة المفرد وتنتهي كل مسلم عن التعدي ، لتكون هذه الآية حاضرة في الوجود الذهني عند الإقدام على فعل.

ومن التعدي الزنا والفحشاء ، وشرب الخمر، والربا ، والسرقه ، ونحوها من الأفعال المذمومة كالإفتراء والبهتان ، والغيبة ، والإسراف ، والحسد ، ونقض العهد.

ومن التعدي الخروج على قواعد السلم التي جاء بها القرآن والسنة ، وهي ثوابت تعاهدها الأنبياء ، ومن أسرار توالي التنزيل ، وسلامة القرآن من التحريف إلى يوم القيامة .

لقد استطاع العرب بعد إبراهيم الإلتفاف على الأشهر الحرم ، وتبديل نسبي في أوانها لمواصلة القتال والثار ، فتمنضل الله عز وجل وثبتها إلى يوم القيامة بآية من القرآن ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِينَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

ونزلت آيتان بجرمة التعدي مع التباين الموضوعي فلا يصح القول بنسخ إحداها بآية السيف ، لبقاء الثانية على نحو القطع لتعلقها بالمباحات ، مع تضمنها معنى العموم والقانون الثابت من جهتين :

الأولى : قانون حرمة التعدي لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْدُوا ﴾.

الثانية : قانون بغض الله عز وجل للمعتدين مجتمعين ومتفرقين لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

الآية الواحدة والعشرون : قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٢).

والناسخ هو الإستثناء الوارد في الآية التي بعدها ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^{(٣) (٤)}.

وليس من نسخ في المقام وفق المعنى الإصطلاحي للنسخ فالذين استثنتهم الآية التالية لتغشاهم التوبة والرحمة ، هم غير الذين حقت عليهم اللعنة.

والآية محكمة ، ومن بين منافع الإحكام في الآية إدراك الناس جميعاً لزوم بيان حقائق التنزيل ، والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإخبار عن معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية والعقلية لبيان قانون وهو تأكيد كون الآية محكمة مع غياب الدليل على نسخها له منافع كثيرة ، وفيه تجديد لمعاني البشارة والإنذار فيها.

(١) سورة التوبة ٣٧

(٢) سورة البقرة ١٥٩ .

(٣) سورة البقرة ١٦٠ .

(٤) ابن البازري / ناسخ القرآن ومنسوخه ١ / ٢٤ .

الآية الثانية والعشرون : قال ابن البازري ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ﴾^(١) نسخها قوله تعالى لما فضل عن الزكاة في براءة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾^{(٢)(٣)}.

لقد ورد قوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، ست مرات في القرآن وهي :

الأولى : قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٤).

الثانية : قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٥).

الثالثة : قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٦).

الرابعة : قال تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأنفال ٣.

(٢) سورة البقرة ١٦٠.

(٣) ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٤/١.

(٤) سورة البقرة ٣.

(٥) سورة الأنفال ٣.

(٦) سورة الحج ٣٥.

(٧) سورة القصص ٥٤.

الخامسة : قال تعالى ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١).

السادسة : قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢).

وليس من نسخ في المقام ، والنسبة بين الإنفاق في الآيات أعلاه وبين قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) العموم والخصوص المطلق فالإنفاق مما زاد عن الزكاة من مصاديق الآيتين ، إذ تبين آيات الإنفاق أعلاه أن أصحاب الأموال هم الذين يبادرون إلى الإنفاق مما رزقهم الله عز وجل ، أما الآية أعلاه من سورة براءة (التوبة) فإن الخطاب والأمر فيها موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ لبيان أن الصدقة المستحقة أعم من الصدقة الواجبة .

وعن ابن عباس (في قوله ﴿وَأَخْرُوزٌ﴾) أَخْرُوزٌ بَدَنُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا^(٤) ، قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد.

(١) سورة السجدة ١٦.

(٢) سورة الشورى ٣٨.

(٣) سورة التوبة ١٠٣.

(٤) سورة التوبة ١٠٢.

وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رجع في المسجد عليهم ، فلما رأهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله ، أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى يطلقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعذرهم .

قال : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ، فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا .

فأنزل الله عز وجل { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم } وعسى من الله وإنه هو التواب الرحيم ، فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأطلقهم وعذرهم.

فجاؤوا بأموالهم فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا . قال : ما أمرت أن آخذ أموالكم . فأنزل الله عز وجل { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم } يقول : استغفر لهم { إن صلواتك سكن لهم } يقول : رحمة لهم ، فأخذ منهم الصدقة واستغفر لهم ، وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا سنة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم؟

فأنزل الله عز وجل { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة }^(١) ، إلى آخر الآية { وعلى

الثلاثة الذين خلفوا} ^(١) إلى { ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم } ^(٢) يعني إن استقاموا ^(٣).

ويدخل في قوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ، الزكاة الواجبة ، والصدقة المستحبة ، فهو من الجامع بين النص والظاهر والمجمل ، بلحاظ آيات القرآن الأخرى وليس كل مسلم تجب عليه الزكاة ، فاذا كان لا يملك النصاب فلا زكاة عليه .

وبالنظر الإجمالي إلى عامة المسلمين ايها أكثر الذين تجب عليهم زكاة الأموال أم الذين لا تجب عليهم ، المختار هو الثاني مع تباين في البلدان والأزمنة.

الآية الثالثة والعشرون : قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٤) قيل نسختها آية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ^{(٥)(٦)} وهذا الجزء من الآية (فَوَلِّ وَجْهَكَ) ورد في ثلاث آيات هي :

(١) سورة التوبة ١١٨.

(٢) سورة التوبة ١١٨.

(٣) الدر المشور ١٥١/٥.

(٤) سورة البقرة ١١٥.

(٥) سورة البقرة ١٤٤.

(٦) ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥/١.

الأولى : قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

الثانية : قوله تعالى ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لَسَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣) .

والظاهر أن المراد هو الآية الثانية أعلاه لرواية عن ابن عباس .
والمختار أن الآية محكمة غير منسوخة ، وليس من تعارض بين مضمونها ونسخ القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ، نعم قد ورد عن ابن عباس أنه قال (أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر والله أعلم شأن القبلة . قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة ١٤٩ .

(٣) سورة البقرة ١٥٠ .

(٤) سورة البقرة ١١٥ .

فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ، ثم صرفه الله تعالى إلى البيت العتيق ونسخها . فقال { ومن حيث خرجت فول وجهك } ^(١) الآية ^(٢) .

ولكن أخرج عن ابن عباس قال ({ فأينما تولوا فثم وجه الله } قال : قبله الله أينما توجهت شرقاً أو غرباً) ^(٣) .

وهو من موارد تقييد المطلق بحصر القبلة في البيت الحرام ولكن مع جواز الرجوع إلى المطلق عند الجهل بالقبلة لقاعدة نفي الحرج في الدين ، فلا تصل النوبة إلى النسخ المطلق .

ويفتخر البيت الحرام بتقييد المسلمين والمسلمات بالتوجه إليه قبله ، كما أن كل جهة من الجهات الأربعة تفتخر بتوجه المسلم الذي لا يعلم القبلة إليها عنوان الطاعة والتسليم لله عز وجل وأن كل الجهات ملك له سبحانه فالآية من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٤) .

دلالات آيات القبلة

لقد صار التوجه إلى البيت الحرام قبله في الصلاة واجباً ، وكذا فيما يجب في غير الصلاة ويشمل قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولَوْنَ فَوُجَّهُ﴾ ^(٥) أموراً :

الأول : صلاة التطوع عند السفر من على الراحلة أو السيارة أو القطار ، وهو المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ^(١) .

(١) سورة البقرة ١٤٩ .

(٢) الدر المنثور ١/١٠٧ .

(٣) الدر المنثور ١/١٠٨ .

(٤) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١١٥ .

و(عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به ، ثم قرأ ابن عمر هذه الآية {فأينما تولوا فثم وجه الله} ^(٣) ، وقال ابن عمر : في هذا نزلت هذه الآية) ^(٣).

مما يدل على أن ابن عمر لا يقول بنسخ هذه الآية ، وعن جابر بن عبد الله (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي على راحلته قبل المشرق ، فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلى .

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والبيهقي عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سافر وأراد أن يتطوع بالصلاة استقبل بناقته القبلة وكبر ، ثم صلى حيث توجهت الناقة) ^(٤).

الثاني : أداء الصلاة عند عدم تعيين القبلة وجهة المسجد الحرام.

الثالث : الحكم بصحة الصلاة عند أدائها على خلاف شرط القبلة مع الجهل وتعذر تعيينها لقاعدة نفي الحرج في الدين ، وبقاء حكم مضامين هذه الآية والسنة النبوية القولية والفعلية .

و(عن عامر بن ربيعة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً ، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً فيصلي فيه ، فلما أن أصبحنا إذا نحن قد

(١) أنظر الجزء الواحد والعشرين من هذا السفر ص ١٤٠ .

(٢) سورة البقرة ١١٥ .

(٣) الدر المنثور ١/٢٠٧ .

(٤) الدر المنثور ١/٢٠٧ .

صلينا على غير القبلة ، فقلنا : يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة ، فأنزل الله { والله المشرق والمغرب }^(١).

ومن فضل الله عز وجل كثرة النصوص وبيان السنة النبوية القولية والفعلية في المقام لموضوعية القبلة في الإسلام وللإستدلال بخصوص عدم نسخ الآية القرآنية.

الرابع : موضوع الآية أعم من مسألة القبلة في الصلاة من جهات :

الأولى : ابتدأت الآية بالإخبار عن الإطلاق المكاني للملك الله عز وجل فله ما في الشرق والغرب وما بينهما ملك لله عز وجل ، وقد ذكرت في الجزء الواحد والعشرين من هذا السفر (المشرق خلاف المغرب ، والغرب والمغرب بمعنى واحد وهو عنوان جهة مخصوصة من الجهات الأربع جعل الله عز وجل سقوط قرص الشمس وغيابه دليلاً عليها ، وتحذيراً وإشارة يومية ثابتة إلى جهتها ، مما يدل على الترابط والتداخل بين أجزاء الكون ووحدة نظامه كجزء من بديع صنع الله سبحانه ، في آية للإنسان تتكرر كل يوم تدل على التوحيد وتدعو الى الهداية والرشاد.

فهو رسول يومي متكرر إذ أن التبليغ والإنذار لا ينحصر بالقرآن والنبي بل ان آيات الله عز وجل الكونية هي ايضاً رسل تخاطب العقل الإنساني بلغة البرهان اللامي والإنسي ، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) ، جعل الله سبحانه شروق الشمس مقياساً ودلالة على جهة المشرق ، ويقال أشرقت الشمس اذا طلعت ، وأشرقت : إذا أضاءت وشع نورها وضياؤها على الأرض.

(١) الدر المنثور ١/ ١٠٧ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .

وقد يجمع المشرق والمغرب بتغليب المشرق كما ورد في التنزيل ﴿قَالَ يَأَيُّتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^(١) وغلب المشرق لأنه عنوان الوجود والإشراق والضياء، والمغرب دال على الزوال والإضمحلال والعدم، والوجود أشرف من العدم. أما الجمع والتداخل بتسمية الشمس والقمر بالقمرين فلتغليب القمر لأنه مذكر كما في قول الشاعر:

لنا قمرها والنجوم الطوالع^(٢).

وهل المشرق والمغرب من المتضايفين أي الشئيين الوجوديين اللذين يتوقف تصور كل منهما على تصور الآخر ولا يعقل أحدهما بدون الآخر كما في الأبوة والبنوة.

الجواب إنهما أعم من أن يكونا أمرين إضافيين بحسب سير الشمس وطلوعها وغروبها والمراد المشرق والمغرب بلحاظ الجهة من تخوم الأرض إلى عنان السماء وهو غير الفوقية والتحتية^(٣).

وكل من المشرق والمغرب عالم مستقل قائم بذاته كآية عظمى من خلق الله عز وجل ودعوة للإيمان، والتفكير في الخلق ومعرفة الإنسان لصغر حجمه وأثره في الكون ولزوم إجتنابه الفتن والقتال.

الثانية : عموم صيغة الخطاب وعدم إنحصارها بالمسلمين .

الثالثة : ذكرت الآية ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ والنسبة بينه وبين جهة القبلة

عموم وخصوص مطلق ، فالمراد من وجه الله عز وجل أعم ، ومنه توجه الناس إلى الله عز وجل ، ودعاؤه ورجاء رحمته ، وفي

(١) سورة الزخرف ٣٨.

(٢) الكشف والبيان ٩٢/١٢.

(٣) أنظر الجزء الواحد والعشرين من هذا السفر ص ١٣٤.

التنزيل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿١﴾.

وليس لله عز وجل وجه أو يد أو عين ، فالمراد الكناية
والوصف ، والمقصود من يد الله قدرة الله وعظيم سلطانه ، والمراد
من عين الله حضور الأشياء كلها عند الله ، والمراد من وجه الله
إحاطة الله عز وجل بكل شئ ، وفي التنزيل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ﴾ ﴿٢﴾ .

تعدد ذكر (وجه الله) في القرآن

يدل تعدد الموارد التي ذكر فيها ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ على أن موضوعه
أعم من تعيين القبلة ، وهو من الدلائل على أن آية البحث محكمة
غير منسوخة ، وفي الآية مسائل :

الأولى : بيان أولوية أداء الصلاة في أوقاتها ، وعدم جعل
المسلم متحيراً مع موضوعية استقبال البيت الحرام عند العلم
والطمأنينة والظن المعتبر .

الثانية : في الآية دعوة للمسلمين للطف مع أهل الكتاب
وإختيارهم القبلة ، واستقبال اليهود لبيت المقدس ، والنصارى
لجهة المشرق .

ومن الإعجاز في المقام عدم تعرض المسلمين لأهل الكتاب في
قبلتهم مع تعاقب الأجيال ، ليكون من معاني آية البحث تأديب
المسلمين ولزوم حسن المعاملة وصيغ الإحتجاج .

(١) سورة الرحمن ٢٦-٢٧ .

(٢) سورة القصص ٨٨ .

الثالثة : بيان تنزه الله عز وجل عن الحلول في مكان دون آخر فهو سبحانه منزّه عن الحاجة إلى الحيز والمكان ، ومن التجسيم والجسم لأن الجسم له طول وعرض وعمق ، وهو ليس بعرض لأن العرض حال في الجسم ، والجسم حادث ، والله عز وجل قديم ذاتاً منزّه عن الحدوث ، وما المكان والجهات الأربعة الفوقية والتحتية إلا ملك له سبحانه.

ووردت آخر آية من سورة المائدة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ، وسورة المائدة من آخر سور القرآن نزولاً.

الرابعة : يحتمل وبلحاظ سياق الآيات توجه الخطاب في الآية إلى المسلمين وغير المسلمين ، فهي عامة في موضوعها ، ولا يختص بالقبلة ، كما أنها تدعو الناس إلى الإسلام وتبين أن تعيين القبلة والإختلاف فيه ليس برزخاً دون الإسلام .

الخامسة : الآية إنذار للذين كفروا بأنهم لا يستطيعون الفرار من الله عز وجل لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهي رحمة بالمؤمنين بأن رحمة الله في كل مكان ، قال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .

ومن الإحسان التقيد باستقبال المسجد الحرام ، ومن أسماء الله عز جل (القريب) وفي التنزيل ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٣) ، وفي خطاب النبي صالح لقومه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾^(١) .

(١) سورة المائدة ١٢٠.

(٢) سورة الأعراف ٥٧.

(٣) سورة سبأ ٥٠.

ومع كثرة ورود ﴿قَرِيبٌ﴾ بلحاظ المكان فلم يرد لفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ من ﴿إلا في الآية أعلاه من سورة الأعراف .

السادسة : منع الإنسان من الغرور والإغترار بالدنيا وأموالها وزينتها ، فقد يظن الملك أن السلطان والدولة له ، أو يظن صاحب العقار والبستان أنه ملك طلق له ، فجاءت الآية لبيان أن ملكيتهم عرض زائل طوعاً وقهراً ، وينتقل للغير بالبيع أو الهبة ونحوها أو ينتقل بالموت للوارث ، وهو من عمومات قوله للناس ﴿وَلَكُمْ الْيَوْمَ نَذَاوِلَهَا يُبَيِّنُ النَّاسُ﴾^(١) .

السابعة : بيان قانون وهو ملك الله عز وجل أعم من أن تحيط به عقول البشر بلحاظ الجهات الأربعة وإطلاقها ، فذكرت الآية المشرق والمغرب على نحو الإطلاق من غير تعيين أو رسم .

وهل تشمل طلوع الشمس من جهة المشرق ومغيبها من جهة المغرب ، الجواب نعم ، فلا يختص موضوع الآية بمشارك ومغارب الكرة الأرضية ، وفيه دعوة للناس للتطامن والخشوع لله سبحانه .

الثامنة : مع قلة كلمات آية البحث ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) فقد ابتدأت باسم الجلالة وأختتمت بثلاثة أسماء من الأسماء الحسنى لله عز وجل بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) لبيان أن موضوعها من الإرادة التكوينية ، وهو أعم من تعيين القبلة الذي وردت بخصوصه آيات

(١) سورة هود ٦١ .

(٢) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٤) سورة البقرة ١١٥ .

متعددة ، وتلقاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وأجيال المسلمين بالقبول والتصديق والإمتثال .

وعلى القول بالنسخ في الآية فإنه ينحصر بقوله تعالى ﴿فَاَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمُوْجُهُ اللّٰهُ﴾^(١) ، ولكن موضوع الآية أعم من القبلة ، وفيه دعوة سماوية للإقرار بالتوحيد ، والتنزه عن الشرك ومفاهيم الضلالة .

نسخ القبلة سلام

لقد تم نسخ قبلة المسجد الأقصى ونزل التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة النبوية أي قبل معركة بدر بشهرين ، وبعد أن صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، لبيان قدسية البيت الحرام ولزوم عناية المسلمين بالعبادات اليومية ، والتقيد بشروطها ، وهذا التقيد سلم محض ، وعزوف عن القتال .

ونزلت آية نسخ القبلة في المدينة مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد القتال حتى بعد كثرة الأصحاب وأنه على الحق .

وعن (محمد بن عبد الله بن جحش قال : صليت القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصرفت القبلة إلى البيت ونحن في صلاة الظهر ، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنا فاستدردنا معه)^(٢) .

و(عن عمارة بن أوس الأنصاري قال : صلينا إحدى صلاتي العشي ، فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة ، فنادى أن الصلاة قد وجبت نحو الكعبة ، فحول أو انحرف أمامنا نحو الكعبة

(١) سورة البقرة ١١٥ .

(٢) الدر المنثور ١/ ٢٨٢ .

والنساء والصبيان ، وهل فيه شاهد على حجية خبر الواحد الجواب نعم .

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري عن أنس بن مالك قال : جاءنا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن القبلة قد حوّلت إلى بيت الله الحرام ، وقد صلى الإمام ركعتين فاستداروا ، فصلوا الركعتين الباقيتين نحو الكعبة^(١).

والمختار أن آية البحث نزلت بعد تحول المسلمين في قبلتهم إلى البيت الحرام ، وهو من الشواهد على أن موضوعها أعم من القبلة.

ويمكن إنشاء قانون وهو لو دار الأمر بين العموم والخصوص في الآية القرآنية ، فالأصل هو العموم.
وقانون لو دار الأمر بين الإطلاق والتقييد في الآية القرآنية فالأصل هو الإطلاق .

الآية الرابعة والعشرون : قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

قيل هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) الدر المنثور ٢٨٢/١.

(٢) سورة البقرة ١٥٨.

(٣) سورة البقرة ١٣٠.

(٤) انظر ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥/١ .

ولكن ليس من نسخ بين الآيتين ، وإحداهما تكمل الأخرى ، ولم يرد لفظ (يرغب) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

إذ أن الصفا والمروة من شعائر الله ، وإبراهيم عليه السلام أول من نادى نداء عاماً للحج ، وقد سبقه حج البيت ومن أيام أينما آدم الذي حج البيت مرات متعددة .

و(عن ابن عباس في حديث أن آدم حج من الهند أربعين حجة إلى مكة على رجليه)^(١).

وقد يقال يراد له خمسة أشهر ذهاباً ومثلها إياباً فيقضي سنته في طريق الحج ، ولكن الله عز وجل خفف عنه إذ تطوى له الأرض بالسعة ما بين كل خطوتين .

و(عن ابن عمر قال : إن الله أوحى إلى آدم وهو ببلاد الهند أن حج هذا البيت فحج ، فكان كلما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوتين مفازة ، حتى انتهى إلى البيت ، فطاف به ، وقضى المناسك كلها ، ثم أراد الرجوع ، فمضى حتى إذا كان بالمأزمين تلقته الملائكة فقالت : برّ حجك يا آدم ، فدخله من ذلك . . . فلما رأت ذلك الملائكة منه قالت : يا آدم إنا قد حججنا هذا قبلك قبل أن تخلق بألفي سنة . فتقاصرت إليه نفسه)^(٢).

وعلى فرض صحة هذه الأخبار فإن طي الأرض لآدم من بركات إقامته في الجنة برهة من الزمن ، ولنفخ الله عز وجل فيه من روحه ، وللنبوة وليان قانون وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)، تعاهد حج بيت الله الحرام ، فلو لم

(١) الدر المنثور ١/ ٨٩.

(٢) الدر المنثور ١/ ٨٦.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

يكن في الأرض إلا شخصان هما آدم وحواء فان حج البيت لا ينقطع ، وهو من مصاديق نسبة البيت إلى الله عز وجل بقوله تعالى ﴿بَنِيَّ﴾ بقوله تعالى خطاباً إلى إبراهيم ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١).

وورد لفظ (بيتي) ثلاث مرات في القرآن ، مرتين بخصوص بيت الله ، والأخرى في نوح عليه السلام بقوله ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٢).

ترى هل من صلة بين هذه الآيات الثلاثة ، الجواب نعم ، فان بيت الله عز وجل أسمى وأشرف من بيت نوح ، وإذا كان من يدخل بيت نوح يغفر له بدعاء الرسول ، فمن باب الأولوية القطعية أن الله عز وجل يغفر لمن يدخل بيته الحرام مؤمناً بفضل ولطف منه تعالى.

في رحاب الصفا والمروة

الصفا العريض الأملس من الحجارة ، والمفرد صفاة .
والشعائر : جمع شعيرة وهي الشاهد والعنوان والعلم الذي يدل على النسك والعبادة ، والإمثال لأمر الله .
لقد ذكرت الآية الصفا والمروة بالاسم ، وفيه شاهد على معرفة المسلمين والمسلمات لهما ، وهل يكون ذكرهما في هذه الآية سبباً لتفقه المسلمين في الدين ، وباعثاً للشوق إلى الحج في النفوس ، الجواب نعم .

(١) سورة الحج ٢٦.

(٢) سورة نوح ٢٨.

وتذكر الآية الكريمة بالحج ووجوبه ، ومناسكه ، وهو من الدلائل على أن الآية محكمة غير منسوخة خاصة وأن الجمع بين قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرَغِّبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١) ، وبين آية البحث أمر ممكن ، بل وحاجة للمسلمين .

ويقع جبلا الصفا والمروة بين المسجد الحرام وبطحاء مكة ، وهما متقابلان وملاصقان للبيت الحرام ، وما أكثر النصوص والأحكام التي وردت بخصوص الصفا والمروة والسعي بينهما ، وهو من الأمارات على أن الآية غير منسوخة بالإضافة إلى جزئية السعي بينهما في الحج والعمرة .

و(أركان العمرة خمسة :

الأول : النية.

الثاني : الإحرام.

الثالث : الطواف.

الرابع : السعي بين الصفا والمروة.

الخامس : التقصير.

وأركان الحج سبعة :

الأول : النية.

الثاني : الإحرام.

الثالث : الوقوف بعرفات.

الرابع : الوقوف بالمشر.

الخامس : الطواف.

السادس : السعي بين الصفا والمروة.

السابع : التقصير أو الحلق^(٢).

(١) سورة البقرة ١٣٠.

(٢) رسالتنا الموسومة مناسك الحج ص ١٣٤ .

فدخل السعي بين الصفا والمروة في الحج وفي العمرة ، قال تعالى ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(١).

والسعي بين الصفا والمروة واجب وفرض ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي)^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على السعي بين الصفا والمروة.

كيفية حج رسول الله (ص)

من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده في جعل أجيال المسلمين تحاكيه في أفعاله العبادية من غير زيادة أو نقصان وهو أمر لم يقع إلا بالوحي وتوفيق من عند الله عز وجل.

لقد ثبت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفعال الصلاة أجزاءً وأركاناً وأحكام الصيام والحج بامثاله الأمثل للأوامر الإلهية ، وأمر المسلمين بالأخذ والعمل به ، وقال (لتأخذوا عني مناسككم)^(٣).

لتكون هذه الأفعال العبادية والنواهي سبباً لإدراك كل جيل من المسلمين وكأنهم أصحاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن الإمام الباقر عليه السلام (دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت : أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البقرة ١٩٦.

(٢) الدر المنثور ١/٣٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٤٧١.

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاج .

فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل بمثل عمله ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة .

فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ، ثم ركب القصواء حتى استوت به ناقته على البيداء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله ، فما عمل به من شيء عملنا به .

فأهل التوحيد لييك اللهم لييك لا شريك لك لييك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأهل الناس بهذا الذي تهلون به ، فلم يرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً منه .

ولزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلبيته حتى أتينا البيت معه ، استلم الركن فرمل ثلاثاً^(١) ومشى أربعاً ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٢) ، فجعل المقام بينه وبين البيت .

فصلى ركعتين يقرأ فيهما بقل هو الله أحد ، وبقل يا أيها الكافرون .

ثم رجع إلى البيت فاستلم الركن ، ثم خرج من الباب إلى الصفا .

(١) الرمل هو إسراع المشي مع تقارب الخطى وقيل وهز منكبيه .

(٢) سورة البقرة ١٢٥ .

فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(١) ،
فبدأ بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فكبر الله وحده وقال :
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر
عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك وقال : مثل هذا
ثلاث مرات .

ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه رمل في بطن الوادي حتى
إذا صعد مشى حتى أتى المروة ، فصنع على المروة مثل ما صنع
على الصفا .

حتى إذا كان آخر الطواف على المروة قال : إني لو استقبلت
من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة ، فمن كان
منكم ليس معه هدي فليحلل وليجعلها عمرة ، فحل الناس كلهم
وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن كان معه هدي .

فلما كان يوم التروية وجهوا إلى منى أهلوا بالحج ، فركب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بمنى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء والصبح ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس
وأمر بقبة له من شعر فضربت بنمرة^(٢) .

وعلى وجوب السعي بين الصفا والمروة وكونه من أركان الحج
قال الإمامية والشافعي وهو المشهور من مذهب مالك .
ونسب إلى أبي حنيفة أنه واجب غير فرض ، وأنه من سنن
الحج ولم يكن مما لا يتم الواجب إلا به .

(١) سورة البقرة ١٥٨ .

(٢) الدر المنثور ٤٥١/١ .

وقال الجصاص وهو من الحنفية : هو عند أصحابنا من توابع الحج ، يميز عنه الدم لما يرجع إلى أهله ، مثل الوقوف بالمزدلفة ، ورمي الجمار وطواف الصدر.

الطواف هو الدوران حول الكعبة سبع مرات ، والطواف على أقسام وهي :

الأول : طواف القدوم ، وهو أدب الدخول فتحيته الطواف ، وهو مما يمتاز به عن مساجد الأرض عامة .

الثاني : طواف الإفاضة ، ويسمى طواف الركن ، فهو الركن الخامس في الحج ، وعلى القول بأن أركان الحج أربعة فهو الركن الثالث ، وأوانه بعد النزول والإفاضة من عرفة لقوله تعالى ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١).

الثالث : طواف الصدر ، سُمي به لأنه يصدر به عن البيت ، ويسمى طواف الوداع ، للحاج والمعتمر لأنه يودع البيت به ، وطواف آخر العهد .

وعن ابن عباس قال (كانوا ينفرون من منى إلى وجوههم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، ورخص للحائض)^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام (السعي بين الصفا والمروة فريضة)^(٣).

والخلاف صغروي لدلالة الآية الكريمة ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(١) ، ولسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالطواف

(١) سورة الحج ٢٩.

(٢) الدر المنثور ١٤٦/٧ .

(٣) البحار ٤٠٢/١٠.

والسعي بينهما ، وهذا السعي مما أتى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

ذات الصفا والمروة من الشعائر

لم يرد لفظ (الصفا) ولفظ (المروة) إلا في آية البحث ومن الإعجاز أفراد كل منهما على أنه شعيرة مكانية لذكرها بالخصوص ، فلم تقل الآية (ان السعي بين الصفا والمروة) أو إن الطواف بين الصفا والمروة.

والمختار أن ذات الصفا والمروة من شعائر الله وأن الحفاظ عليهما واجب عقائدي وشرعي ، وقد ورد في البدن أنها من شعائر الله ، قال تعالى ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾^(٢).

وكذا في الصفا والمروة وثباتهما في المحل خير كثير للمسلمين والناس مطلقاً .

وقد ألح مشركو قريش على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يريهم آية وهي جعل جبل الصفا ذهباً مع أنه من حجارة ملساء ، واختاروا الصفا لأنه أكبر وأعلى من جبل المروة وفيه أماراة على إدراكهم لمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتمر الأيام والسنون ليصبح جبل الصفا يدر ذهباً على قريش وأهل مكة في كل عام ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد أرادوا معجزة حسية متعذرة ، لأن ذات جبل الصفا من شعائر الله ، فرزقهم الله بخصيص هذا الجبل معجزة عقلية

(١) سورة البقرة ١٥٨.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة الحج ٣٥.

متجددة كل عام بوفود ملايين المسلمين كل سنة إلى مكة ، وشوق
أضعاف مضاعفة من خلفهم للوصول إليها ، والإنفاق فيها في
السكن ، والمأكل ، والمشرب ، والتنقل ، والتبضع .

لقد كانت قريش تزاول التجارة ، وتجلب البضائع من الشام في
الصيف ، ومن اليمن في الشتاء ، ونزل قوله تعالى ﴿لِيَايَلَايَ قُرَيْشٍ*
إِلَّا لَهُمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(١).

وبعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعمارة
المسجد الحرام صار أهل الشام وأهل اليمن ومصر والعراق
وفارس وغيرهم يتسوقون من مكة والمدينة ، ويشترون بالعملة
الصعبة الحاجات والهدايا لتزدهر التجارة في مكة ويكون الصفا
ذهباً كل عام .

لذا فمن معاني الآية أعلاه دعوة قريش وأهل مكة لشكر الله
عز وجل على نعمة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
قال تعالى ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢).

ومن مصاديق هذا الشكر الإمتناع عن قتال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وعن غزو المدينة .

ولو تنزلنا وقلنا بنسخ الآية فماذا يكون المعنى خاصة وأن الصفا
والمروة من شعائر الله أمر محكم وقانون من الإرادة التكوينية ثابت
إلى يوم القيامة ، وهو من أسباب صرف البلاء عن أهل الأرض .
وقال في ناسخ القرآن ومنسوخه

(١) سورة قريش ١-٣ .

(٢) سورة ابراهيم ٣٧ .

(م^(١)) فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما أي أن لا يطوف بهما ن^(٢) ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه^(٣).

أي أنه اعتمد قراءة غير مشهورة وخلاف المعنى المقصود وهي (ان لا يطوف).

وعن عروة بن الزبير قال : قلت لعائشة ، وأنا يومئذ حديث (أرأيت قول الله تعالى { إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما } فما أرى على أحد جناحاً أن يطوف بهما؟

فقلت عائشة : بشما قلت يا ابن أختي ، إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها ، وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...الآية﴾^(٤) .
 قالت عائشة : ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطواف بهما ، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما^(٥).

(١) أي المنسوخ .

(٢) أي الناسخ .

(٣) ابن البازري / ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥/١ .

(٤) سورة البقرة ١٥٨ .

(٥) الدر المنثور ٢١٨/١ .

وقول لا جناح عليك أن لا تفعل : إباحة لترك الفعل ، وعدم المؤاخذة على هذا الترك ، وهو خلاف السنة النبوية القولية والفعلية.

وقد تقدم (وروي عن ابن مسعود أنه قرأ (فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما)^(١)، ولكنها قراءة شاذة وخلاف المرسوم في المصاحف)^(٢).

والأخبار الواردة بوجوب السعي بين الصفا والمروة مستفيضة بل متواترة ، وهي موافقة لما مرسوم في المصاحف .

وذكر الناسخ ﴿وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣)، يجعل الخلاف صغرياً لما يدل عليه بأن السعي بين الصفا والمروة من سنة إبراهيم عليه السلام ، ولكن لا تصل النوبة الى النسخ ، ولا يترتب النسخ على قراءة شاذة.

ولو تنزلنا وقلنا بأن بعض المسلمين ظن أن السعي بين الصفا والمروة سنة يجوز تركها فهل يكون قد رغب عن ملة إبراهيم وسفه نفسه وجعلها في حال من الجهالة والضلالة ، الجواب لا ، إذ أن ملة إبراهيم الإسلام ، والتوحيد ، ومن قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج فهو ممن تعاهد ملة إبراهيم.

فقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، محكمة غير منسوخة.

(١) الكشاف ١/١٤٧.

(٢) معالم الإيمان في تفسير القرآن ٦٦/٢٧.

(٣) سورة البقرة ١٣٠.

(٤) سورة البقرة ١٥٨.

قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ مطلق

المطلق في مقابل المقيّد سواء كان القيد زمانياً أو مكانياً ، موضوعاً أو حكماً ، فإن هذا القانون سالم من التشابه والنسخ وضروب التقييد ، وهو من إعجاز القرآن ومصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، وهل يدخل القرآن في ذات التبيان ، ويبين القرآن آياته ومعناها ودلالاتها .
أم أن القدر المتيقن هو تبيانه لغيره ، ويتعلق الأمر بالأحكام والسنن.

الجواب هو الأول ، فذات القرآن مما يبينه القرآن ، وهو من الإعجاز الذاتي له ، وبيانه لغيره من الإعجاز الغيري ليكون من إعجاز القرآن إجماع الإعجاز الذاتي والغيري في آية واحدة .
وكذا قد تجتمع قوانين متعددة في كلمة واحدة من القرآن ، كما في قوله تعالى ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ ، من وجوه :

الأول : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ على أنفسكم وغيركم .

الثاني : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ فيعتدى عليكم .

الثالث : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ للغنى بالحجة والبرهان والمعجزة الحسية والعقلية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ قبل الهجرة وبعدها .

الخامس : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ قبل صلح الحديبية وبعده .

السادس : قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ قبل فتح مكة وبعده .

السابع : قانون التداخل الموضوعي والحكمي بين قوله تعالى ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(١) و﴿لَا تَقْنَدُوا﴾.

الثامن : قانون الملازمة بين تقوى الله و﴿لَا تَقْنَدُوا﴾ ومن إعجاز نظم الآيات إختتام الآية السابقة بقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

والتقوى والأمر بها باق إلى يوم القيامة ، وكذا ما يلزمها من إشاعة الأمن المجتمعي ، ونشر ألوية السلام ، والإمتناع عن الإعتداء .

قانون الجامع لآيات القرآن نفي لنسخ آيات السلم

الحمد لله الذي جعل القرآن دستور الحياة يفيض بالعلوم ، وينمي ملكة الحكمة عند التالي والمستمع لآياته وهو من مصاديق وجوب تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن سبع عشرة مرة في الصلاة اليومية .

ويبعث القرآن الناس على الصدور عنه في دعوته إلى السلم والوئام ومكارم الأخلاق وهو من الشواهد العامة على سلامة آيات السلم من النسخ بتقريب عدم إنحصار سلامة آيات السلم من النسخ بنفي نسخ آية السيف وآية القتال لها ، بل بقانون ذات آيات القرآن على نحو العموم المجموعي والإستغراقي على هذه السلامة ، وهذا القانون قول مستحدث هنا يفتح آفاقاً من العلم .

وللقوانين التي تستنبط من القرآن موضوعية إلى يوم القيامة لوجوه :

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة ١٨٩.

الأول : القرآن آخر الكتب السماوية النازلة عند الله .

الثاني : نزول القرآن على خاتم النبيين ، لبيان قانون من الإرادة التكوينية ، وهو الملازمة بين التنزيل والنبوة ، فليس من تنزيل إلا على نبي .

الثالث : الإعجاز العقلي للقرآن .

الرابع : إنتفاء التعارض بين آيات القرآن ، فحينما نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْدُوا﴾ ، لا تجد في كلمات القرآن ما يتعارض معها ، قال السيوطي (وعد قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة ، وقيل وأربعمئة وسبعاً وثلاثين ، وقيل ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك . وقيل وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار ، كل منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانب)^(١) .

و(عن ابن عباس قال: جميع أي القرآن ستة آلاف آية وستمئة آية وست عشرة آية ، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمئة حرف وأحد وسبعون حرفاً . قال الداني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل وأربع عشرة ، وقيل وتسع عشرة ، وقيل وخمس وعشرون ، وقيل وست وثلاثون)^(٢) .

ولا يلزم من هذا العنوان الجمع بين كل آيات القرآن لاستقراء استدامة حكم آيات السلم بل يكفي في كل مرة الجمع بين بضع آيات ذات صلة بالموضوع .

(١) الإتقان في علوم القرآن ٨٢/١ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٧٩/١ .

وقد صدرت لي أجزاء يختص أكثرها بالصلة بين آيتين أو بين شطرين منهما وهي :

♦ الجزء السادس والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٦٤-٦٩ من سورة آل عمران.

♦ الجزء السابع والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٧٠-٧٧ من سورة آل عمران.

♦ الجزء الثامن والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٧٨-٨٤ من سورة آل عمران.

♦ الجزء التاسع والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٨٥-٩٣ من سورة آل عمران.

♦ الجزء الثمانون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٩٤-١٠٢ من سورة آل عمران .

♦ الجزء الواحد والثمانون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ١٠١-١٠٩ من سورة آل عمران .

♦ الجزء السادس والعشرون بعد المائة ، ويختص بصلة الآية (١٥٢) بالآية التي قبلها من سورة آل عمران.

♦ الجزء السابع والعشرون بعد المائة وهو القسم الأول من تفسير الآية ١٥٣ ، ويختص بصلة شطر من الآية ١٥٣ بشطر من الآية ١٥١ من سورة آل عمران.

♦ الجزء التاسع والعشرون بعد المائة ، وهو القسم الأول من تفسير الآية ١٥٤ ، ويختص بصلة شطر من الآية بشطر من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

♦ الجزء الواحد والخمسون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين شطر من الآية ١٦١ بشطر من ١٦٤ من سورة آل عمران .

♦ الجزء الواحد والتسعون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين الآية ١٨٠ والآية ١٨١ من آل عمران .

والمطلق هو اللفظ الشائع في جنسه واللفظ الدال على الماهية بلا قيد .

صلة الخلافة بـ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾

ترى ما هي الصلة بين قانون الخلافة في الأرض ، وقانون (لا تعتدوا) الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فعدم الإعتداء فرع خلافة الإنسان في الأرض لبيان قانون تعاهد المسلمين لمصاديق الخلافة .

وهذا القانون من الشواهد على استدامة بقاء الإسلام الديانة الثابتة إلى يوم القيامة لما فيها من حفظ النسل والعرض والمال للناس جميعاً : قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

في دلالة على مجئ كل نبي بقانون عدم الإعتداء إلى أن ورثه المسلمون ، ومن خصائص هذا القانون موافقته للعقل والطبع الإنساني ، ونفرة النفوس من الاعتداء سواء كان على نحو القضية الشخصية أو النوعية ، لذا فان قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ مطلق وهو قانون مصاحب للرسالات السماوية ، وليس مقيداً بشرط أو حال دون أخرى ، فحتى في حال الغضب لابد من التقيد بعدم الإعتداء ، قال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وقد تقدم في الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين (القوانين في القرآن إلهية تفيد الإنسباط والملائمة لكل الأزمنة والبلدان).

(١) سورة آل عمران ١٩.

(٢) سورة آل عمران ١٣٤.

وجاء في الجزء السابع والعشرين بعد المائتين قانون (النهي عن الإعتداء ، والنسبة بين الإعتداء والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإعتداء أعم أي من باب الأولوية النهي عن الإرهاب)^(١).
 و(قانون عام مصاحب للحياة الدنيا وهو بغض الله عز وجل للذين يعتدون على الناس ، لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢)^(٣).

ومن معاني قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤)،
 حتمية وجود أمة في كل زمان تؤدي وظائف الخلافة ، وتظهر حسن الإمثال للأوامر والنواهي الإلهية ، ومنها الإنزجار عن التعدي والظلم .
 ومن معانيه أيضاً بعث النفرة في النفوس من التعدي ، وهل يختص وجود هذه النفرة بالمؤمنين من الملل السماوية ، الجواب لا ، إنما هي موجودة عند كل إنسان وهي من عمومات الخلافة في الأرض ، وقوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٥).

و(قانون انتفاء النفع من الإرهاب والعنف والتعدي على الناس ، وإلحاق الضرر بأنفسهم وأموالهم)^(٦).

(١) انظر الجزء الخامس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر ص ١٣ .

(٢) سورة البقرة ٩٠.

(٣) انظر الجزء الخامس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر ص ١٤ .

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة السجدة ٩.

(٦) انظر الجزء الخامس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر ص ٧٠ .

عمومات (لَا تَعْتَدُوا)

ظاهر نظم الآية توجه الخطاب (لاتعتدوا) إلى المسلمين والناس جميعاً لمنع الظلم في ميدان الحرب ، ولأن الله عز وجل بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالنصر فيجب أن لا يترتب على النصر الإضرار بأي من الناس بغير حق ، فينزل النصر للمسلمين من عند الله ، والله تعالى هو الرحيم بالناس جميعاً.

فلا تعارض بين هذا النصر وبين استدامة رحمة الله بالناس جميعاً برهم وفاجرهم .

إن تنزه المسلمين عن الإعتداء دعوة للناس لدخول الإسلام ، وإستئصال للثأر والضغائن والأحقاد .

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول أبناء الكافر الذي قتل في ميدان المعركة الإسلام .

ومن معاني الإطلاق في (لاتعتدوا) إمتناع المسلمين عن الإعتداء على الأفراد والممتلكات الخاصة والعامة في حال السلم أيضاً ، لبعث الطمأنينة العامة من الإسلام ، وتوجه المسلمين إلى ذكر الله.

والخشية من الله تعالى بالغيب ، فجاء قوله تعالى ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ بصيغة الجمع لينحل بعدد المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة وهو من إعجاز القرآن بأن ينقسم الأمر القرآني إلى اللامتناهي من الأعداد والمتلقين وكثرة الإمثال له.

فليس من إمثال لأمر في الحياة الدنيا مثل الإمثال للأوامر والنواهي القرآنية كثرة واستدامة مع تفقه في الدين ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم ، فيتجدد بالتلاوة توجه الأمر والنهي لهم بعدم الإعتداء ، ويكون حاضراً في الوجود الذهني خارج أوقات الصلاة للتقارب الزماني بين أفراد الصلاة اليومية الخمس.

ومن خصائص المسلمين أنهم أسوة للناس جميعاً في لزوم عدم الإعتداء والتعدي ، لذا حينما كان المشركون يغزون المدينة وأطرافها لا يردون عليهم بالمثل.

(لَا تَعْتَدُوا) محكم غير منسوخ

من إعجاز القرآن تلقي المسلمين الأوامر والنواهي بالرضا والقبول وتبادر قانون الأصل عدم النسخ ، وهذا التبادر من الفطرة والفقاهة وتجلي منافع هذه الأوامر والنواهي في الواقع العملي.

فعندما قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا﴾^(١)، أدرك المسلمون والمسلمات قبح وحرمة الزنا وضرره في النشأتين ، ولو أجريت إحصائية عامة لتبين أن المسلمين أقل نسبة بين الأمم في موضوع الزنا واللواط ، وحتى هذه القلة إن حصلت فهي بالخفاء والإستحياء والندامة ، وهو من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنافعها العامة ، واقتباس الأمم من حسن سمت المسلمين .

وكذا تتلقى أجيال المسلمين ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بالقبول والإستجابة ومن الشواهد على عدم النسخ في عدم الإعتداء موافقته للفترة الإنسانية ، وإدراك العقل النوعي والشخصي .

لقد ابتدأ الإعتداء في الأرض بقتل ابن آدم قاييل لأخيه هابيل ثم حصل التعدي بالكفر والجحود ، والصدود عن الأوامر الإلهية ، ليعث الله عز وجل النبي محمداً بشيراً ونذيراً ، بشيراً للذين لا يعتدون ، ونذيراً للذين يعتدون.

لذا فمن معاني قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أنها بشارة وإنذار متصل ومتجدد إلى يوم القيامة ، ولا تُنسخ كل من البشارة والإنذار ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

والنسبة بين القتال في سبيل الله وبين عدم الإعتداء هو العموم والخصوص المطلق ، لأن النهي عن الإعتداء يشمل أموراً :
الأول : قانون عدم الإعتداء في ميدان القتال .

الثاني : قانون عدم الإعتداء في حال السلم ليتعاهد المسلمون والناس حال السلم ، ويكون مناسبة للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : قانون عدم الإعتداء في المعاملات لإشاعة العدل والإنصاف .

الرابع : قانون عدم الإعتداء عند إنتهاء القتال ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٢).

الخامس : قانون عدم إعتداء المسلمين بعضهم على بعض .
فمن إعجاز القرآن الوارد في (ولا تعتدوا) وصيغة الإطلاق فيه تنمية ملكة عدم الإعتداء في الميدان والسوق والبيت سواء مع الحاضر أو الغائب.

وهل يشمل (ولا تعتدوا) النهي عن الغيبة والنميمة والتجسس ، الجواب نعم.

ليبيان إعجاز الآية القرآنية بأن تأتي في موضوع القتال لتشمل حال السلم ، وكذا العكس فتأتي الآية القرآنية بخصوص حال السلم لتشمل حال الحرب والقتال ليس في المفهوم إنما في ذات

(١) سورة الفرقان ٥٦.

(٢) سورة الأنفال ٦١.

المنطوق والمعنى والدلالة ، ومن الإعجاز تبادر هذا المعنى إلى أذهان المسلمين والمسلمات من غير استعانة بعلوم التفسير والتأويل ، وهو من الشواهد على أن القرآن معجزة عقلية متجددة إلى يوم القيامة.

النسبة بين أول وآخر آية ﴿وَقَاتِلُوا﴾

من خصائص الآية القرآنية تعدد المضامين القدسية فيها ، ومجيؤها بالأمر والنهي والخبر من غير تعارض بين مضامينها ، ولا بينها وبين آيات القرآن الأخرى وهو من قانون خلود إعجاز القرآن.

وتمام آية البحث هو ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) ، إذ تتضمن الآية وجوهاً :

الأول : إبتداء الآية بالعطف على الآية السابقة والتي اختتمت بالأمر العام للمسلمين بالتقوى والخشية من الله ، رجاء الفوز والفلاح .

الثاني : الأمر للمسلمين بالقتال ، والآية مدنية ، ولم يكن في مكة قبل الهجرة أمر للنبي وأصحابه بالدفاع .

الثالث : قال المشهور فرض القتال في المدينة ، والمختار أنه لم يفرض بصورة مطلقة ، إنما ورد مقيداً بلحاظ الإضطراب للدفاع ضد هجوم المشركين .

قال ابن عطية (وقال عطاء بن أبي رباح : فرض القتال على أعيان أصحاب محمد ، فلما استقر الشرع وقيم به صار على

الكفاية ، وقال جمهور الأمة : أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين^(١).

وقال الطبري (والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة)^(٢).

واكتفى الشيخ الطوسي بنقل قول (الزجاج: كانت براءة تسمى الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، لأنه لما فرض القتال تميز المؤمنون من المنافقين ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي اعداءهم)^(٣).

والمختار تقييد فرض القتال في القرآن بحال هجوم وقاتل المشركين ، أو إبداله بقانون فرض الدفاع لدفع وهم إرادة الإطلاق في فرض القتال.

والله عز وجل هو الذي قيده بالنص الجلي من جهتين في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٤) ، والجهتان هما :

الأولى : لزوم القتال في سبيل الله .

الثانية : عدم القتال إلا ضد الذين يقاتلون المسلمين ويعتدون على ثغورهم ، ويهجمون عليهم .

وهل إرادة قتل المشركين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الإعتداء ، أم أن القدر المتيقن خصوص القتال ، الجواب هو الأول.

فان قلت قد ورد قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) ، فالمراد من اعتدى عليكم في الشهر

(١) المحرر الوجيز ٢٣٨/١ .

(٢) تفسير الطبري ٥٨١/٢ .

(٣) الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ١٨١/٥ .

(٤) سورة الأنفال ٦١ .

الحرام أو في الحرم في مكة قبل الهجرة ، والمماثلة هنا وبلحاظ وحدة المكان والزمان لعمومات (ولا تعتدوا) أي ليس من تعارض بين الآيتين.

و(عن ابن عباس : في قوله ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٢) وقوله ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٣)، وقوله ﴿وَكَمَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٤)، وقوله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾^(٥)، قال : هذا ونحوه نزل بمكة ، والمسلمون يومئذ قليل فليس لهم سلطان يقهر المشركين ، فكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى ، فأمر الله المسلمين من يتجازى منهم أن يتجازى بمثل ما أوتي إليه أو يصبر أو يعفو.

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر الله المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم ، ولا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية ، فقال ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾^(٦)، الآية . يقول : ينصره السلطان حتى ينصفه من ظلمه ، ومن انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف ، قد عمل بحمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله تعالى^(٧).

(١) سورة البقرة ١٩٤.

(٢) سورة البقرة ١٩٤.

(٣) سورة الشورى ٤٠.

(٤) سورة الشورى ٤١.

(٥) سورة النحل ١٢٦.

(٦) سورة الاسراء ٣٣.

(٧) الدر المنثور ١/٤١٤.

و) عن جابر عن عبد الله قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى ويغزو ، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ^(١).

والمراد من (فمن اعتدى عليكم) أي بالغزو والعدوان والظلم والشتم والقتل ، أما (فاعتدوا عليهم) فهو إرادة الإذن بالمماثلة وهي دفاع ، وبشارة عز الإسلام ، وتحقيق الهجرة وكثرة المسلمين ، وبعث للفزع والخوف في قلوب المشركين .

ومن معاني الآية : ولا تعتدوا ابتداء ، وهل يمكن تقييد قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ابتداءً على نحو الحصر ، الجواب لا ، إذ تتضمن الآية ذم المشركين إذا اعتدوا أو ردوا التعدي لأنهم على باطل ، لأن ذات الشرك ظلم وتعد .

وهذه المثلية في الإعتداء تكليف للمسلمين ، وتخويف للمشركين ، وهي إلى الانحسار ، فمتى ما علم المشركون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سيردون بالمثل فانهم يجتنبون التعدي والغزو المتكرر ، وهل لهذه الآية وشبهها موضوعية في إمتناع المشركين عن القتال الشديد في الخندق ، وفي عدم الغزو بعده ، وفي وقوع صلح الحديبية ، الجواب نعم .

قانون بغض الله للمعتدين

لقد أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢) ولم تذكر ذات الإعتداء ، إنما ذكرت أشخاص المعتدين ، وتعيديهم ، وأن عدم الحب موجه إليهم بالذات للدلالة على قبح فعلهم ، وللإنذار والوعيد إذ يحجب المعتدون عن أنفسهم

(١) الدر المنثور ١/ ٤١٥ .

(٢) سورة المائدة ٨٧ .

ضروباً من الرحمة الإلهية ، وليبيان نكتة وهي أن الدنيا ليست دار عمل وحده ، إنما هي دار عمل وجزاء ابتدائي أيضاً ، لتستديم الخلافة ومصاديقها ، ويتجدد كل يوم ذكر الله في الأرض ، وإزاحة أسباب ومقدمات الإضرار بالمؤمنين ، قال تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١) ومنه عدم حب الله للمعتدين والظالمين ، وقد تكرر ثلاث مرات في القرآن عدم حب الله للظالمين .

الأولى : قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

الثانية : قال تعالى ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّأُولُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

الثالثة : قال تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُجِبُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وورد ذكر المعتدين في القرآن خمس مرات ، ترى ما هي النسبة بين الظلم والتعدي بلحاظ آيات القرآن ، المختار العموم والخصوص المطلق ، وأن كل ظلم هو تعد وليس العكس ، إذ ورد التعدي في القرآن بصيغة التحذير والإنذار والوعيد عليه ، لبيان أن

(١) سورة آل عمران ١١١.

(٢) سورة آل عمران ٥٧.

(٣) سورة آل عمران ١٤٠.

(٤) سورة الشورى ٤٠.

التعدي من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً .

وقد ورد عدم حب الله عز وجل للمعتدين في ثلاث آيات من القرآن ، وهي :

الأولى : آية البحث.

الثانية : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

وبغض الله عز وجل للمعتدين مطلق ، ويخرج بالتخصيص رد إعتداء المشركين بمثله من غير زيادة أو ظلم بقوله تعالى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

ومن تقوى الله عز وجل في المقام أمور :

الأول : إختيار العبد .

الثاني : إقتران الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برد الإعتداء .

الثالث : الإمتناع عن الزيادة في رد الإعتداء .

الرابع : النهي عن المناجاة بالتعدي والظلم .

(١) سورة المائدة ٨٧.

(٢) سورة الأعراف ٥٥.

(٣) سورة البقرة ١٩٤.

وجاءت الآية أعلاه بخصوص الأشهر الحرام والقتال فيها ، وهل التعدي بالمثل يختص بها جموداً على النص أم أن الآية أعم ، ويرد التعدي بمثله سواء في الأشهر الحرم أو الأشهر الحل ، المختار هو الثاني .

هل نسخت آية السيف (لَا تَعْتَدُوا)

وقال الماتن أن آية السيف نسخت قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) .

وموضوع النسخ في المقام هو القتال الإبتدائي مع المشركين ، لأن آية السيف هي ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) .

ولكن موضوع آية السيف مقيد زماناً ومكاناً بخصوص مشركي مكة في آخر السنة العاشرة للهجرة.

أما قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فهو باق ومتجدد إلى يوم القيامة.

كما أن الإذن بالقتال لا يعني جواز التعدي بدليل ذات آية حرمة التعدي التي تضمنت الأمر بالقتال وقيدته بأنه في سبيل الله ، ليدل قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣) ، على التباين بين القتال في سبيل الله وبين التعدي.

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة التوبة ٥.

(٣) سورة البقرة ١٩٠.

وليكون من تقدير آية السيف (فاذا انسلخ الأشهر الحرم الثلاثة المخصوصة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وخذوهم واحصروهم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

والنسبة بين التعدي والقتال في غير سبيل الله فهي العموم والخصوص المطلق ، وأن التعدي أعم ، فقد يعتدي المشركون بالغدر والإغتيال ، وحرقت النخيل في أطراف المدينة أو نهب سروح أهل المدينة.

أما القتال فالقدر المتيقن منه هو إلتقاء الصفيين وسل السيوف والمبارزة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيُّ الْيَعْتَابِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ، بخصوص معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، فقد أصطف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مقابل مشركي قريش.

ومن الإعجاز قانون التنزيل يوم معركة بدر لإرادة السلم حتى في ساعة القتال ، والإخبار بأن القتال عرض زائل لأن التنزيل عنوان السلم والأمن المجتمعي .

وسياقي قانون : سعي النبي للسلم حتى في الميدان. ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن الإبتداء بالقتال أو رمي النبال أو طلب المبارزة ، وكان يأمل إمتناع قريش عن القتال خاصة مع إنتفاء أسبابه ومقدماته.

وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بأن الله سيظهره عليهم ، الجواب نعم ، ومع هذا كان يرجو عدم وقوع

القتال وسفك الدماء ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) .

قانون سعي النبي (ص) للسلام حتى في الميدان

لقد كان السلم والسعي إليه سجية نبوية ثابتة ، وكأنه من العهد بين الله وأنبيائه ، وكل نبي يسعى في السلم ، ولا يدخل ميدان القتال إلا اضطراراً ودفاعاً .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجاءه السلم ومنع القتال حتى ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٢) ، سواء في معركة بدر أو معركة أحد أو الخندق .

ورأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة يوم بدر أحد المشركين يركب جملاً أحمر ويطوف على صفوفهم وهو عتبة بن ربيعة يسأل رجالات قريش الإمتناع عن الإقتال ، ويقول لهم (يا قوم أطيعوني فإنكم لا تطلبون عندهم غير دم ابن الحضرمي وما أصابوا من غيركم تلك وأنا أتحمل بوفاء ذلك .

ودعوا هذا الرجل فإن كان كاذباً ولي قتله غيركم من العرب فإن فيهم رجالاً لكم فيهم قرابة قريبة وإنكم إن تقتلوهم لا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه أو ابن أخيه أو ابن عمه فيورث ذلك فيهم احنا وضغائن)^(٣) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٦٦ .

(٣) الدر المنثور ٤/٤١٦ .

ثم بين لهم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خرج من مكة طريداً ليس معه إلا أحد أصحابه ، قال تعالى ﴿ثَانِيْ اَثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^(١).

ولم تمض إلا سبعة عشر شهراً وإذا هو يقف في وسط ثلاثمائة وثلاثة عشر مدججين بالسلاح يرجون الشهادة دفاعاً عنه وعن التنزيل ، ولم تكن قريش تعرف آنذاك لغة وماهية الشهادة ، إنما كانت العصبية الجاهلية والقبيلة الضابطة في المعاملة والصلوات .

وقال لهم إن محمداً بهذه الحال على أحد وجهين :

الأول : هو ملك وأنتم في ملك أخيكم ، ودفاع الأوس والخزرج عنه مقدمة لتبعية العرب له .

الثاني : إنه نبي فكيف تقتلون نبياً .

ليذكرهم بمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية والعقلية عندما كان في مكة ، وما بلغهم منها بعد الهجرة ، وهل وقوف ثلاثمائة وثلاثة عشر من المهاجرين والأنصار في معركة بدر من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، خاصة مع قصر المدة بين الهجرة ووقوع معركة بدر .

ولم يستمع أبو جهل وبعض رؤساء قريش إلى قول عتبة بن ربيعة ، ونظروا إلى قلة عدد المسلمين على نحو خاطئ ، إذ ظنوا أن عدد الصحابة سيزداد ويتضاعف بسرعة فلذا لا بد أن يجهزوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والموجود منهم لإستئصالهم في معركة بدر ، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة التوبة ٤٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وهو ينظر إلى عتبة : إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا) ^(١).

الآية الخامسة والعشرون : قال البازري نسخت آية السيف قوله تعالى ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢) ^(٣) ، والمختار أن الآية محكمة غير منسوخة.

ويعود الضمير في ﴿تَقَاتِلُوهُمْ﴾ وواو الجماعة في ﴿يُقَاتِلُكُمْ﴾ للمشاركين الذين يبدأون القتال ، ليدل في مفهومه على النهي عن إشاعة سفك الدماء وعن إقتال المسلمين عند المسجد الحرام ، بل ومطلقاً لوجوه :

الأول : توجه الخطاب في الآية أعلاه إلى المسلمين على نحو العموم الإستغراقي .

الثاني : إرادة المسلمين كأمة واحدة ، وتدل عليه آيات منها قوله تعالى ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ^(٤) .

الثالث : حرمة الإقتال بين المسلمين ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ^(٥).

(١) الدر المنثور ٤/١٦٦ س.

(٢) سورة البقرة ١٩١ .

(٣) ابن البازري / ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٤/١ .

(٤) سورة الحجرات ١٠ .

(٥) سورة آل عمران ١٠٣ .

وعن أنس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معشر الأنصار بم تمنون عليّ أليس جئتم ضلّالاً فهداكم الله بي ، وجئتم أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا : بلى . يا رسول الله) ^(١).

(و) عن ، سلمة بن نفيل السكوني قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال قائل : يا رسول الله هل أتيت طعاماً من السماء ؟ قال : نعم قال : وماذا ؟ قال : سخنة قال : وهل كان فيها فضل عنك ؟ قال : نعم قال : فما فعلت به ؟

قال : رفع قال : وهو يوحى إليّ أني مكفوت غير لاثم ولستم لاثمين بعدي إلا قليلاً بل تلبثون ثم تلبثون حتى تقولون : متى ؟ وستأتون أفناداً يفني بعضكم بعضاً ، وبين يدي الساعة موتان شديد بعده سنوات الزلازل) ^(٢).

الرابع : دلالة خاتمة الآية ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٣) لبيان سوء العاقبة بالنسبة للذين حاربوا الأنبياء .

عدم تقيد المشركين بالعقد الإجتماعي

من خصائص المشركين أيام البعثة النبوية عدم التقيد بعهد أو شرط أو سنة متوارثة ، فلم يجعلوا لبيت الله حرمة ما دام التعدي يضمن لهم الرياسة لأولويتها عندهم ، ولأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاء بما يخالف هواهم من الربا وشرب الخمر وإشاعة الزنا ، وعدم المساواة بين الناس.

(١) الدر المنثور ٢/٤٠٣.

(٢) الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٧/٧٢ .

(٣) سورة البقرة ١٩١.

وهل كانت قريش تعلم أن من خصائص الأنبياء الحكم بالعدل بين الناس ، وفرض هذا الحكم على الشريف مثلما يفرض على الوضيع.

الجواب نعم ، فقد كانوا يلتقون على نحو شبه يومي في دار الندوة المجاورة للمسجد الحرام ، والتي هي الآن جزء منه مع التوسعة ، ويستعرضون أخبار الأمم والأشعار ودلالاتها على الوقائع.

وبعد نزول القرآن صارت آياته تُذكر في دار الندوة طوعاً وقهراً وانطباقاً ، وصارت راجحة على الشعر في مجالس ومنتديات قريش كرجحان الظاهر على المرجوح واليقين على الظن.

والمدار على عموم المعنى وليس سبب النزول إذ تبين الآية قدسية المسجد الحرام ووجوب إكرام المسلمين له حتى وإن كان بيد المشركين ، وليس من إذن للقتال فيه إلا أن يقاتلكم الكفار.

وكانوا يذهبون بالتجارة إلى الشام واليمن ، ويتصلون بالتجار والرهبان فيسمعون منهم قصص الأنبياء ، وبعض التنزيل ليكون من معاني قوله تعالى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ * إِلَّا لَهُمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) ، تحذير المسلمين من كفار قريش وأنهم يسخرون علمهم وما لهم من جاه لمحاربة النبوة والتنزيل ، وهذا المعنى مستحدث في هذا الجزء.

فمن أسرار نزول هذه السورة في مكة الإنذار من تحريض قريش الدول الكبرى والقبائل في طريق الشام واليمن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وحصارهم مثلما فرضوا

الحصر على أهل البيت في مكة قبل الهجرة ، وإرادتهم قتله لإدراكهم التعارض بين أهوائهم ورياستهم وبين النبوة والتنزيل .
نعم صار هذا التعارض سبباً في دخول طائفة من العرب الإسلام ، دون أكثر الرؤساء الذين جهزوا الجيوش لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر ، وأحد ، والخذق فنزل العذاب بهم إذ قال تعالى ﴿لَيُطْعَمَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

أسباب نزول (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ)

في أسباب نزول الآية قيل لما صالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين في الحديبية على أن يأتي في قابل لعمره القضاء ، خاف المسلمون ألا يأذنوا لهم ، فيغدروا بهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام ، فنزلت الآية لتكون إنذاراً ووعيداً للمشركين ، وتحذيراً للمسلمين ، ودعوة لعدم الركون للقوم الظالمين .

(قَالَ الشَّافِعِيُّ يُقَالُ : نَزَلَ هَذَا فِي أَهْلِ مَكَّةَ : وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ الْعَدُوِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي قِتَالِهِمْ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يُقَالُ : نُسِخَ هَذَا كُلُّهُ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى يَقَاتِلُوا)^(٢).

فحصر الشافعي موضوع الآية بأهل مكة ، وذكر النسخ بعنوان (ثم يقال) وهو تضعيف للنسخ.

وقيل ﴿حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾^(١) ، حَتَّى يَقَاتِلُوا بَعْضَكُمْ ، كَقَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) ، يَعْنِي : بَعْضَكُمْ بَعْضًا ، إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَقَاتِلُوهُمْ كُلَّهُمْ)^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) الشافعي / أحكام القرآن ٢١٤/١ .

ويرد عليه من جهات :

الأولى : القتال أعم من القتل ، وتحمل الآية على ظاهرها ، فمع إرادة المشركين القتال في المسجد الحرام وسلهم السيوف فيه يجب الدفاع .

الثانية : لا تصل النوبة إلى قتل بعض المؤمنين للإذن بالدفاع .

الثالثة : لا ملازمة وصلة موضوعية بين آية البحث وقوله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤).

الرابعة : حرمة المؤمن عند الله ، (عن ابن عمر قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً)^(٥).

الخامسة : النقاش في الكبرى بقوله (إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ ...) انما الآية تدعو إلى الدفاع حالما يسعى المشركون في القتال ، ولذا لم تقل الآية (ولا تدافعوا) بل ذكرت القتال ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ﴾ وهو أعم .

وورد لفظ (عند المسجد) مرتين إحداها في آية البحث ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾^(٦) ، وأخرى في قوله تعالى

(١) سورة البقرة ١٩١.

(٢) سورة الحجرات ١١.

(٣) الجصاص / أحكام القرآن ١٥٠/٢٢ .

(٤) سورة الحجرات ١١.

(٥) الدر المنثور ٢٥٦/٩.

(٦) سورة البقرة ١٩١.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١)، والمراد صلح الحديبية.

وقال ابن عباس إنهم قريش ، وعن ابن إسحاق : إنهم قوم من بني بكر بن كنانة^(٢).

وليس من أمة تتعاهد العهود بأمر من عند الله وتتقيد بها إلى المسلمون ، لأن هذا التعاهد بأمر من عند الله عز وجل .
وفيه ترغيب بحفظ العهود ، وترشح المنافع عن هذا الحفظ ،
ترى ما هي الصلة بينه وبين السلم ، الجواب هو العموم
والخصوص المطلق ، فالسلم أعم .

آية (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ) غير منسوخة

اختلف في هذه الآية من جهة النسخ على وجوه :

الأول : الآية منسوخة .

الثاني : الآية ناسخة ومنسوخة ، فهي ناسخة عن القتال مطلقاً
بقوله تعالى ﴿وَأَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٣) ، أي سواء في الحل والحرم ،
وقيدت القتال بالدفاع دون الإبتداء به ، ثم نسختها آية السيف .

الثالث : الآية محكمة ، ولا يجوز الإبتداء بالقتال في المسجد
الحرام ، والمراد منه الحرم مطلقاً .

وهو قول مجاهد وأكثر المفسرين ، وهو المختار.

ويدل على عدم نسخ حرمة القتال في الإبتدائي في البيت الحرام
ما ورد (عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
هذه مكة حرمها الله يوم خلق السماوات والارض لم تحل لاحد

(١) سورة التوبة ٧.

(٢) النكت والعيون ٩٠/٢.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

قبلي ولا تحل لاحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وهي من ساعتني هذه حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقام العباس وكان رجلا محرما فقال إلا الاذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا قال إلا الاذخر^(١).

ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام ما يدل على أن الآية منسوخة ، خاصة وأنها لا تتعارض مع آيات الدفاع الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، فهذه الآية بيان وتفسير وعلى نحو الموجبة الجزئية لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

فقد يفهم بعض المسلمين من الآية أعلاه قتال المشركين ثاراً ورداً على تعديهم حتى في المسجد الحرام ليكون من معاني الجمع بين الآيتين : لا تقاتلوا المشركين إلا أن يبدأوا بالقتال ، ويجب أن لا يستمر القتال لقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٣).

(١) النسائي / السنن الكبرى ٣٨٨/٢.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

(٣) سورة الفتح ٢٤.

ورود (عن قتادة في قوله ﴿وَلَا تَقَاتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾^(١)، قال : حتى يبدأوا بالقتال ، ثم نسخ بعد ذلك فقال ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(٢)).

ولم يثبت النسخ إنما هو من المطلق والمقيد من جهات :

الأولى : تقييد القتال مع المشركين بابتدائهم به .

الثانية : حرمة المسجد الحرام بعدم ابتداء المسلمين بالقتال فيه ، وفيه دعوة للمشركين للإمتناع عن ابتداء القتال فيه .

الثالثة : تقييد قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(٣)،

بتقدير : وقاتلوهم إذا قاتلوكم حتى لا تكون فتنة.

ويمكن أن نؤسس قانوناً وهو لو دار الأمر بين الإطلاق والتقييد وبين النسخ يقدم الأول ، وفيه سعة ومندوحة ورحمة ، قال تعالى ﴿قُلْ لَو أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَوْرًا﴾^(٤).

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والنحاس معاً في الناسخ عن قتادة قوله ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وقوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قَاتَلُ فِيهِ كَيْفُ﴾^(٥)، فكان كذلك

(١) سورة البقرة ١٩١.

(٢) سورة البقرة ١٩٣.

(٣) سورة البقرة ١٩٣.

(٤) سورة الاسراء ١٠٠.

(٥) سورة البقرة ٢١٧.

حتى نسخ هاتين الآيتين جميعاً في براءة قوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١)، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٢) (٣).

وهو من معاني الرحمة واجتناب المسلمين القتال حتى في حال الظفر وهزيمة المشركين ، ولم يرد لفظ ﴿بَطْنِ مَكَّةَ﴾^(٤) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وفي موضوعها ورد عن أنس قال (إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله سلماً، وأعتقهم)^(٥).

و(قال عبد الله بن المغفل : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة،

فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح،

وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا رسول الله (عليه السلام)، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم، فأخذناهم، فخلّى عنهم رسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.)^(٦).

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) سورة التوبة ٣٦.

(٣) الدر المنثور ٤١١/١.

(٤) سورة الفتح ٢٤.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٢٢٣/١٢.

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٢٢٣/١٢.

ليبان معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفاية الله عز وجل له ولأصحابه ، وكان الإمام علي عليه السلام منشغلاً بالكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم في شهر حرام ، ولم يرفع سيفاً ، فتجلت منافع سلاح الأنبياء وهو الدعاء ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

مسائل في آية (وَلَا تَقَاتُلُوهُمْ)

الأولى : من إعجاز القرآن عطف آية البحث على الآية السابقة بقوله تعالى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٢) وتقدير الجمع بين الآيتين : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم واقتلوهم حيث ثقتموهم .
فآية البحث خاصة بالذين يبدأون بقتال المؤمنين ، وهل قتلهم مطلق أم مقيد ، الجواب إنه مقيد في ذات آية البحث ، وتقدير الآية : واقتلوهم حيث ثقتموهم إلا أن يكونوا في المسجد الحرام ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

لإرادة الإطلاق في النهي عن الإعتداء وعدم حصره بالإمتناع عن قتل المشركين ، إنمى يشمل عدم الإعتداء على حرمة البيت الحرام بالقتال فيه إلا أن يقوم المشركون بابتداء القتال فيه .
ليكون من الإعجاز في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إبتداؤها بإكرام البيت الحرام ، والصبر على أذى المشركين إكراماً للبيت الحرام .

وفيه بعث للنفرة في قلوب عامة العرب وأجيال المسلمين في مشارق ومغارب الأرض من مشركي قريش لقدسيته عندهم ،

(١) سورة غافر ٦٠ .

(٢) سورة النساء ٨٩ .

وللدلالة على قوله تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

الثانية : إخراج المشركين للمسلمين من مكة ، ومنه اضطرار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى الهجرة .

(و) عن عروة بن الزبير أن أول آية أنزلت في القتال حين ابتلي المسلمون بمكة وسطت بهم عشائهم ، ليفتوهم عن الإسلام ، وأخرجوهم من ديارهم ، وتظاهروا عليهم ، فأذن الله { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا } الآية . وذلك حين أذن الله لرسوله بالخروج ، وأذن لهم بالقتال^(٢).

ولكن لا ملازمة بين الإخراج من مكة وبين القتال ، فأية البحث محكمة في موضوعها ، وهي الإخراج مقابل الإخراج ، قال تعالى ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾^(٣).

وقال (الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل من يقاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت : (اقتلوا المشركين) فنسخت هذه الآية^(٤).

والربيع وعبد الرحمن من التابعين ، ولم يرفع أو يسند القول إلى الصحابي خاصة أولئك الذين عاصروا نزول هذه الآية من المهاجرين والأنصار الأوائل ، ولا دليل على النسخ ، والأصل عدمه .

(١) سورة الأنفال ٣٤.

(٢) الدر المنثور ١٥٩/٧.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣٥٩/١.

الثالثة : عدم التعدي في موضوع الإخراج ، وعدم إخراج الذين لم يخرجوا المسلمين من مكة ، لبيان أن المشركين في عدائهم للإسلام كانوا على مراتب من جهات :

الأولى : المشرك الذي قاتل المسلمين .

الثانية : من أعان المشركين بالمال والسلاح .

الثالثة : من أخرج المسلمين .

الرابعة : من ظاهر على المسلمين ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَهَاكُمُ اللَّهُ

عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١).

الخامسة : من اكتفى بالبقاء على الشرك الذي هو فتنة .

إخراج المسلمين من الديار فتنة

لقد تناجى المشركون باخراج المسلمين الأوائل من بين ظهرائهم في مكة وبعض القرى ، لبيان قانون الهجرة حاجة .

وهل إخراج المسلمين من مكة فتنة ، الجواب نعم لبيان أن الله عز جل انتقم لهم بالنصر والظفر .

ولم يرد لفظ ﴿ أَخْرَجُوهُمْ ﴾ بصيغة الأمر والفعل المبني للمعلوم إلا مرتين في القرآن ، أحدهما في آية البحث والأخرى بخصوص قوم لوط بقوله تعالى ﴿ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾^(٢) .

لبيان وحدة الموضوع في تنقيح المناط بخصوص قبح فعل المشركين ، وإصرارهم على طرد المؤمنين من ديارهم بغير حق ،

(١) سورة الممتحنة ٩ .

(٢) سورة الأعراف ٨٢ .

وبيان مصداق لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) فاذا انتقم الله عز وجل من المشركين من قوم لوط بهلاكهم فانه سبحانه رحم قريشاً ، وأمهلهم وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالإكتفاء باخراجهم من الديار ، نعم هناك حصّة زائدة في سوء فعل قوم لوط ، وهي إنذاره لهم بفاحشة لم يأتها أحد قبلهم ، قال تعالى ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾* إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾^(٣)، مسائل :

الأولى : الآية محكمة غير منسوخة ، فالقتال لا ينسخ الإخراج ، وهو من إعجاز القرآن ، والحكم بالعدل فيه .

الثانية : الإكتفاء بالإخراج من ذات الموضع الذي أخرجوا المسلمين منه ، وعدم تكرار الإخراج .

الثالثة : عدم تعيين للموضع الذي يخرج إليه المشركون ، فان قلت قد يجتمعون في مكان يهددون منه المسلمين ، ويتآمرون لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الجواب لا بد من استحضار موضوعية الوحي في إخبار النبي عن أفعال المشركين ، ولإقامة الحجة عليهم ، ولأن هذا الإخراج وحده إرباك للمشركين ، ومنع من تآلفهم واتفاقهم على التعدي والقتال .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف ٨٠-٨١.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

الرابعة : دعوة المشركين لدخول الإسلام ، فمن أراد منهم البقاء في مكة ويتجنب سوء فعله باخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها يدخل الإسلام الذي جاء به إبراهيم والذي هو أصل في جوارهم البيت الحرام ، وفي خطاب من الله إلى إبراهيم واسماعيل ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١).

ليكون دخول الإسلام أسمى معاني الإنتهاء في الآية التالية ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

الأمر بالإخراج بعد القتل سلام

من إعجاز آية البحث والشواهد على عدم نسخها مجئ الأمر باخراج المشركين من ديارهم بعد الأمر بقتلهم كما في قوله تعالى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾^(٣).

ويدل مجئ الأمر بالإخراج بعد القتل على تعدد الموضوع والحكم .
وتقدير الآية : واقتلوا المشركين الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا بقتلهم إذا كفوا عن قتالكم إن الله لا يحب المعتدين ، ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، وأخرجوا المشركين الذين أخرجوكم من دياركم ، وفيه مسائل :

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ١٩٢.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

الأولى : من المشركين من أخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة ثم قاتلهم ، فيكون جزاؤه القتال والإخراج من مكة إن لم ينته .

الثانية : من المشركين من أخرج المؤمنين من مكة ، ولكنه لم يقاتلهم فحكمه الإخراج دون القتال .

الثالثة : من المشركين من اشترك في قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، لحلفه مع قريش ، أو طلباً للمال والجاه أو عصبية ، ولكنه لم يكن طرفاً في إخراج المؤمنين فحكمه الدفاع ضده ، وقتاله لدفع شروره .

الرابعة : الأفراد في المسائل الثلاثة أعلاه كلها من الفتنة ، وبين الفتنة والقتل عموم وخصوص مطلق ، ليكون من معاني ﴿الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾^(١) ، وجوه :

الأول : ذات الفتنة وإخراج المؤمنين من ديارهم أشد من القتل .

الثاني : الفتنة مقدمة للقتل والإقتال .

الثالث : صدور الفتنة من مقامات الشرك وما فيها من القسوة ، قال

تعالى ﴿لَا يَرْفُؤُنَا فِي مَوْثِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾^(٢) .

الرابع : في الفتنة صد للناس عن دخول الإسلام .

الخامس : عموم الفتنة وتعيديها في المكان والزمان والأفراد ، وقد يقع

القتل على نحو القضية الشخصية ، لذا ورد قوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ١٩١ .

(٢) سورة التوبة ١٠ .

(٣) سورة البقرة ٢١٧ .

السادس : قد تقود الفتنة إلى الإقتال المتحد أو المتعدد.

السابع : ولاية ونصرة الكفار بعضهم لبعض فتنة وضرر عام ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أُولَئَاءِ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ﴾^(١).

وتأتي الفتنة والإفتتان بمعاني متعددة ، منها الإبتلاء والإمتحان والإختبار ، والفتنة في المقام هي الشرك والإقامة على الشرك .
وتدعو الآية في مفهومها المسلمين الأوائل إلى الصبر في مقامات الإيمان ، وعدم الإستجابة لفتنة الذين كفروا الذين يجعلون خروجهم من مكة واستيلاءهم على أملاك الذي يهاجر محاولة لمنع الناس من دخول الإسلام .
وفي الآية إنذار للذين كفروا بأن إخراج المسلمين عن ديارهم لن يجعلهم يرتدوا عن الإسلام .

الثامن : تبين الآية لأجيال المسلمين شدة أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت والصحابة في الهجرة وأهوال الطريق ، ومخاطر الغربة ، وظلمة المجهول الذي ينتظر المغادر لبلده لولا رحمة الله ، لبيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حسن حال المهاجرين سواء الذين هاجروا إلى الحبشة أو الذين هاجروا إلى المدينة المنورة .

من معاني الفتنة

قد تقدم في الجزء الرابع والثلاثين من هذا السفر (والفتنة في الآية هي: الشرك قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسدي، وزيد بن أسلم)^(٢)، والآية أعم من وجوه:

(١) سورة الأنفال ٧٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٨/٢ .

الأول : ما يترشح عن الكفر من الصدود عن الدعوة إلى الله ، والإعراض عن معجزات النبوة.

الثاني : تحريف التنزيل ، والتصديق بأهل التحريف.

الثالث : الجدال بالباطل ، وتحريض الناس على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

الرابع : الشرك في الحرم.

الخامس : إخراج المؤمنين من ديارهم ، وإجبارهم على ترك أموالهم^(١).

السادس : الإفتاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل.

السابع : المناجاة بين المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم .

الثامن : محاولة إكراه بعض المسلمين على الارتداد .

التاسع : التضيق على المسلمين والمسلمات في المكاسب والعيش.

مما يدل على أن المشركين أعداء للسلم المجتمعي ، وبعث الله عز وجل النبي محمداً لتثيته ، وهو من الشواهد على سلامة القرآن من التحريف.

لقد كشف قوله تعالى ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُكُمْ

فِيهِ﴾^(٢) ، فضل الله في قدرة المسلمين على الدفاع ، وصد المشركين في هجومهم وغزوهم ، وفيه دعوة للناس للإسلام ، وزجر عن إتباعهم لرؤساء الكفر في تصديهم وقتالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

(١) معالم الإيمان في تفسير القرآن ٢٢/٣٤ .

(٢) سورة البقرة ١٩١.

منها في السور المكية مثل قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾^(١)، ومنها ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعَرِفٌ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾^(٢)، وكذا السور المدنية منها ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدَّبُهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

وقوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٤) محكم وليس بمنسوخ ، إذ أنه

قانون من الإرادة التكوينية تتجدد مصاديقه في كل زمان ، وفيه شاهد بأن القرآن بيان وكاشف للواقع العملي للناس ، وهو كتاب تأديب وتحذير وإصلاح ، فمن إعجاز القرآن جمعه بين الإنذار والإصلاح في كلمة واحدة.

وجاء الخطاب في الآية أعلاه على نحو القانون الثابت المستديم ليشمل التبكيث والذم للذين كفروا ، وصيغة التنبيه والتحذير إلى المسلمين ، وفيه دعوة سماوية لإصلاح المجتمعات ، وتهذيب النفوس.

وجاءت آيات قرآنية عديدة بالتحذير من مصاديق الفتنة ما كبر منها وما صغر .

(١) سورة محمد ٣.

(٢) سورة القمر ١-٣.

(٣) سورة البقرة ١٩١.

(٤) سورة البقرة ١٦٦-١٦٧.

قانون إخوة الإيمان في الدنيا والآخرة

تحتمل النسبة بين الحياة الدنيا والآخرة وجوهاً :

الأول : نسبة التساوي والتشابه .

الثاني : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وهو على شعبتين :

الأولى : عالم الآخرة أعم من الحياة الدنيا .

الثانية : الحياة الدنيا أعم من عالم الآخرة .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء

وأخرى للإفتراق بينهما .

الرابع : نسبة التباين والاختلاف .

الخامس : تعدد النسبة بين الحياة الدنيا وعالم البرزخ ، والنسبة

بين الحياة الدنيا وعالم الآخرة .

والمختار هو الثالث أعلاه ، فنواميس وقوانين الآخرة تختلف في

الحياة الدنيا وفي الآخرة مع التباين في ماهية الحياة بقصدها في الدنيا ،

والخلود في الآخرة ، قال تعالى ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

ومن وجوه الإلتقاء على المختار الأخوة الإيمانية ، وتجليها في

الآخرة أيضاً مع التباين في السنخية كماً وكيفاً ، وتصاحب الحاجة

الفرد والجماعة في الدنيا ، وهي في الآخرة أشد وأكبر ، مع ندامة

على التفريط في الدنيا بخصوص النهل من الحسنات .

ومن وجوه الإلتقاء الأخوة الإيمانية ، وبخصوص الدنيا قال تعالى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢)

(١) سورة العنكبوت ٦٤.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

فموضوع هذه الآية هو أيام الحياة الدنيا ، وبذ الفرقة والاختلاف ، ومنع الإقتتال بين المؤمنين .

وعن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يعيبه ، ولا يخذله ، ولا يتناول عليه في البنيان ، فيستر عليه الريح إلا بإذنه ، ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يعرف له ، ولا يشتري لبنه الفاكهة ،

فيخرجون بها إلى صبيان جاره ، ولا يطعمونهم منها)^(١).

وهل تستمر هذه الإخوة بعد الممات أم تنقطع ، المختار هو الثاني ، فعندما ينتقل الإنسان إلى عالم البرزخ يتطلع إلى الأحياء في الإستغفار له ، والترحم عليه ، وتلاوة القرآن وإهداء ثوابها لها ، وقضاء الصلاة والصيام ، والحج الواجب ، والحقوق الشرعية منه .

و(أخرج أحمد عن أبي أمامة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت . رجل مات مرابطاً في سبيل الله ، ورجل علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به ، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجري عليه ما جرت عليهم ، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له)^(٢).

(وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل ، فلما وضع قال عمر بن الخطاب : لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر .

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس قال : هل رآه أحد منكم على الإسلام؟

فقال رجل : نعم يا رسول الله ، حرس ليلة في سبيل الله .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٦٤/١٢ .

(٢) الدر المنثور ٢٩/٣ .

فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحشى عليه التراب وقال : أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة . وقال : يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة)^(١).

والحديث ضعيف سنداً فهو منقطع ، ولم يسند إلى صحابي ولا إلى تابعي ، والظاهر أن ابن عابد هو محمد بن عبد الله بن سيد المعافري من أهل قرطبة محدث ، توفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وله بضع وثمانون سنة ، أي أنه معاصر لليهقي (٤٥٨-٣٨٤) هجرية.

و(قال ابن حبان: وفي سنة تسع وثلاثين وأربع مائة. توفي الفقيه الراوية، بقية المحدثين بقرطبة أبو عبد الله بن عابد هلك في آخر جمادى الأولى منها عن سن عالية فدفن بالمقبرة على باب داره بالربض الشرقي وشهده جمع الناس، وصلى عليه أبو علي ابن ذكوان.

وكان آخر من بقي بقرطبة ممن يحمل عن الشيخ أبي محمد الأصيلي. وكانت له رحلة إلى المشرق مع الثمانين والثلاث مائة. لقي فيها الشيخ أبا محمد بن زيد فقيه المالكيين بالقيروان. ولقي بمصر جماعة من شيوخها فاتسع في الرواية، وقضى الفريضة وكان عارفاً بأخبار أهل بلده، واعياً لآثار أهله، حسن الإيراد، سهل الخلق، جميل اللقاء ، باشاً بالصدق، حسن المودة لإخوانه ، كريم العشرة، وكانت سنه بضعاً وثمانين سنة، ومولده سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة)^(٢).

(١) الدر المنثور ٢٩/٣.

(٢) الصلة ١٧١/١.

وتفيد ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، الحصر من من جهات:

الأولى : إختصاص الأخوة بالمؤمنين لأنها منزلة سامية في التكافل الإجتماعي ، والإيثار وكبح جموح النفس الشهوية والغضبية .

الثانية : استدامة قانون إخوة الإيمان وإن تباين وتعدد المكان والوطن .

الثالثة : تغشي أخوة الإيمان لأفراد الزمان الطولية ، وحب الله عز وجل للمؤمنين .

الرابعة : تقييد أخوة المؤمنين بأنها في سبيل الله وبقصد القرية .
الخامسة : الآية محكمة غير منسوخة ، وفيها دعوة للتآلف والإمتناع عن الخصومة والإقتال .

التفسير بالتقدير

آية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، وفيه وجوه :

الأول : إنما المؤمنون والمؤمنات إخوة ، إذ تشمل الآية المؤمنات أيضاً ، إنما ورد التذكير للغالب ، قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) .

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

(٣) سورة التوبة ٧١.

الثاني : إنما المؤمنون إخوة بالإنشاد والتعاون في أداء الفرائض العبادية .

الثالث : إنما المؤمنون إخوة في الدنيا .

الرابع : إنما المؤمنون الذين في الدنيا إخوة للذين في عالم البرزخ .

الخامس : إنما المؤمنون الأحياء إخوة للذين ماتوا منهم ، فيدعون لهم ، ويكثرون من الإستغفار لهم .

السادس : إنما المؤمنون إخوة وإن اختلفت أجيالهم وطبقاتهم ، وقد جاء لفظ «إخوة» أربع مرات في القرآن ، واحدة في آية البحث وثلاثة في الأخوة النسبية وهي :

الأولى : آية الميراث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكِدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَكِدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝^(١)

الثانية : في الإرث أيضاً ، قال تعالى ﴿يَسْتَقُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يُفْتِكُم فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُهُمْ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَكِدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكِدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝^(٢)

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة النساء ١٧٦.

الثالثة : قال تعالى ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١).

وهل يدل الجمع بين الآية أعلاه من سورة يوسف وآية البحث على إرتقاء المسلمين في مراتب الأخوة ، وإن إخوة يوسف ليسوا بانبيااء ، الجواب نعم .

ومن معاني الآية أعلاه أن المؤمن يتقرب إلى إخوته وإن جحدوا إخوته ، لبيان قانون وهو إفاضات الإخوة الإيمانية على الأخوة النسبية لقانون الملازمة بين الإيمان والرافة بالناس ، قال تعالى ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢).

السابع : إنما المؤمنون إخوة في السراء والضراء .

الثامن : إنما المؤمنون إخوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

التاسع : إنما المؤمنون إخوة في عمل الصالحات ، والإحسان إلى الناس جميعاً .

العاشر : إنما المؤمنون إخوة في الهداية ، وتلقي البشارات والإنذارات ، قال تعالى ﴿طَسْرُ تِلْكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

الحادي عشر : إنما المؤمنون إخوة بفضل ومدد وعون من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٤).

(١) سورة يوسف ٥٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) سورة النمل ١-٢ .

(٤) سورة يونس ٥٨ .

الثاني عشر : إنما المؤمنون إخوة في التعاون بالسعي للأجر والثواب ، وفي تلقي البشارة في النشأتين ، قال تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

الثالث عشر : إنما المؤمنون الذين في عالم البرزخ إخوة للذين لا زالوا في الحياة الدنيا يرجون نوالهم واستغفارهم ، ويتطلعون إلى قدرهم الختمي ، قال تعالى في الثناء على مؤمني البرزخ ﴿فَرَحِينٌ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) (٣).

وهل يختص موضوع الآية أعلاه بشهداء بدر وأحد وأسباب النزول أم أنه يشمل المؤمنين ، المختار هو الثاني ، وإذا أعطى الله عز وجل فانه يعطي بالأتم والأوفى .

الرابع عشر : إنما المؤمنون إخوة في الآخرة بخصوص المتقين وإقامتهم في الجنة ، قال تعالى ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ * وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤).

الخامس عشر : إنما المؤمنون إخوة فلا يستطيع المشركون بث الفرقة والنزاع بينهم .

السادس عشر : يا أيها الناس إنما المؤمنون إخوة فأدخلوا الإسلام فانه آمن وسلام .

(١) سورة يونس ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٧٠ .

(٣) أنظر الجزء الرابع والخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة الحجر ٤٦-٤٧ .

السابع عشر : إنما المؤمنون إخوة في تعاونهم في قضاء الحوائج ، ونشر ألوية المودة والسلام بين الناس ،

الآية السادسة والعشرون : قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١) .

(قال ابن البازري الآية منسوخة بآية السيف)^(٢) .

وجاءت الآية بصيغة السؤال وهي محكمة ، وقد ورد لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة في القرآن ، وهو من لغة الجملة الخبرية ، وليس في الخبر نسخ .

و(عن قتادة قوله {ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام}^(٣) ، وقوله {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير}^(٤) فكان كذلك حتى نسخ هاتين الآيتين جميعاً في براءة قوله {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم}^(٥) . { وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة }^(٦) ^(٧) .

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخة ٢٢/١ .

(٣) سورة البقرة ١٩١ .

(٤) سورة البقرة ٢١٧ .

(٥) سورة التوبة ٥ .

(٦) سورة التوبة ٣٦ .

(٧) الدر المنثور ٤١١/١ .

وتبين الآية حرمة الأشهر الحرم ، وهي رجب منفصل ، وشهر ذي القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وهي أشهر ثلاثة متصلة جعلها الله عز وجل سلاماً في مدة الحج ، ومناسبة تعظيم شعائر الله .

ليكون من الإعجاز في تعيين الأشهر الحرم أنها مقدمة لقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة ، وتبليغ وفود الحاج برسائله ، وتلاوته لهم القرآن ، وتأكيده على لزوم إقامة الصلاة ، لأن الدنيا دار عبادة وذكر وسلام .

ويدل موضوع وسبب نزول الآية على حدوث واقعة ، وهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية ، فلقوا عمرو بن الحضرمي قادماً إلى مكة من الطائف في ليلة مرددة بين آخر ليلة من جمادى الآخرة أو أول ليلة من رجب ، ولم ير أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هلال رجب ، وكانوا يظنون أنها من شهر جمادى ، فقتله أحد أفراد السرية ، فأرسل المشركون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعيرونه بهذا العمل أي بقيام أصحابه بسفك الدم ، والذي لم يأمر به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت وقوعه في الشهر الحرام .

فنزلت الآية لبيان أن إخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جوار المسجد والإقامة على الكفر أكبر وأشد ضرراً ، ليكون من إعجاز هذه الآية وجوه :

الأول : صبغة الإحتجاج .

الثاني : التذكير بأولوية الإيمان ، ونبذ الشرك والضلالة .

الثالث : استعداد المسلمين للدفاع سواء في أشهر الحل أو الشهر الحرام ، ولم تمر الأيام حتى اتخذت قريش هذه الواقعة يوم بدر ذريعة لنشوب معركة بدر في تعد وظلم عام منهم ، وإن حرصوا على إجتناّب الشهر الحرام ، إذ وقعت المعركة في شهر رمضان بحجة إنقاذ قافلة أبي سفيان .

والمختار أنهم عزموا على القتال والغزو مع إدراكهم سلامة القافلة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج إلى بدر هو وأصحابه بقصد القتال ، إنما كانوا في دورية استطلاع لتحضرة البحت لبيان أن المشركين يصدون عن سبيل الله ويمنعون الناس من دخول الإسلام قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾^(١).

وعلى فرض القول بنسخ الآية فيكون تقدير النسخ : ليس من قتال فيه ، أو فيه قتال قليل .

و(عن مجاهد قال : إن رجلاً من بني تميم أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية ، فمر بابن الحضرمي يحمل خمراً من الطائف إلى مكة فرماه بسهم فقتله ، وكان بين قريش ومحمد عقد فقتله في آخر يوم من جمادى الآخرة وأول يوم من رجب . فقالت قريش : في الشهر الحرام ولنا عهد؟ فأنزل الله ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْفٌ... الآية﴾^(٢)، يقول : كفر به وعبادة الأوثان أكبر من قتل ابن الحضرمي)^(٣).

ومجاهد من التابعين ، ولم يثبت أن ابن الحضرمي كان يحمل خمراً إنما ورد أنه في قافلة تجارة ، ولا وجود لعهد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين ، ولو كان هناك عهد لدفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ديتة ، كما أنه كان يدفع الدية عن عهد وغير عهد .

لقد قتل المشركون بعض الصحابة في مكة مثل سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر ، وقاموا بسجن وتعذيب عدد منهم ، وهل هجرة

(١) سورة الأعراف ٤٥.

(٢) سورة البقرة ٢١٧.

(٣) الدر المنثور ٤/٢.

رھط من الصحابة من صدّ كفار قريش عن سبيل الله ، الجواب نعم ، مثلما هو من مصاديق ﴿إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾^(١).

وورد في بعض الأخبار أن الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(٢) ، هم المشركون أنفسهم ، فجاء الرد لزجرهم عن التعدي على المسلمين مطلقاً سواء في الشهر الحل أو الشهر الحرام.

والمراد من ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْفٌ﴾^(٣) ، أي دفاع عن الحق والنبوة والتنزيل ، لقد أراد المشركون جعل حرمة للشهر الحرام مع إباحة التعدي على النبوة والتنزيل.

ولا يعلم كثرة ما صرف الله عز وجل من القتال بسبب هذه الآية ، وإباحة الدفاع للمسلمين فيها إلا الله عز وجل .

هل تظن قريش أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهاجر إلى الحبشة ، المختار نعم ، لإستحضار هجرة رھط من الصحابة لها ، وسلامتهم وأمنهم ، وإمتناع النجاشي عن تسليمهم لو قد قريش .

لقد كانت أيام ما بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة معجزة له .

وعندما هاجر ثلاثة وثمانون من الصحابة إلى الحبشة هل ظن المشركون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا هاجر يختار الحبشة ، فيكون بعيداً عنهم وعن الناس في موسم الحج ، وإتخاذة مناسبة للدعوة إلى الإسلام ، فلم تكثر قريش للهجرة البعيدة المحتملة ، المختار نعم .

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة البقرة ٢١٧.

(٣) سورة البقرة ٢١٧.

قال تعالى ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾^(١).

فمن معاني هذه الآية إخبار المشركين بشدة ظلمهم وإجرامهم وتعذيبهم ، وأنهم يلقون جزاءهم في الدنيا والآخرة وبيان قانون وهو إخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة وبال على المشركين .

وهل كان من أسباب معركة بدر ندم المشركين على إخراجهم وأصحابه من مكة ، وإدراكهم لحقيقة وهي أن البقاء تحت نظرهم ورقابتهم وتعذيبهم أحسن لهم في دنياهم وسلطانهم ، الجواب نعم .

لييان معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلب من طائفة من أصحابه بالهجرة الى الحبشة في السنة السابعة للهجرة بمحدث التخفيف عنه وعن أصحابه الذين بقوا في مكة ودعوتهم إلى الله عز وجل ، إذ تظن قريش أنهم إما يبقون تحت الإضطهاد والإستهزاء والسخرية والعذاب في مكة أو يهاجرون إلى الحبشة فيعجزون عن نشر الإسلام فيها لأن أهلها على دين النصارى ، فلا يقع قتال .

وهل كانت قريش تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسأل القبائل في كل موسم للحج بعدها بايوائه والدفع عنه ، وحمايته من قريش .

المختار نعم ، ولكن على نحو الإجمال ، وعن عبد الرحمن العامري (عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن بعكاظ فقال: من القوم ؟ قلنا: من بني عامر بن صعصعة بنو كعب بن ربيعة ؟ فقال: إني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال: إني رسول الله إليكم أتيتكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحدا منكم على شيء.

قالوا: لا نؤمن بك وسنمنعك حتى تبلغ رسالات ربك.

فأتاهم ببيحرة بن فراس القشيري فقال: ما هذا الرجل الذي أراه عندكم أنكره؟ قالوا: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعم أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه.

قال: ما رددم عليه؟ قالوا: بالرحب والسعة نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه أنفسنا.

فقال ببيحرة^(١): ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به! أتعمدون إلى رهيق قوم طردوه وكذبوه فتؤووه وتنصروه تنابذوا العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به فبئس الرأي رأيكم.

ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قم فالحق بقومك فوالله لو لا أنك عند قومي لضربت عنقك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناقته ليركبها فغمز الخبيث ببيحرة شاكلتها فقمصت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فألقته^(٢).

قانون بيعة العقبة معجزة

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على إخبار الذين يقاتهم بأيوائه بعدم إشاعة الخبر ووصوله إلى قريش، ولا يكفي هذا الحرص وحده، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) قيل اسمه (بحيرة) ولكن ورد في سيرة ابن هشام وغيره ببيحرة.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٥٥/٢.

كان يتلو آيات القرآن على القبائل ويبين لهم معجزاته ، ويجذبهم إلى جانبه ، ولو على نحو الموجبة الجزئية .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقوع بيعة العقبة الأولى والثانية بالسر والخفاء من كفار قريش ، مع كثرة العيون التي كانت تبثها قريش في الموسم ، ووقوفهم عند مداخل مكة يحذرون وفد الحاج من الإنصات إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وملاحقة أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له عند ذهابه للتبليغ في أسواق مكة ، وطوافه على القبائل يحذرهم منه ، وينعته بأنه كذاب .

مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينادي نداء عاماً موافقاً للفطرة الإنسانية ومناسبة للحج (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(١).

ولم يكن أبو لهب وحده الذي يحذر الناس من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته بل هناك عدد من رؤساء قريش تم اختيارهم بعناية إذ تعرف القبائل أشخاصهم ومنزلتهم وعلو شأنهم بين الوجهاء لينصتوا إلى قوله .

و(عن الأشعث بن سليم، عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى)^(٢).

وقال ابن كثير (كذا قال : أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب)^(٣).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٢/٥ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٦٢/١ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٦٢/١ .

ولكن الظاهر هو حمل الكلام على أنه أبو جهل .
نعم الخبر ضعيف سنداً لجهالة (رجل من كنانة).
وقيل أشعث بن سليم بن أسود الكوفي المحاربي ثقة ، عاش في الكوفة.

كما أن التباين ظاهر في كيفية إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبو جهل من بني مخزوم وليس من بني هاشم فيكتفي بالقاء التراب عن بعد على النبي خشية إثارة بني هاشم ، أما عمه أبو لهب فإنه يرميه بالحجارة ويدمي قدميه.

و(عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ إِنِّي لَقَائِمٌ بِسُوقِ الْمَجَازِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُصَدِّقُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ قُلْتُ مَنْ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُ بِهِ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا عَمَةُ عَبْدِ الْعَزِيِّ^(١)).

وهذا التباين في إيذاء النبي وأسراره ودلالته على أن المراد في الحديث الأول هو أبو جهل يبين أن إيذاء عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم له أكثر من غيره من رؤساء المشركين.

محاصرة قريش للدعوة

لقد كانت قريش تظن أن أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته محدود ومحاصر من جهات :

الأولى : قلة الأشخاص الذين يدعواهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة فردية .

الثانية : استمرار إيذاء قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على نحو يومي .

- الثالثة :** العهود والأحلاف بين قريش والقبائل العربية الأخرى .
- الرابعة :** استصحاب بقاء الناس على الكفر ، خاصة وأن ثلاثمائة وستين صنماً التي في الكعبة تعود أكثرها إلى القبائل .
- الخامسة :** ولاية قريش للبيت الحرام ، فنزل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).
- السادسة :** جهود قريش في خدمة وفد الحاج .

قانون ولاية قريش للبيت

لقد كانت لوجهاء قريش وظائف في العناية بالبيت وخدمته وكانوا يتفاخرون بها ، منها :

الأول : السدانة والحجابة ، ومنها مفتاح الكعبة ، والقيام بفتح باب الكعبة لدخول الإسلام لها في أوقات وأشهر مخصوصة ، وغلقه ، وهي في بني عبد الدار بن قصي بن كلاب .

وكانت سدانة البيت في خزاعة وقيل (حتى انتهت إلى رجل منهم يقال له أبو عبثان، وكان في زمان قصي بن كلاب، فاجتمع مع قصي في الطائف على شرب فأسكره قصي، وخدع أبا عبثان الخزاعي المذكور، واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه، فتسلم قصي المفاتيح، وأرسل ابنه عبد الدار بن قصي بها إلى مكة، فلما وصل إليها رفع صوته وقال: معاشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل عليه السلام، قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم فلما صحا أبو لبثان ندم حيث لا ينفعه الندم، فقبل أخسر من أبي عبثان، وأكثر الشعاء القول في ذلك فمناه:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت ... بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالنزر وانصرفت ... عن المقام وظل البيت والنادي)^(٢).

(١) سورة الأنفال ٣٤.

(٢) ابو الفداء / المختصر في أخبار البشر ٦٥/١.

ولا أصل لهذا القول ، وهو خلاف الوقائع التاريخية فلم يأت مفتاح الكعبة إلى قريش بشربة خمر ، ولو كان لاحتجت خزاعة ، ثم أن الوقائع التاريخية بخلافه وإنما وصلت سدانة البيت إلى قصي عن طريق والد زوجته وهو حليل بن حبشية رئيس خزاعة ، وذكر أنه أوصى بولاية البيت إلى قصي لما كثر أولاده من ابنته.

الثاني : السقاية وتتقوم بتوفير الماء لوفد الحاج والمعتمرين ، ومنها العناية ببئر زمزم ، وجريان مائه وسحب الماء منه بالدلو ، وكان ماؤه مرأً فيشتري بنو هاشم كميات كبيرة من العنب من الطائف لإلقائها في البئر فيشرب وفد الحاج ماءً حلواً عذباً ، وكانت السقاية بيد بني هاشم ، ليأتي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً بحلاوة الإيمان.

لقد التفتت قريش إلى أن تولي بني هاشم سقاية ورفادة الحاج تعزيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته ، وتأكيده لشأنه بين قبائل قريش ، فسخروا عمه أبا لهب للمجاهرة في عداوته ونعته بالكذب.

فرزقه الله عز وجل المعجزة الحسية والعقلية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَتَذَكَّرُونَ وَيُذَكِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

وهذا الشطر من الآية محكم غير منسوخ ، وهل هو من آيات السلم أم لا ، المختار نعم من آيات السلم ، فمن معانيه صرف الله عز وجل كيد المشركين لإشعال القتال ، وإثارة الفتن بلطف وإحسان منه تعالى ، قال سبحانه ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة المائدة ٦٤.

الثالث : الرفادة ، وهي جمع قريش الأموال استعداداً لموسم الحج ، وإعداد الطعام لوفد الحاج خصوصاً الفقراء منهم وهم ضيوف الكعبة ، وفيه ترغيب بالحج ، ودفع للظن بالجوع والعطش أيام الحج ، والرفادة عند عبد مناف بن قصي وجعلها إلى ابنه هشام بن عبد مناف .

وقال الأزرقى (فهى في ولده إلى اليوم) ^(١). وكان الأزرقى حياً أيام المتوكل العباسي (٢٠٥-٢٤٧) وتولى الحكم سنة ٢٣٢ هجرية ، ولم تعرف تفاصيل عن حياة الأزرقى إنما كتبه جعل له شهرة متأخرة عن زمانه وقيل توفي سنة ٢٥٠ هجرية. وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخبر بأن وفد الحاج هم ضيوف الرحمن وليس ضيوف الكعبة ومئات الأصنام التي علقت فيها.

الرابع : العمارة وهو أحد المناصب العليا في مكة ومنه ضبط النظام في المسجد الحرام ، وعدم التكلم بهجر أو رفت . وقد سعت قريش في الذب والدفاع عن المظلوم في مكة من عامة الناس ، فهم جميعاً على من ظلمه وإن كان من قريش ، وهو من بنود (حلف الفضول) والذي حضره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعمره عشرون سنة قبل البعثة بعشرين سنة منصرف قريش من حرب الفجار لأن حرب الفجار في شعبان ، وحلف الفضول في شهر ذي القعدة ، وهو شهر حرام .

و(عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ أَبِي بَكْرٍ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ

حلفًا لَوْ دُعِيتَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتَ . تَحَالَفُوا أَنْ تُرَدَّ الْفُضُولُ عَلَى أَهْلِهَا ، وَأَلَّا يَعَزَّ ظَالِمٌ مَظْلُومًا^(١) .

قانون آية القتال سلام دائم

آية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾^(٢) ، من آيات القتال والدفاع ، وهي دعوة إلى الأمن والسلام ، وقد يقال كيف تكون آية القتال سلاماً .

الجواب تدل مضامين آيات القتال على إتخاذ المسلمين له لأغراض الدفاع ، وصرف شرور جيوش المشركين .

وعندما كان القرآن ينزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة قبل الهجرة لم تنزل عليه آيات بالقتال أو الدفاع أو الإحتراز مثل الآية المدنية قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٣) ، ولا المراقبة ، لأن المشركين لم يجهزوا الجيوش لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إنما كانوا يكتفون بالإيذاء والإضرار من جهات :

الأولى : الإستهزاء برسول الله ، وصدّ الناس عنه ، ورميه بأوصاف عديدة لا أصل لها ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعَرٌ تَتَّبِعُهُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾^(٤) ، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٥) ،

(١) الروض الأنف ١/٢٤١ .

(٢) سورة البقرة ٢١٧ .

(٣) سورة الأنفال ٦٠ .

(٤) سورة الطور ٣٠ .

وهناك فرق من جهة لغة الخطاب والموضوع بين الآية أعلاه وقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرُكَوَالِهَتَنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾^(٢).

إذ أن مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مجنون لا لشيء إلا لأنه يبلغهم كلام الله والوحي ، كما نعتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ساحر يسحر الناس بحلو كلامه ودعوته ، فانهم وصفوه بأنه مسحور أي أثر فيه سحر غيره فصار لا يرى مرآشده إذ ورد في التنزيل ﴿إِذ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٣).

أي أن المشركين يلومون المسلمين على دخولهم الإسلام.

الثانية : الجدل في التنزيل ، (عن السدي قال : كان النضر بن الحارث يختلف إلى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم ، فلما قدم إلى مكة سمع كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ، فقال ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنَّا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤))^(٥).

الثالثة : قيام مشركي قريش بتعذيب وسجن المسلمين الأوائل خاصة الشباب منهم ، والعييد ، وكانت قريش تتجسس على المسلمين ، وإذا علموا بأن ابن أو بنت فلان دخلت الإسلام هرعوا إليه ، وحضوه على إيذائها وحبسها .

الرابعة : الوقوف على مداخل مكة لتحذير الوافدين إليها من الإنصات إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسؤال الذين يغادرونها على عدم الإنصات له ، وعلى استقراء إيمانهم به ، ورميه

(١) سورة الحجر ٦.

(٢) سورة الصافات ٣٦.

(٣) سورة الاسراء ٤٧.

(٤) سورة الأنفال ٣١.

(٥) الدر المنثور ٤/٤٤٤.

بالجنون والسحر والطعن بالتنزيل لصرفهم عن القيام بالتبليغ عن قصد أو عدم قصد .

الخامسة : نهى الناس عن إيواء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين ، وما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم طائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة إلا بعد أن يأس من إيواء قبائل العرب وحفظهم لهم .

السادسة : فزع قريش عند العلم بالهجرة إلى الحبشة ، فبادروا لإرسال وفد إلى النجاشي وعلى نحو متكرر يدعوه .

وقد تقدم البيان والتفصيل وكيف أن النجاشي أبى تسليم المسلمين المهاجرين إلى وفد قريش .

وهل امتناع النجاشي هذا معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزة غريبة للقرآن ، الجواب نعم ، فحينما حضر عمرو بن العاص ، وعمارة بن أبي معيط وفد قريش ، وحضر المسلمون بين يدي النجاشي ، أخبر جعفر الطيار عن القرآن وأنه الكتاب الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وصار يقرأ عليه من سورة الروم وسورة العنكبوت وقصة أصحاب الكهف ومريم . (فلما ان ذكر عيسى في القرآن أراد عمرو أن يغضبه عليهم .

فقال : والله إنهم ليشتمون عيسى ويسبونونه قال النجاشي : ما يقول صاحبكم في عيسى .

قال : يقول ان عيسى عبد الله ، ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم . فأخذ النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين ، فحلف ما زاد المسيح على ما يقول صاحبكم ما يزن ذلك القذى في يده من نفثة سواكه .

فابشروا ولا تخافوا فلا دهونة يعني بلسان الحبشة اليوم على حزب إبراهيم قال عمرو بن العاص : ما حزب إبراهيم؟ قال : هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم .

فأنزلت ذلك اليوم خصومتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) ^(٢).

قانون آيات القتال بمعنى الدفاع المحض

لقد نزل القرآن بالأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بعد الهجرة إلى المدينة بالقتال ، ويحتمل هذا القتال وجوهاً:

الأول : القتال ابتداءً .

الثاني : الهجوم على المشركين ، وغزو مدنهم وقراهم .

الثالث : القتال دفاعاً ، ودفعاً لجيوش المشركين .

الرابع : القتال على نحو الإطلاق ، الهجوم تارة ، والدفاع أخرى ، والحرب كروفر .

والصحيح هو الوجه الثالث أعلاه ، من جهات :

الأولى : تفسير آيات القرآن بعضها لبعض .

الثانية : السنة النبوية القولية والفعلية ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَىٰ﴾^(٣).

الثالثة : أسباب نزول آيات القتال .

الرابعة : الوقائع والأحداث أيام النبوة .

الخامسة : معارك الإسلام الأولى من وجوه :

الأول : الأسباب والمقدمات .

الثاني : إبتداء القتال .

(١) سورة آل عمران ٦٨ .

(٢) الدر المنثور ٢/٣٥٨ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

الثالث : قانون قيام المشركين بابتداء القتال في كل من معركة بدر ، أحد ، الخندق ، حنين .

الرابع : ختام المعركة بانسحاب المشركين بحسرة ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتْهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾^(١) ، وجوه :

الأول : ليقطع الله طرفاً من المشركين الذين ابتدأوا القتال .

الثاني : كبت وذل المشركين ، وعجزهم عن تحقيق الغايات الخبيثة التي من أجلها أوقدوا الحرب .

الثالث : من وجوه تقدير خاتمة الآية أعلاه فينقلبوا خائبين مع أنهم الذين بدأوا القتال .

الرابع : من معاني خيبة المشركين مجئ نتائج المعركة على خلاف حساباتهم الدقيقة ، فقد كانوا يظنون النصر لكثرة عددهم وعدتهم وخيلهم وأسلحتهم فتكون خيبتهم عند الانسحاب من معركة بدر وأحد في ذات اليوم الذي بدأت فيه المعركة ، وكذا انسحابهم من الخندق بخزي ومصاحبة الخيبة والخزي لهم عند دخولهم مكة منقلبين من المعركة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) انظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية .

(٣) سورة الأنفال ٣٠ .

(٤) سورة ابراهيم ٤٦ .

النسبة بين القتال والدفاع

تحتل النسبة بين القتال والدفاع وجوهاً :

الأول : التساوي ، وأن الدفاع هو القتال .

الثاني : العموم والخصوص المطلق ، وهو على شعبتين :

الأولى : القتال أعم من الدفاع .

الثانية : الدفاع أعم من القتال ، وكل دفاع هو قتال وليس

العكس .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء

وأخرى للإفتراق بين القتال والدفاع .

الرابع : نسبة التباين والإختلاف .

والصحيح هو الشعبة الأولى من الوجه الأول أعلاه ، فكل دفاع

بالسيف هو قتال وليس العكس ، ونزلت السور المدنية بآيات

الدفاع.

وهو الذي تدل عليه السنة النبوية الفعلية والدفاعية ، والنسبة

بينهما العموم والخصوص المطلق ، فالسنة الفعلية أعم .

وتدل الشواهد القرآنية والسنة النبوية على أن قتال النبي صلى

الله عليه وآله وسلم والمسلمين دفاع محض ، وبعد أن يشرف

المشركون على المسلمين وثغرهم الوحيد وهو المدينة المنورة يريدون

قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتهيئ هو وأصحابه للدفاع ،

وفي معركة الخندق قال تعالى ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ ﴾^(١).

فمن معاني مجئ الأحزاب الغزو ، والهجوم العام ، والسعي

لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعل أصحابه بين

قتيل وأسير مع أنه لا يدعو إلا إلى السلم ونشر الأمن وإشاعة الصلاح.

وتلقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه هذا الغزو بأدنى مراتب الدفاع فلم يلاقوهم بالسيوف إنما حضروا خندقاً حول المدينة ورابطوا خلفه.

مع أن آيات القتال نزلت قبل معركة الخندق ، وكذا آيات الشهادة والقتل في سبيل الله والترغيب به.

فان قلت قد حدثت مبارزة يوم الخندق بين الإمام عليه السلام وعمرو بن ود العامري .

الجواب نعم ، ولم تكن هذه المبارزة بالتقاء الصفوف ، إنما كانت قضية شخصية بعد أن عبر عمرو بن ود العامري الخندق وتحدى المسلمين بطلبه المبارزة والحاحه عليها ليصرعه الإمام علي عليه السلام وينزل قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(١).

وقد تقدم في الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين (قانون الصد عن البيت فتنة)^(٢).

تفسير آيات القتال لبعضها بالدفاع

من خصائص القرآن وأسرار بقائه غصاً طرياً سالماً من التحريف والتبديل والنقص والزيادة تفسير آياته بعضها لبعض ، وإدراك الناس لهذا الإعجاز من الكلي المشكك ، فمنهم من يأخذ بالظاهر القريب ، ومنهم العلماء الذين يسبرون أغواره ، ويغوصون في بحار خزائنه ، فيجمعون بين الآيات ويبينون التداخل والتقارب

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

(٢) انظر الجزء ٢٢٤/٢٢٨ من هذا السفر .

الموضوعي والحكمي بينها ويكشفون عن سنخية السلم التي تستقرأ من الآيات ومفاهيمها.

ومنه موضوع القتال وصيغة الأمر ﴿قَاتِلُوا﴾ والخبر ﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَيْدٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

والنهي ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) أي لا ينهاكم الله عن موالاته وصلة الذين يقاتلوكم ، ولم يخرجوكم من دياركم من مكة .

(عن مجاهد في قوله : { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ } قال : كفار أهل مكة .)^(٣)

وهل تدل هذه الآية وتفسيرها على إرادة خصوص كفار مكة موضوعاً لآية السيف ، المختار نعم .

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة الممتحنة ٨-٩.

(٣) سورة الممتحنة ٨-٩.

(٤) الدر المنثور ٩/٤٨٢.

وتفسير آيات القتال بالدفاع علم مستقل غير التفسير الموضوعي للقرآن لأن فيه تأويلاً وبياناً للمقاصد السامية من المفردة القرآنية بلحاظ مناسبة الحال والمقال وأسباب النزول .

فمن إعجاز القرآن النهي عن شعار من لم يكن معي فهو ضدي ، إنما أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أن يحصروا إمتناعهم عن الولاية والمودة والطمأنينة لخصوص اعدائهم الذين يتصفون بأمور :

الأول : القيام بقتال المسلمين .

الثاني : إرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إخراج المسلمين من ديارهم .

الرابع : المظاهرة والحلف والنصرة للذين قاموا بإخراج المسلمين من ديارهم .

وهل يخص هذا الإخراج بالمهاجرين من مكة أم يشمل إرادة المشركين إخراج الأنصار من ديارهم أيضاً .

الجواب هو الثاني ، وبه جاء التهديد والوعيد من قريش ، ثم تجلّى بعالم الفعل بقيامهم بغزو المدينة في معركة أحد ، ثم معركة الأحزاب .

فان قلت قد وردت الآية بصيغة الماضي ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ﴾^(١) .

والجواب تجلّى أصالة الإستصحاب في سعي الذين كفروا بإخراج المؤمنين من ديارهم خاصة مع إزدياد حنقهم وشدة غيظهم عندما آوى الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين ، وهناك فرق كبير بين الولاية والقتال .

فيدل منطوق هذه الآيات بالإكتفاء بالإعراض وعدم الولاية للمشركين الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأرادوا قتله ، وفيه سعة ومندوحة في مخاطبة الآيات النبي محمداً بأن لا يجعلوا المشركين كلهم أعداء لهم ، وفيه ضرب من أسباب الصدود عن الإسلام ، والإرتقاء في أحضان رؤساء الشرك من قريش ، إنما بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) .

ومن الرحمة تقريب الناس لمنازل الهدى والإيمان ، ومنعهم من الإقامة في مستنقع الكفر والضلالة .

ليكون من باب الأولوية عدم مقاتلة غير الذين قاتلوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، وهل مضامين الآيات أعلاه محدودة زماناً ومكاناً ، وأن المسلمين إذا قويت شوكتهم يقاتلون الذين لم يحاربوهم ولم يظاهروا عليهم .

الجواب لا ، فمنطوق وموضوع هذه الآيات سالم من النسخ ، لذا فان مضامين آية السيف محصورة بمشركي مكة بخصوص الأشهر الأخيرة من السنة العاشرة للهجرة ، وشهر محرم من السنة الحادية عشر ، قال تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) .

ولا يكفي جمع آيات القتال بل لا بد من استحضار السنة القولية والفعلية والدفاعية في المقام لأنها مرآة وتفسير لهذه الآيات ، وشاهد على سنخية السلم المصاحبة للنبوة .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة التوبة ٥.

وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى الصحابة عن إبتداء المشركين بالقتال ، حتى أولئك الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم ، وكيف أنه يجتهد في السعي إلى السلم الدائم ، والصلح مع ذات المشركين ، كما في رضاه بشروطهم في صلح الحديبية ، ومنها منعه وألف وأربعمائة من أصحابه لأداء العمرة في ذات السنة ، وهي السادسة للهجرة ، واشترطهم عليهم العودة إلى المدينة ، والمجيئ في قابل للعمرة ، وتحديد مدة بقائهم في مكة بثلاثة أيام .

السنة مانع من القتال الإبتدائي

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقاء أخبار سنته سالمة من التحريف والتبديل ، وهل للقرآن موضوعية في حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التحريف ، الجواب نعم ، وفيه شاهد بأن البيان في قوله تعالى ﴿ثِيَابَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، أن من مصاديق التبيان حفظ السنة وأسباب النزول ودعوة التنزيل والنبوة للسلم والأمن ومحاربة الفتن.

إن قوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٢) ، في ثانيا آية الأمر بالقتل أمانة وشاهد على إمتناع المسلمين عن الإبتداء بالقتال ، لقانون النسبة بين الفتنة وابتداء القتال عموم وخصوص مطلق ، فالفتنة أعم ، وهل هذا القانون مطلق ، أم يخص إبتداء المشركين بالقتال دون إبتداء المسلمين به ، المختار هو الأول ، ومع هذا لم يبدأ المسلمون القتال لوجوه :

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة البقرة ١٩١.

الأول : السنة النبوية وحي من عند الله ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَىٰ﴾^(١).

الثاني : دلالة آيات القتال والأمر به على الدفاع ، وهل يدل ما ورد عن جابر قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، ثم قرأ { فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر })^(٢).

الجواب لا ، إذ أن السنة النبوية شاهد على إكتفاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتبليغ ، وتعضده المعجزة الحسية والعقلية ، ثم أن الحديث أعلاه يمنع من قتال أهل الكتاب لأنه خاص بالمشركون ، ودلالة الآيات على إنحصاره بالمشركون الذين يقاتلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة .

الرابع : طواف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موسم الحج قبل الهجرة ومناذاته بكلمة التوحيد وعد سماوي من الله عز وجل برضاه عن الناطقين بها ، بتقريب أن السنة النبوية شعبة من الوحي (عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟

فقال كنت بمنى أيام موسم مشركو العرب وافناء الناس في الموسم ، فنزل عليّ جبريل فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَةَ اللَّهِ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) ، قال : فقامت عند العقبة ، فناديت : يا أيها الناس من ينصرني على أن

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) الدر المنثور ١٠/٢٥١.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة ، أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ، وأنا رسول الله إليكم ، وتنجحوا ولكم الجنة .

قال : فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة ، ويصقون في وجهي ويقولون : كذاب صابئ ، فعرض عليّ عارض فقال : يا محمد ، إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وانصرني عليهم أن يجيئوني إلى طاعتك ، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه ، قال : الأعمش فبذلك تفتخر بنو العباس ، ويقولون : فيهم نزلت) ^(١).

الأعمش

لا دليل على نزول آية ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ^(٢) بالعباس وأهله خاصة وأنها آية مدنية نزلت في بيعة الغدير ، ولكن الأعمش سلمان بن مهران الأسدي ثم الكاهلي مولاهم قضى ست عشرة سنة من آخر عمره في الدولة العباسية ، وفي الكوفة التي كانت عاصمتهم الأولى ، والأعمش تابعي (٦١-١٤٨) هجرية .

وأصله من دماوند من نواحي الري أي طهران ، وولد الأعمش يوم عاشوراء يوم مقتل الحسين عليه السلام .

(وقال وكيع: بقي الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبير الأولى) ^(٣).

(١) الدر المنثور ٢/٤١٨.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) العبر في خبر من غبر ١/٢٨.

وللأعمش نوادر وملح منها أنه (خرج يوماً إلى الطلبة فقال لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم، مات في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة)^(١).
واراد إبراهيم النخعي وكان أعور أن يماشيهِ فقال له الأعمش :
إن رانا الناس معاً قالوا : أعور وأعمش فقال النخعي : وما عليك أن يؤثموا ونؤجر ، فقال له الأعمش ، وما عليك أن يسلموا وتسلم.
وطلبه رجل يوماً فرآه وامرأته فقال لهما مخاطباً أيكما الأعمش ، فأجابه الأعمش هذه ، وأشار إلى امرأته أي لابد أن الأعمش هو الرجل وليس المرأة (وقيل: إن الأعمش كان له ولد مغفل فقال له: اذهب فاشتر لنا جبلاً للغسيل.

فقال: يا أبة طول كم.

قال: عشرة أذرع.

قال: في عرض كم.

قال: في عرض مصييتي فيك)^(٢).

وآية ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾^(٣) أمر من عند الله عز وجل ونص لا يقبل

معنى آخر غير وجوب التبليغ ، وهل هو من آيات السلم ، الجواب نعم ، للتباين بين التبليغ والسيف .

في كتابة الوحي

كان عدد كتاب الوحي نحو سبعة عشر وأوصلهم ابن كثير إلى ثلاثة وعشرين .

ولم يكونوا في عرض واحد ، فمنهم من قام بكتابة آيات القرآن في مكة وقبل الهجرة كالإمام علي عليه السلام ، وأبو بكر ، وعمر وعثمان.

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٢٣٩.

(٣) سورة المائدة ٦٧.

ومنهم (أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي أسلم بعد أخويه خالد وعمرو وكان اسلامه بعد الحديبية لأنه هو الذي أجاز عثمان حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل مكة يوم الحديبية)^(١).

ومنهم الذي كتبوا من الوحي في المدينة بعد الهجرة مثل أبي بن كعب وزيد بن ثابت من الأنصار وعثمان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد .

و(عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال وسماني لك يا رسول الله قال نعم قال فذرفت عيناه)^(٢).

لتكون هذه القراءة حجة وتأكيداً للزوم حفظ الصحابة لآيات القرآن وعدم تضييعها .

وفي اختصاص أبي بهذا الحديث إكرام له وطرد للوهم والشك الذي يطرأ عليه ، و(عن أنس، عن عبادة بن الصامت، عنه ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عنه كان قد أنكر على إنسان، وهو: عبد الله بن مسعود، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستقرأهما، وقال، لكل منهما: "أصبت".

(١) البداية والنهاية ٢٤٠/٥ .

(٢) البداية والنهاية ٢٤٠/٥ .

قال أبي: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية. فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدره، قال أبي: ففَضْتُ عَرَقًا، وكأَنَّمَا أَنْظَرَ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا.

وأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل أتاه فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقلت: "أسأل الله معافاته ومغفرته".

فقال: على حرفين.

فلم يزل حتى قال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف^(١).

مع تكرار قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على أهل بيته وأصحابه مجتمعين ومتفرقين .

وبين الصحابة الذين كانوا يكتبون القرآن وكتاب الوحي عموم وخصوص مطلق ، فأكثر الصحابة الذين كانوا يقرأون ويكتبون ، يكتبون آيات القرآن ، في قطع الجلد ، وعلى الحجارة ، والرقاع من الورق ، وعلى العظام.

وهل كان غير المسلمين يكتبون القرآن أم أنه أمر خاص بالصحابة ، الجواب هو الأول : وهو من إعجاز القرآن .

لقد كان إنشغال الصحابة بكتابة القرآن سلم محض ، وتسليم بأن الآيات دعوة للسلم والوئام والصلح والسكينة والأمن في المجتمعات.

قانون عموم التبليغ والدعوة

ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢)، على نحو الإطلاق أي التبليغ للمسلمين وأهل الكتاب والكفار ، والآية أعلاه

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٥/٨ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

رحمة عامة وهي محكمة وموضوعها أعم من سبب النزول وهو بيعة الغدير ، من جهات :

الأولى : تبليغ كل آية من القرآن أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : تبليغ الحديث القدسي .

الثالثة : الإخبار عن الوحي الذي يترجل بالسنة النبوية القولية والفعلية والدفاعية والتدوينية والقرآنية ، مجمعة ومتفرقة .

ومن معاني التبليغ في المقام الكفاية عن القتال والغزو والهجوم ، إذ تبين الآية إنفراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسلاح وهو (سلاح التبليغ) وهو أمضى من السيف ، للقيد الوارد في الآية وهو تبليغ التنزيل ، بمعنى نفاذه إلى شغاف القلوب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(١).

لقد دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه معارك عديدة ضد المشركين وأيهما أكثر نفعاً في دخول الإسلام خوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم معارك الدفاع ، أم آية التبليغ هذه والآيات المشابهة لها ، الجواب هو الثاني .

من قوانين الدعوة

قد تقدم في الجزء السادس والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر :

الأول : قانون دعوة الأفراد والجماعات إلى الإسلام بآيات القرآن والحجة والبرهان ، وليس الإرهاب .

الثاني : قانون الوصول إلى الرجال والنساء في القرى والأرياف والبادي ، وإسماعهم آيات القرآن .

الثالث : قانون إمتناع المانع بين الناس وبين النبوة والتنزيل ، وهو من المساعي النبوية الحميدة^(١).

الرابع : قانون كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإستطلاع واستكشاف ما حول المدينة^(٢).

الخامس : بلوغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه مضارب القبائل ومواضع الآبار والمياه في دعوته إلى الله سبحانه^(٣).

السادس : قانون دعوة الناس للإيمان إذ تمل النفوس بالفطرة للوحي ، وتنفر مما هو ضده من الكفر والفسوق والظلم^(٤).

السابع : قانون إبتداء سلسلة انتصارات النبوة والتنزيل قبل معركة بدر^(٥).

الثامن : قانون كل آية من السور المكية والسور المدنية التي نزلت قبل صلح الحديبية وبعده لها موضوعية ، ونفع حسن ، وهو من أسرار بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الله عز وجل ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة^(٦).

التاسع : قانون انفراد دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإقتران بالترغيب والشأن العظيم والفوز في النشأتين^(٧).

العاشر : قانون الملازمة بين النبوة والسلام^(٨).

(١) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٥٦.

(٢) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٥٦.

(٣) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٦٣.

(٤) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٦٧.

(٥) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٧٢.

(٦) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٧٩.

(٧) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٨٤.

(٨) انظر الجزء الخامس والثلاثين بعد المائتين ص ٩١.

قانون السنة التدوينية فرع آية التبليغ

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السنة التدوينية وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١)، الجواب نعم لبيان تعدد صيغ تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمور :

الأول : التوحيد .

الثاني : آيات القرآن .

الثالث : الفرائض العبادية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والخمس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : السنة النبوية ، فمن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قوله وفعله تبليغ لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَىٰ * إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) .

الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

السادس : البعث والمعاد ، وأحوال الآخرة .

وكل فرد من هذه الأمور من مصاديق السلم واللفظ ، ترى ما هي النسبة بين التبليغ والتذكير في قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتْ الذِّكْرَىٰ﴾^(٣)، وقوله تعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٤) .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) سورة النجم ٣-٤ .

(٣) سورة الأعلى ٩ .

(٤) سورة ابراهيم ٥ .

الجواب نسبة العموم والخصوص المطلق ، وأن التذكير من أقسام ومصاديق التبليغ .

وهل يشمل التذكير قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتذكير وتخويف كفار قريش .

الجواب نعم ، انقطع هذا التذكير بنزول آية السيف ، الجواب لا ، وأيهما أمضى وأقوى في جذب الناس للإيمان السيف أم التبليغ ، الجواب هو التبليغ وهو سلاح الأنبياء والصالحين ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(١) ، ومن مصاديق التبليغ الكتابة والتدوين .

الصلاة أكثر الفرائض أداء

الصلاة عمود الدين وهي واجب مطلقاً ، وتجب على كل حال ، وفي حال الحضر والسفر ، والصحة والسقم ، وعلى الرجل والمرأة ، والغني والفقير ، والحر والعبد ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢) .

وهل ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التدوينية ، الجواب نعم ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقيس (لقيس بن سلمة كتاباً نسخته) كتاب من محمد رسول الله لقيس بن سلمة بن شراحيل ، أني استعملتك على مران ومواليها ، وحريم ومواليها ، والكلاب ومواليها ، (من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصدق ماله وصفاه)^(٣) .

ترى أيها أكثر أداء من قبل المسلمين بعد الصلاة :

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة النساء ١٠٣ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢١٤/٦ .

الأول : الزكاة .

الثاني : صيام شهر رمضان .

الثالث : حج بيت الله الحرام.

الجواب كل من هذه الفرائض مقيد وليس مطلقاً.

فالزكاة مقيدة ببلوغ المال النصاب.

والصيام مقيد بالسلامة من المرض وعدم السفر ، قال تعالى

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).

والحج مقيد بالإستطاعة ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

والمختار أن الصيام هو أكثر الفرائض التي يؤديها المسلمون

والمسلمات بعد الصلاة ، سواء باحتساب أيام شهر رمضان أفراداً

غير ارتباطية ، أو أفراداً ارتباطية وهو من مصاديق الكتابة

والفرض بقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٣).

وقد لا يكون عند أكثر المسلمين نصاب للزكاة ، ولا فائض عن

المؤونة للخمس ، ولا تيسر نفقات ومقدمات أداء الحج لأكثر

المسلمين والمسلمات أو لشطر منهم .

أما بالنسبة للصيام فهو أقل الفرائض أعلاه شروطاً وقيوداً

وحتى المريض إذ شفاه الله عز وجل في ذات سنة الصيام يجب عليه

القضاء كما لو اتفق أنه أجرى عملية في شهر رمضان ، وصار سالماً

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

(٣) سورة البقرة ١٨٣ .

معافى بعد أربعة أو خمسة أشهر ونحوه فعليه القضاء ، وكذا يقضي المسافر عند عودته ، وإذا كان كثير السفر يصوم في السفر .

ومن خصائص الفرائض العبادية أنها مصاديق للسلم المجتمعي ، وأنها ضد الإقتتال ، وتبعث على النفرة من سفك الدماء .

ومن الآيات في المقام أداء كل مسلم ومسلمة الصلاة خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني ، لتعاهد السلم والأمن ، وحبس الجوارح عن التعدي والظلم ، ومنها ان فريضة الصيام والزكاة والحج في طول أداء الصلاة ، فلا تتعارض معها ، والذي يؤدي هذه الفرائض لا تسقط عند الصلاة ، فمثلاً تجب الصلاة على الصائم في رمضان .

وتجب الصلاة على الذي يدفع الزكاة وعلى مستحقها الذي يقبضها ، وكل فرد من هذه الفرائض سلام وشاهد على عدم نسخ آيات السلم .

وعلى أن مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسلم العام لم يختص بآيات السلم بل يشمل أداء الفرائض والسنة النبوية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

الرابعة : البشارة والإنذار في أمور الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة البقرة ١١٩.

كتب النبي (ص) إلى الملوك سلام وموادعة

ليس من حصر لكل من موضوع البشارة والإنذار فان قلت هل من بشارة وإنذار نبوي غير آيات القرآن ، الجواب نعم ، ومنه ما جاء في السنة التدوينية مثل رسائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للملوك زمانه والزعماء يدعوهم فيها للإسلام وينذرهم من الصدود عن كلمة التوحيد ، وتحملهم أعباء تخلف قومهم عن الإيمان ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتباً ورسائل إلى كل من :

الأول : قيصر ملك الروم .

الثاني : كسرى ملك فارس .

الثالث : النجاشي ملك الحبشة .

الرابع : المقوقس ملك مصر .

الخامس : المنذر بن ساوي ملك البحرين .

وغيرهم من الأمراء ، وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الرسائل في السنة السابعة للهجرة بعد صلح الحديبية ليكون تعيين أوانها معجزة له.

ومن مصاديق الإعجاز في صلح الحديبية أنه مقدمة لكتابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتب والرسائل إلى ملوك وأمراء زمانه من مقامات النبوة .

وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي كتاباً إلى هرقل وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فإن إثم الكافرين عليك)^(١).

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٩٨/٣ .

وكتب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يهود خيبر ،
كما ورد (عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول: كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر: بسم الله الرحمن
الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى، وأخيه، والمصدق
بما جاء به موسى .

ألا إن الله قال لكم: يا معشر يهود وأهل التوراة، إنكم
تجدون ذلك في كتابكم: إن محمدا (رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر
السجود.

ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار... الحديث^(١).

كتاب النبي (ص) إلى كسرى

بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً إلى كسرى بن هرمز
مع الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي وفيه (بسم الله الرحمن
الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على
من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله؛ وشهد أن لا إله إلا الله، وأني
رسول الله، إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً؛ أسلم تسلم، فإن
أبيت فعليك إثم المجوس)^(٢).

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن كسرى مزق كتابه
قال : مُزق ملكه.

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١/ ٢٢٤ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣٠/٢ .

أي أنه جنى على نفسه بأمر حتم وهو نهاية ملك ، ومملكة كسرى ، وأول الإشراقات دخول أهل اليمن الإسلام بعد أن كتب كسرى إلى باذان عامل كسرى على ابناء الأعاجم في اليمن أن يبعث إلى الحجاز رجلين من عنده جلدتين لإحضار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فتجلت لهم الآيات وفرح المشركون لأن ملك الملوك كسرى طلب العداوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان النبي تصرف بأكثر من شأن ولايته على المدينة المنورة .

وخاطب ملوك عصره ، ولم يعلموا أنه لم يبعث هذه الرسالة وغيرها إلا بالوحي من عند الله ، وما دام بالوحي فهو خير محض ، ونفع مع خلوها من الضرر ، قال تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾^(١) ، وسيأتي التفصيل ان شاء الله لبيان هلاك كسرى بدعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من مصاديق السلم في دعوته .

لقد رأى الرجلان اللذان بعثهما باذان الآيات وكيف أن أصحاب النبي محمد من حوله يفتدونهم بأنفسهم فخففا من لغة التهديد دون أن تسقط .

إذ قال أحدهما (إن شاهانشاه ملك الملوك كسرى؛ قد كتب إلى الملك باذان، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك؛ وقد بعثني إليك لتتطلق معي؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك؛ وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرّب بلادك .

ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما؛ فكره النظر إليهما، ثم أقبل عليهما فقال: ويلكما ! من أمركما بهذا ؟

قالا: أمرنا بهذا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله: لكن ربي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غدا^(١).

لقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يريا صبغة الإيمان والتقوى ، وكثرة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلدهم وصبرهم ، ومفاهيم التوحيد ، وصيغ التساوي بين الناس في المعاملة السيد والعبد ، والغني والفقير ، والرجل والمرأة.

لقد رأيا مجتمعاً وأمة منظمة قائمة على العدل والإنصاف ، وتقام الصلاة في المدينة خمس مرات.

وهناك طوائف اليهود في المدينة لم يتعرض لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٢)، وعن ابن عباس قال : محدود الله^(٣).

ولم يقع قتال بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين بعد صلح الحديبية.

ولينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله قد أهلك كسرى إذ قتله ابنه شيرويه في شهر كذا وفي ليلة كذا .

ولم ينتظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حضور الرجلين بين يديه في اليوم التالي بل أرسل اليهما ليخبرهما بقتل كسرى فجاءا وقالا (هل تدري ما تقول ، إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك^(٤)).

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣١/٢ .

(٢) سورة المائدة ٤٨ .

(٣) الدر المنثور ٣٩٥/٢ .

(٤) أي باذان في اليمن لأنهم يسمون كسرى ملك الملوك.

قال : نعم، أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك؛ وملكتك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خرخره منطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك^(١).

الفرق بين المعجزة الحسية والعقلية

المعجزة رحمة من عند الله عز وجل بالأنبياء والناس جميعاً ، ومن خصائصها أنها واقية للنبي ودرء للقتل عنه ، فلولا المعجزة لقام الفاسقون بقتل الأنبياء لما يأمرهم به من المعروف وسبل الصلاح ، وينهون عنه من الفساد والمعاصي ، وحتى مع المعجزة يسعى المشركون لقتل الأنبياء واتباعهم كما في قصص الأنبياء ، ومن الشواهد القرآنية التي توثق تأريخ النبوة وصبر الأنبياء والأولياء في المقام :

الأول : قوله تعالى ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْهَ يَانُوحُ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(٣).

الثالث : قوله تعالى ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْهَ يَالُوطُ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(٤).

(١) تأريخ الرسل والملوك ٣١/٢ .

(٢) سورة الشعراء ١١٦ .

(٣) سورة مريم ٤٦ .

(٤) سورة الشعراء ١٦٧ .

الرابع : في رسل عيسى عليه السلام الثلاثة من الحواريين الذين بعثهم إلى أهل أنطاكية لنشر الإسلام ورد قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْهَوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) وقال ابن إسحاق (فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب الأحبار، وهب بن منبه-: إنها مدينة أنطاكية، وكان بها ملك يقال له: أنطيوخس بن أنطيوخس بن أنطيوخس، وكان يعبد الأصنام .

فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل، وهم: صادق وصدوق وشلوم، فكذبهم)^(٢).

و(عن مجاهد في قوله { لنرجمنكم } قال : لنشتمنكم قال والرجم في القرآن كله الشتم)^(٣). ولا دليل على هذا الحصر بالشتم ، والأصل في الرجم أنه القذف بالحجارة .

وعن ابن عباس قال (وكان الله تعالى إذا جمع لعبد النبوة والرسالة منعه من الناس ، وكانت الأنبياء تقتل)^(٤).

مادة الإلتقاء بين المعجزة الحسية والعقلية

النسبة بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية عموم وخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما .

ومن مادة الإلتقاء مسائل :

الأولى : كل معجزة هي من عند الله عز وجل ، ولا يقدر عليها إلا هو سبحانه .

الثانية : المعجزة مظهر من مظاهر بديع صنع الله .

(١) سورة يس ١٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٦٨/٦ .

(٣) الدر المنثور ٢٩٥/٨ .

(٤) الدر المنثور ٢٩٥/٨ .

الثالثة : كل معجزة لطف من عند الله عز وجل ، ورحمة منه بالناس .

الرابعة : تجلي المعجزة على أيدي الأنبياء والمرسلين .

الخامسة : المعجزة الحسية وكذا العقلية أرقى وأسمى من الأمور الطبيعية والسنن الكونية ، لذا قلنا بأنها أمر خارق للعادة .

السادسة : مناسبة المعجزة لأهل زمان النبي وما يعتنون به ، فجاء موسى عليه السلام بالعصا لإيلاء أهل مصر عناية بالسحر ، ولمنزلة السحر عند الملك وعامة الناس ، وفي أيام عيسى عليه السلام كانت العناية بالطب ، فنزل قوله تعالى ﴿ وَبُرِيَ الْأَكْمَةُ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(١) .

السابعة : لا تختص المعجزة في أثرها بمن يحضرها أو أهل زمانها .

الثامنة : إنجذاب الناس للمعجزة طوعاً وقهراً وإنطباقاً ، وانصرافهم عن الخصومات والفتنة والإقتال .

التاسعة : كل من المعجزة الحسية والعقلية تأييد ودعوة ومدد للنبي الذي يأتي بها .

العاشرة : تمنع كل من المعجزة الحسية والعقلية الناس من إدعاء النبوة ، والإفتراء على الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٢) .

ومن مصاديق اسم الإشارة (ذلك) في الآية أعلاه معجزات الأنبياء سواء أيام المعجزة الحسية أو بعد توثيقها في المعجزة العقلية ، وهو القرآن .

(١) سورة المائدة ١١٠.

(٢) سورة آل عمران ٩٤.

الحادية عشرة : المعجزة الحسية والعقلية من اللطف الإلهي ،
والرحمة بالأنبياء والناس .

الثانية عشرة : كل من المعجزة الحسية والعقلية سبب لإتباع رهط
من الناس النبي صاحب المعجزة ودخولهم الإسلام .

الثالثة عشرة : تدعو المعجزات إلى السلم والتراحم ونبذ المعارك
والحروب .

الرابعة عشرة : المعجزة حرب على الشرك والضلالة ، وزاجر
عن عبادة الأوثان .

الخامسة عشرة : تبين المعجزة ضعف الإنسان ، وأنه كائن محتاج
، قال تعالى ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

النبي صالح ونسب العرب

ملائمة المعجزة لأحوال الناس في زمانها ، ومن المعجزات ما
جاءت بسؤال الناس من أجل التصديق بنبوة النبي ، كما في النبي
صالح عليه السلام .

إذ بعثه الله من أوسط قومه ثمود نسباً ، وكانوا عرباً من ولد أرم
بن سام^(٢) ، وهم من العرب العاربة^(٣) ، ويقسم العرب القدامى إلى
أقسام:

الأول : العرب البائدة مثل طسم ، والعماليق وجريس من أبناء
سام بن نوح .

الثاني : العرب العاربة وهم أبناء قحطان .

الثالث : العرب المستعربة وهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم .
ومن خصائص العرب العناية بالنسب وحفظه .

(١) سورة النساء ٢٨ .

(٢) مروج الذهب ١١/١ .

(٣) المنتظم ٤٢/١ .

وكان النبي صالح عليه السلام شاباً في بداية دعوته واستمر يدعو قومه لسنوات عديدة ، وكبر وشاب رأسه ، ولم يتبعه إلا قليل منهم.

لقد ألح النبي صالح عليه السلام على قومه بالدعوة ، وصار ينذرهم جهاراً من عذاب الآخرة وشدته ، فضايقوا به وبدعوته ذرعاً ، وسألوه آية تدل على صدق ما يدعو إليه ، فقال لهم : ماذا تريدون.

حينئذ قالوا إن لنا عبداً في يوم معلوم نخرج فيه باصنافنا (فتدعو إلهك وتدعو وإن أستجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا) ^(١).

ثم سألوا صالحاً أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت منفردة في ناحية الحجر واختاروا صخرة منفردة كيلا يقع إحتمال أو شك بوجود ناقة في الموضع ، وليروا كيف تكون المعجزة .

وقالوا له إن فعلت صدقناك وأمنا برسالتك ، فأخذ عليهم الموائيق والعهود ، وصاروا يدعون أوثانهم بعدم الإستجابة لدعاء صالح .

فصلى صالح ركعتين ، وصار يدعو الله عز وجل فتمخضت الصخرة فأمن به سيد ثمود آنذاك جندع بن عمرو بن حراش ورهط من قومه.

وقام صاحب الأوثان ذوءاب بن عمرو وبعض الأشراف بنهي الناس عن الإيمان والتصديق بصالح عليه السلام ، لبيان أن النبي لم يأت إلا بالسلام ، وليس له من واسطة يدعو بها إلى الله إلا السلام والإحتجاج والمعجزة .

وجاء القرآن بمعجزة عقلية لتوثيق معجزة صالح الحسية بآيات محكمة غير منسوخة ، لأن النسخ لا يصل إلى الأخبار والقصص

لتبقى شاهداً على دعوة القرآن كل يوم إلى السلم المجتمعي ، وزجره عن الحروب والإقتال ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١).

لقد أخبر الله عز وجل عن صبغة السلم في نبوة صالح ، واقتراها بالمعجزة ذات النفع اليومي العام ، إذ تدرناقة صالح من الحليب ما يكفي لأهل قريته جميعاً رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، بين يوم وآخر ليترك أهل القرية لسقاية أنعامهم إذ كانت ترد الماء يوماً ، وفي اليوم التالي ترده إبل وغنم وشيأ القوم .

قالوا (فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء سبتاً فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر من الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها لا تدع قطرة ماء فيها ثم ترفع رأسها (فتفسح) يعني تفجج لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملأوا أو انيهم كلهم ثم تصدر من (غير) الفج الذي وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث وردت لضيقه عنها فلا يرجع منه ثم ترفع رأسها).^(٢)

ومن الإعجاز في المقام أن معجزة النبي مانع من الخصومة والإقتال بين الناس ، إذ ينشغلون بالتدبر في المعجزة وأسرارها ، وهو من الشواهد على ملازمة السلم العام للنبوة ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الاسراء ٩.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٩١/٥.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

مادة الإفتراق بين المعجزة الحسية والعقلية

من مادة الإفتراق بين المعجزة الحسية والعقلية وجوه :

الأول : مخاطبة المعجزة الحسية للحواس من السمع والبصر فيرى الناس المعجزة مثل : تلقف عصا موسى عليه السلام لعصي سحرة فرعون ، أو سماع الناس للمعجزة بينما تخاطب المعجزة العقلية العقول والمدارك والإفهام .

الثاني : تجلي المعجزة الحسية بوقتها وأوانها ومدتها ، مثل ناقة صالح ومدة بقائها بين ظهراني ثمود تشرب ماء الآبار يوماً كل يومين لتعطي الحليب بما يكفي للقرية كلها ، مما يدل على اتصال وتجدد ذات المعجزة الحسية لتذكير الناس بلزوم الإيمان ، ولدفع الشبهة عنها ، أو إدعاء السحر ونحوه .

وكما في عصا موسى عليه السلام التي كان النفع يتجدد منها ، ومنه قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١).

أما المعجزة العقلية فهي متجددة في تحديدها وصبغة الإعجاز فيها ، في شهادة على نزولها من عند الله عز وجل .

الثالث : توجه المعجزة الحسية إلى طائفة أو أمة من الناس ، بينما تتصف المعجزة العقلية بالشمول ، وتتوجه إلى الناس جميعاً .

الرابع : خلود المعجزة العقلية وهو القرآن الكريم .

الخامس : المعجزة الحسية عون وظهير للنبي بينما المعجزة العقلية توثيق لكل المعجزات .

وهو من الصفات التي انفرد بها القرآن ، إذ وثق وصدق واثبت معجزات الأنبياء إلى يوم القيامة .

السادس : جاء الأنبياء السابقون بالمعجزات الحسية ، منها ما ذكر في القرآن ، ومنها ما لم يذكر وهو فرع قوله تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١).

وكل آية من القرآن معجزة عقلية تخاطب الناس عامة ، وتدعوهم إلى السلم الأهلي ، وتبعث الفطنة وتنمي المدارك العقلية ، وتنهض بالوعي المجتمعي ، وهو من أسرار وجوب تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في الصلاة اليومية على نحو الوجوب العيني ، قال تعالى ﴿كَتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

السابع : تتوجه المعجزة الحسية إلى حاسة البصر والسمع ، بينما تتضمن المعجزة العقلية الأمر والنهي ، والخبر والقصة ، والوعد والوعيد .

ومن معاني قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٣) ، أن قصص القرآن هي أحسن القصص في كل زمان مع التحدي ، وفيها ذخائر من المنافع والمواظظ اللامتناهية .

الثامن : بلحاظ المسألة الثانية عشرة من مسائل مادة الإلتقاء بين المعجزة الحسية والعقلية فإن المعجزة العقلية سبب لدخول أضعاف الذين يدخلون الإسلام بالمعجزة الحسية .

(١) سورة النساء ١٦٤.

(٢) سورة ص ٢٩.

(٣) سورة يوسف ٣.

التاسع : ترشح المعجزات الحسية الكثيرة عن المعجزة العقلية المتحدة .

العاشر : قانون كل نبي له معجزة حسية ، وانفرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم معها بالمعجزة العقلية .

بلوغ آيات القرآن الشام وطوائف اليهود ونصارى نجران

يحتمل بلوغ آيات القرآن إلى الشام وتجارها ، وديوان هرقل وقساوسته وجوهاً :

الأول : قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بواسطة التجار من قريش وعامة الركبان .

الثاني : بعد الهجرة النبوية إلى المدينة، ووقوع المعارك بين المسلمين والمشركين كمعركة بدر ، وأحد، والخندق ، إذ كانت أخبارها تصل إلى الأمصار والقبائل .

الثالث : بعد صلح الحديبية وبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً للملوك منها كتاب إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام ، وأرسل هرقل إلى رهط من قريش كانوا في الشام منهم أبو سفيان لسؤالهم عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد تقدم ذكر الخبر .

الرابع : بلوغ كتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى هرقل من تبوك مع دحية بن خليفة الكلبي ^(١) .

والمختار هو الأول ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَا إِلَahَ إِلَّا هُوَ﴾ * إِبِلَافِهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ^(٢) ، ثم توالى أخبار الرسالة إلى الشام .

(١) الروض الأنف ٤/ ٢٠٠ .

(٢) سورة قريش ١-٤ .

ومن أسرار إتصاف السور المكية بالقصر قلة كلمات الآية الواحدة ، والنص الجلي بالتخويف والوعيد من الشرك والحدود بالنبوة والتنزيل ، منه قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ * فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ^(١) وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ^(٣) وغيرها من الآيات والسور .

ومن إعجاز القرآن نقل الركبان لآياته داخل الجزيرة وخارجها طوعاً وقهراً وإنطباعاً ، ولا ينحصر هذا النقل بالمسلمين إنما يشمل أهل الكتاب والذين كفروا أيضاً .

وهناك نوع ملازمة بين نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآيات القرآن من جهة البلاغ والإبلاغ ، وهذه الملازمة من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والشواهد على تفضيله ، فما أن يستحضر اسمه الشريف حتى تتبادر في الوجود الذهني آيات القرآن .

(١) سورة الماعون ١-٧ .

(٢) سورة الكافرون ١-٦ .

(٣) سورة العصر ١-٣ .

وهل كان المشركون يقومون بنشر أخبار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته للإسلام لتحريض النصارى واليهود والمجوس ودولهم عليه ، المختار نعم .

فلم يجدوا آذاناً صاغية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

لقد أدرك كفار قريش عجزهم عن الإجهاز على النبوة والتنزيل ، ورأوا كيف أن الإسلام أخذ بالانتشار والإتساع ، فأرادوا تحريض الدول العظمى آنذاك عليه خاصة وأن هذه الدول لها ديانات عامة مثل النصرانية في الشام والحبشة ، والمجوسية في بلاد فارس وقد جمعهم قوله تعالى ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ*فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٢).

لييان معجزة حسية وعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ودليلاً شرعياً غير لفظي على المدد الإلهي له بكف أيدي الدول العظمى عنه ، وعدم استجابتهم لطلبات قريش بمحاربته .

ولقد بلغت آيات القرآن الحبشة ، وبلاط ملكها في السنة السابعة من البعثة النبوية الشريفة بتلاوة جعفر الطيار ، وأصحابه سورة مريم وغيرها في حضرة النجاشي الذي لم ينكر مضامين الآيات .

وفيه معجزة غيرية للقرآن بأنه يذب عن نفسه وعن النبوة ويكون واقية لحملته باعجازه وبيانه ومضامينه القدسية ذات الصبغة السلمية ، وما فيها من البشارة والإنذار والإقرار بنبوة الأنبياء السابقين ، وعصمتهم وصبرهم على شدة الأذى الذي لاقوه من قومهم لزجر

(١) سورة آل عمران ٥٤.

(٢) سورة الروم ٢-٣.

الناس عن إعانة قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم قريش في إيذائهم له.

وهو من إعجاز القرآن بصد الناس عن الإستجابة بالتحشيد وتحريض قريش ضد الرسالة السماوية الخالدة حتى إذا ما جاءت السنة التاسعة للهجرة النبوية ، وفي قيظ شديد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو تبوك (في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس وأقام بها عشرين ليلة يقصر الصلاة وهرقل يومئذ بحمص)^(١).

وصالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبوك (يحنة بن روبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية. وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابا فهو عندهم.

فكتب ليحنة بن روبة وأهل أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر)^(٢).

ليبان منافع خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك ، منها عدم وقوع قتال مع الروم ، بالإضافة إلى قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعقد صلح مع عدد من الرؤساء في طريقه إلى تبوك

(١) زاد المعاد ٤٦٠/٣.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢٩/٤.

، ودخول عدد منهم الإسلام ، وتنمية ملكة الصبر عند المسلمين ،
وفيه تأكيد لقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) كما سيأتي في جزء
خاص بهذا القانون الذي صدرت بخصوصه الأجزاء (١٥٩-١٦٠-
١٦١-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٥-١٧٦-
١٧٧-١٧٨-١٨٢-١٨٥-١٨٨-١٩٢-٢٠٠-٢٠٨-٢١٢-٢١٨-٢٢٦-
٢٢٨-٢٣٨) من هذا السفر .

آيات يَكْمُون

لقد ورد لفظ ﴿يَكْمُونُ﴾ ست مرات في القرآن كلها في سور
مكية :

الأولى : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١) .

الثانية : قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلِمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) .

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا كُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ
يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْمُونَ﴾^(٣) .

الرابعة : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ
وَيَكْمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١) .

(١) سورة البقرة ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة ١٧٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٧ .

الخامسة : قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(٢) .

السادسة : قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾^(٣) .

كما ورد بصيغة الفعل المضارع للمفرد ﴿يَكْتُمُ﴾^(٤) مرة واحدة .

ورد لفظ ﴿يَكْتُمُونَ مَا﴾ مرتين في القرآن إحداهما في سورة البقرة ، لبيان كثرة ما يخفي بعض من أهل الملل السابقة من التنزيل ومنه البشارة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحكام الحلال والحرام.

جاءت الآية بصيغة الجمع في ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾^(٥) ، لتشمل الآية العلماء وغيرهم ممن بلغه التنزيل ، وصار حجة عليه ، فلا يختص الأمر بالعلماء من طوائف ومذاهب مخصوصة.

ومن إعجاز هذه الآية أنها نص واضح لا يقبل التردد ، وإختلاف التأويل ، وتدل الآية على نزول الكتب السماوية قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنها لا تزال عند أهل الكتاب وغيرهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٦) .

(١) سورة النساء ٣٧.

(٢) سورة النساء ٤٢ .

(٣) سورة المائدة ٦١ .

(٤) سورة غافر ٢٨ .

(٥) سورة البقرة ١٧٤ .

(٦) سورة الذاريات ٥٦ .

وتدل الآية بالدلالة التضمنية على الوعيد ، وقد ورد عن أبي سعيد الخدري قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)^(١).

ومن وجوه عبادة الناس لله عز وجل قانون توارث التنزيل من أيام هبوط آدم عليه السلام من الجنة إلى يوم القيامة ، وقانون المعجزة واقية من الإفتاء على الله.

الآية السابعة والعشرون : قوله تعالى تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ﴾^(٢) نسختها (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ)^(٣) وليس من نسخ في المقام ، إنما هي الرخصة مع بقاء حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير .

لقد بينت الآية حرمة كل من :

الأول : الميتة من الحيوان .

الثاني : الدم ، أي الدم المسفوح ، وكان قوم من العرب يجعلون الدم في الأمعاء ثم يشوونها .

الثالث : لحم الخنزير وشحمه وأعضائه وأجزائه الأخرى .

الرابع : الحيوان الذي يهل عليه بغير اسم الله ، كما لو قال الذابح باسم اللات والعزى ، ويلحق به عدم ذكر اسم الله على الذبيحة عن عمد ، وبه قال مالك .

ولم تبين الآية سبب وموضوع الإضطرار مما يدل على إطلاقه ، وهو من السعة والمندوحة في الدين ، وهل ينحصر موضوع الإضطرار بالقيود في قوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرَ

(١) الدر المنثور ١/ ٢٢٤.

(٢) سورة النحل ١١٥.

(٣) سورة النحل ١١٥.

مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ^(١)، والمتجانف: المائل عن قصد إلى الإثم في بغيه وبلوغه حال الإضطرار.

وقد ورد البيان والتفسير في آيات أخرى كما في قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٢)﴾.

وقوله تعالى في سورة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ^(٣)﴾.

ليكون من إعجاز القرآن إباحة المحرمات مما يؤكل عند الضرورة ، وهذه الإباحة ليست مطلقة في باب الأطعمة وما يمكن أكله إنما هي مقيدة بالأصناف التي ذكرتها الآية من الميتة والدم ونحوه .

ولواته اثنان في الصحراء وانهكهما الجوع والعطش فلا يجوز لأحدهما قتل الآخر لأكل لحمه وإن أباح له قتله إنما هو الصبر والدعاء ورجاء فضل الله عز وجل.

وهو من مصاديق تولي الإنسان الخلافة في الأرض ، وتقديم سلامته وحفظه ودفع الموت جوعاً وعطشاً عنه ، باللجوء إلى المحرمات من الطعام ، والتي ليس فيها ضرر على غيره من الناس .

وقد حصرت هذه المحرمات ، وجاءت السنة النبوية بتحريم غيرها مثل لحوم الإنس ، وقيل أن السنة النبوية نسخت هذا الحصر

(١) سورة المائدة ٣.

(٢) سورة الأنعام ١٤٥.

(٣) سورة المائدة ٣.

، وليس من نسخ في المقام إنما وسعت السنة النبوية هذا التحريم ومن غير أن تخرج عن ماهية المحرمات فكانت لها الحكومة ، كما مثلاً في حرمة لحم الكلب التي هي مثل حرمة الخنزير بل أشد منها .
وتبين الآية مسائل :

الأولى : غير المضطر لأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، وهم أغلب الناس ، وفي حال الحضر والإستقرار ، وهو من سعة رحمة الله .

الثانية : الذي يضطر لأكل الميتة أو الدم ولحم الخنزير في حال المجاعة أو في مفازة ونحوه لدفع شبح الموت جوعاً ، وهذا على أقسام :

الأول : المضطر غير الباغي أو المعتدي ، فلا اثم عليه في أكل الطعام المحرم ، إذا كان الأكل بمقدار الضرورة والحاجة ، وقدر ما يقيمه .

الثاني : المضطر الباغي على الإمام الخارج عن سبل الطاعة .

الثالث : الذي بلغ حال الإضطراب لأكل الميتة ونحوها بسبب تعديه ، مع تعدد معاني التعدي في المقام منها :
الأول : التعدي على أحكام الشريعة .
الثاني : تعدي الحلال إلى الحرام .

الثالث : التعدي في ساحة القتال ، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) .

الرابع : التعدي في المعاملات ومطلقاً ، قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) ، وليس في الآية الآية نسخ ، إنما هو الإستثناء المقيد .

الآية الثامنة والعشرون : قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولَوْنَ فَوُجَّهُ اللَّهُ إِنْ

اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، قال في ناسخ القرآن ومنسوخه : نسخها قوله تعالى ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣).

ولا دليل على النسخ للتباين الموضوعي ، ولو على نحو جهتي ، والنسبة بين موضوع الآيتين أعلاه هو العموم والخصوص المطلق ، فلا يختص موضوعها بتعيين جهة القبلة.

كما أن قوله تعالى ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ورد ثلاث مرات في آيات متقاربة ، وهذا التعدد والتقارب من إعجاز القرآن وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَكَ فِيْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لَسَلَايَكُنْ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا

(١) سورة البقرة ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة ١١٥.

(٣) ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥/١.

(٤) سورة البقرة ١٤٤.

(٥) سورة البقرة ١٤٩.

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

وليس فيها لفظ (وجه الله) الذي لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة في الآية الخامسة عشرة بعد المائة من سورة البقرة والتي ورد الخطاب فيها بصيغة الجمع ، وهل هذا الحصر بورود هذا اللفظ مرة واحدة وبصيغة الجمع في الخطاب ﴿فَأَيُّهَا تَوَكَّلُوا﴾ شاهد على عدم نسخ الآية ، ودعوة سماوية للعلماء للقول بأن الآية غير منسوخة ، الجواب نعم. وعلى فرض صحة هذا القول منا ، فمضامين الآية تأديب للعلماء ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي) (٢).

والحديث ضعيف سنداً ولكنه صحيح في موضوعه ، وهو فرع وبيان لآيات القرآن ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣)، وعن الإمام علي عليه السلام (الخلق العظيم أدب القرآن) (٤). ولم يبلغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه المرتبة السامية إلا بتأديب الله عز وجل له ومصاحبة الوحي له ، وقال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٥)، وغيرها من الآيات .

(١) سورة البقرة ١٥٠.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٣٢/١٣.

(٣) سورة ن ٤.

(٤) المحرر الوجيز ٣٩٤/٦.

(٥) سورة آل عمران ١٥٩.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١).

وسئلت عائشة (عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : خلقه القرآن أدبه وأوامره)^(٢).
يحتمل الخطاب في الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ المقصود من (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا) وجوهاً :

الأول : إرادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار .

الثاني : المراد أجيال المسلمين المتعاقبة .

الثالث : المقصود الناس جميعاً ، وقد ورد لفظ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عشرين مرة في القرآن منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).
والوجه الأخير هو المختار.

ليبان أن من معاني وجه الله كفايته للناس في الرزق والسلامة ، فإلى أي جهة وبلدة يتوجه الناس يجدون الرزق ، ويصح الإستقبال مع التحير في تعيينها.

والأمن من عند الله لأن السموات والأرض ملك له سبحانه ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٤) ، ومن الإعجاز مجئ هذه الآية في سورة يوسف للإعجاز في نجاته ثم توليه منصب الوزارة في مصر وهو الغريب عن أهل البلد في شخصه وملته ، وحديث عهد

(١) ابن الجزي / التسهيل لعلوم التنزيل ٢٠٧/٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٣٩٤/٦ .

(٣) سورة البقرة ١٦٨ .

(٤) سورة يوسف ٦٤ .

بالسجن الطويل في ذات البلد وهو مصر الذي يحمل ذات الاسم إلى يومنا هذا ، ولكنه أخذ صبغة الإيمان العامة.

ليكون الإسلام ناسخاً للكفر في السلطنة والحكم من غير قتال يذكر في فتح مصر ، وانتماء الناس العقائدي لتشطر وتتعدد البلدان وتصبح أضعاف ما كانت عليه ببركة الإسلام ، ويرفع فيها جميعاً الأذان خمس مرات في اليوم مستقبليين المسجد الحرام في الصلاة من غير تعارض بينها .

الإشراقات المقصودة في (وجه الله)

من إعجاز القرآن أنه كما ورد لفظ ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ خمس مرات ورد (وجهه) ونسبة الضمير الهاء كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

مع ورود لفظ (وجهه) في القرآن اثنتي عشرة مرة ، منها قوله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

ومن تسليم الوجه لله عز وجل إدراك أن رحمة الله عز وجل معنا أينما كنا ، وإن رحمته ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) ، وجميع الأشياء حاضرة عنده سبحانه.

(١) سورة الأنعام ٥٢.

(٢) سورة البقرة ١١٢.

(٣) سورة الأعراف ٥٦.

كما ورد لفظ ﴿وَجْهَ رَبِّكَ﴾ في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١).

وتوجه الخطاب في الآية أعلاه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويلحق به المسلمون والمسلمات والناس جميعاً ، وذكر الله خصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً ولبيان معجزة وهي بقاء ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس ومشاركته لهم ، ومشاركتهم له في خطاب القرآن ، إلا ما ورد الدليل على الخصوص.

وفي أهل البيت عليهم السلام واطعامهم للأسرى وهم مشركون نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (في حديث طويل يذكر فيه سبب نزول سورة (هل أتى) في أصحاب الكساء عليهم السلام ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ﴾^(٣)، يقول : على شهوتهم للطعام وإيثارهم له "مسكيناً" من مساكين المسلمين "ويتيماً" من يتامى المسلمين "واسيراً" من أسارى المشركين، ويقولون إذا أطعموهم "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً" قال: والله ما قالوا هذا لهم، ولكنهم أضمره في أنفسهم فأخبر الله بأضمارهم، يقولون: لا نريد جزاء تكافؤنا به ولا شكوراً تشنون علينا به، ولكننا إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه)^(٤).

(١) سورة الرحمن ٢٧.

(٢) سورة الانسان ٩.

(٣) سورة الأنسان ٨.

(٤) البحار ٢٢٦/٦٧.

ولماذا جاءت الآية بصيغة المضارع (يطعمون) ولم تقل (اطعموا الطعام) الجواب من جهات :

الأولى : بيان استدامة ملكة الإنفاق والإطعام في سبيل الله من قبل أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام .

الثانية : اتباع أهل البيت ذات النهج الكريم في الإيثار على النفس وكونها ملكة ثابتة عند أهل البيت .

الثالثة : دعوة الآية المسلمين والمسلمات للإقتداء بأهل البيت .

الرابعة : عدم وقوف أصحاب الكساء عن هذا الإنفاق فهم مستمررون على ذات النهج الكريم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١) .

وقال الثعلبي (والوجه والجهة والوجهة : القبلة)^(٢) ، ولكن معناها متعدد من جهات :

الأولى : الموضوع .

الثانية : أحكام الآية التي ورد فيها أحد الألفاظ الثلاثة أعلاه .

الثالثة : التباين اللغوي والصرفي .

الرابعة : موضوعية إعراب الكلمة في ذات الآية .

الخامسة : لحاظ نظم ودلالة الآية ، وقد ورد لفظ وجه الله في القرآن ، وهو أعم من موضوع القبلة .

السادسة : سياق الآيات بخصوص ذات الآية التي ورد فيها لفظ (وجه أو جهة أو الوجهة) .

والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، فمن معاني ﴿ فَأَيْنَمَا تُوْكَفَا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ ﴾^(٣) ، أمور :

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٢٢/١ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

الأول : اتخذوا الدعاء سلاحاً في أي جهة وطلب ومقصد وغاية ، وفي التنزيل ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١) ، قيل (أي يريدونه بالدعاء)^(٢) ، والآية أعم موضوعاً ودلالة .

الثاني : أينما تولوا فاعلموا أن الأرض والسماء كلها ملك لله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) (٤) .

الثالث : عند تعذر تعيين القبلة في الصلاة يصح التوجه إلى أي جهة ، لأنها حالة عرضية طارئة نادراً ما تحدث بالسفر مثلاً وعدم رؤية الشمس والنجوم ، فيكون من مصاديق قاعدة نفي الحرج في الدين ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٥) .

عدم ثبوت نسخ آيات سلم

لقد ذكر في ناسخ القرآن ومنسوخه أن ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٦) ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾^(٧) ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٨) ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾^(٩) ﴿قُلْ قَالَ فِيهِ كَيْبُورٌ وَصَدُّ

(١) سورة الأنعام ٥٢ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٢٢/١ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٤) أنظر الجزء الرابع والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة البقرة ١٨٥ .

(٦) سورة البقرة ٨٣ .

(٧) سورة البقرة ١٣٩ .

(٨) سورة البقرة ١٩٠ .

(٩) سورة البقرة ١٩١ .

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرِهِ»^(١) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) (٣)، نسختها آية السيف (٤).

ولابد من التحقيق والإستقراء في كل آية على نحو مستقل لبيان هل هي منسوخة أو لا .

والمختار أن هذه الآيات رحمة وتخفيف ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥) لبيان أن من مصاديق الرحمة في الآية أعلاه سلامة آيات السلم من النسخ والتبديل .

لقد حفظها الله عز وجل لأجيال المسلمين لينشروا شأيب الرحمة ليكون من معاني الحفظ في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦)، وجوه :

الأول : حفظ آيات السلم في التنزيل .

الثاني : سلامة آيات السلم من النسخ .

الثالث : عدم ورود دليل نبوي على نسخ آيات السلم .

الرابع : عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحكام وسنن آيات السلم .

الخامس : تجلي منافع آيات السلم في المجتمعات ، والإقتصاد وإزدهار التجارة وعمارة أسواق المسلمين وغيرهم .

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

(٣) ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٣/١.

(٤) ناسخ القرآن ومنسوخه ٢٤/١.

(٥) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٦) سورة الحجر ٩.

واجتمعت أعلاه عدة آيات دفعة واحدة والتحقق فيها وفق تسلسل هذا الجزء على وجوه :

الآية التاسعة والعشرون^(١) : ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) ، والآية كالجملة كالجملة الخبرية إذ أنها في نظم آية جاءت بياناً للميثاق الذي أخذه الله عز وجل على بني إسرائيل ، وتتمام الآية ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ (قولوا للناس) في القرآن إلا في الآية أعلاه التي هي ميثاق الله الذي أخذه على بني إسرائيل ، وهل يقبل الميثاق النسخ ، الجواب لا ، ترى أي من أنبياء بني اسرائيل أخذ الله عليهم الميثاق ، وأخذه على بني اسرائيل.

المختار تعدد الميثاق بواسطة عدد من الأنبياء وهو من وجوه تفضيل بني اسرائيل.

وفي سفر اللاويين (٢٦:٤٢) اذكر ميثاقي مع يعقوب و اذكر أيضا ميثاقي مع اسحق و ميثاقي مع ابراهيم^(٤).
وهل انتقلت مضامين هذا الميثاق للمسلمين ورثة الأنبياء ، المختار نعم من غير أن يتعارض مع تعاهد بني إسرائيل لشطر منها ، ومضامين الميثاق التي تذكرها هذه الآية هي :

(١) هذا التقسيم وفق ترتيب الآيات في أجزاء (آيات السلم محكمة غير منسوخة) السابقة.

(٢) سورة البقرة ٨٣.

(٣) سورة البقرة ٨٣.

(٤) موسوعة الكتاب المقدس ٢٣٠/١ .

الأول : التوحيد ، وعدم الشرك بالله لقوله تعالى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(١).

ويلتقي المسلمون وأهل الكتاب بالتوحيد ، وفي خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

لقد حمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لواء التوحيد ودعا الناس جميعاً إليه ، وفي التنزيل ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾^(٣). وفي كتاب العهد القديم (واذكر يا رب ميثاقك و اجعل الكلام في في وثبت مشورة قلبي ليثبت بيتك في قدسك ، فيعرف جميع الأمم انك انت الإله وليس آخر سواك)^(٤).

وتقدير الآية : يا بني إسرائيل قولوا للناس حسناً ، وهو شعبة من ميثاق أخذه الله عز وجل على بني اسرائيل .
وتقديرها : يا أيها الذين آمنوا قولوا للناس حسناً.

الثاني : الإحسان إلى الوالدين ، لبيان مجئ الرسالات السماوية السابقة ببر الوالدين والإحسان لهما واللفظ بهما ، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة ٨٣.

(٢) سورة آل عمران ٦٤.

(٣) سورة هود ٢.

(٤) موسوعة الكتاب المقدس ٣٧٥/٢ .

(٥) سورة العنكبوت ٨.

بر الوالدين

لقد ورد لفظ (بالوالدين إحساناً) أربع مرات في القرآن ، واحدة في ميثاق بني إسرائيل ، وثلاثة خاصة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها خطاب من الله عز وجل له ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفُظَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْ لَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١).

ليان إتحاد سنخية الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على الأنبياء وأمم المؤمنين ، وورد ميثاق بني إسرائيل ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أما الآية أعلاه فتضمنت التفصيل ووجوب بر الوالدين وعدم قول أف لأي منهما مما يدل بالأولية القطعية على حرمة شتمهما أو إيذائهما أو إسماعهما كلمة تؤذيها أو تسيئ إليهما ، والتأفيف أدنى مراتب السوء .

ومن معاني ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تزجرهما ، ولا تنفض يدك على والديك وساق الثعلبي حديثاً من غير اسناد قال (قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن أبوي بلغا من الكبر أني أوليها ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما ، قال صلى الله عليه وآله : لا فإنهما كانا يفعلان لك وهما يجبان بقاءك وأنت تفعل وأنت تريد موتهما)^(٢).

ولا دليل على هذا المعنى ، ولا يرمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يريد موت أبويه من غير بينة ودليل أو وحي ، خاصة وأن المدار على عالم الفعل وبر الوالدين واقعاً وليس الكيفية النفسانية.

(١) سورة الاسراء ٢٣-٢٤.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١١/٨ .

وقد وردت بعض الأخبار بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يرجح بر الوالدين على الجهاد .

وعن (عبد الله بن عمرو بن العاص قال أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابايعك على الهجرة أو الجهاد أبتغي الأجر من الله قال فهل من والدك احد حى ؟

قال نعم بل كلاهما قال فتبتغي الأجر من الله ، قال نعم قال فارجع إلى والدك فأحسن صحبتهما^(١) .

و(عن أبي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هل بقي عليّ من برّ أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال : نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك بعد موتهما من برهما)^(٢) .

أفراد الميثاق الأخرى

والثالث من بنود الميثاق الإحسان لذي القربى ، إذ أمرت آية الميثاق بني إسرائيل ، بالإحسان إلى ذوي القربى .
فإن قلت حتى وإن كانوا مسلمين دخلوا الإسلام ابتداءً أو ورثوه من آبائهم ، الجواب نعم لأصالة الإطلاق ، وبالمقابل فإن أم المؤمنين صفية بنت حي بن أخطب كانت تصل بعض ذوي قرباها من اليهود في المدينة حتى بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى مما يدل على عدم خلو المدينة من اليهود .

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٢٦/٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦٦/٥ .

الرابع : اللطف والرفق باليتامى ، وورد الخطاب لبني إسرائيل مطلقاً ويشمل الإحسان لعموم اليتامى سواء كانوا منهم أو من أهل ملة غيرهم .

الخامس : الرأفة بالمساكين ، وإعانتهم سواء من بني إسرائيل أو من غيرهم .

السادس : الكلام الحسن مع الناس ، وهل قوله تعالى ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، مصاحب لأتباع الملل السماوية ، الجواب نعم .

والآية كناية عن حسن العشرة مع الناس المسلم واليهودي والنصراني والكافر .

والآية مقدمة لعدم إيذاء بني إسرائيل لعيسى وأمه عليهما السلام .

وهل هي دعوة لدخول الإسلام وعدم السخرية أو الاستهزاء بالتنزيل أو صحابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، ترى ما هي النسبة بين مكارم الأخلاق والقول الحسن للناس ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فمكارم الأخلاق أعم لذا فإن الآية تدعو بني إسرائيل والمسلمين والناس جميعاً إلى مكارم الأخلاق ، وفي الشاء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .



(١) سورة البقرة ٨٣ .

(٢) سورة ن ٤ .

وجوب الصلاة على الأمم السابقة

من أفراد ميثاق بني إسرائيل إقامة الصلاة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١) ، وأول من أدى الصلاة هو هو آدم عليه السلام وحواء وتوارثها الأنبياء بالوحي والتنزيل فلم تكن هذه الوراثة على نحو القضية الشخصية ، كما في حال الملكية أو العادات والأخلاق والعرف ، إنما ينزل الأمر بالصلاة على النبي اللاحق مثلما نزل على النبي السابق.

ويكون الأمر إلى الأنبياء شاملاً لأجمعهم وأتباعهم وأنصارهم ، لتقدم خلافة الإنسان في الأرض بالصلاة التي هي عنوان عبادة الناس لله عز وجل.

وقد جاءت الآية بصيغة الأمر العام إلى بني إسرائيل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) ، والآية إنحلالية ، وكل فرد من بني إسرائيل ذكراً أو أنثى يجب أن يقيم الصلاة لأن الأمر في المقام يدل على الوجوب ، ومع موضوعية الصلاة في ميزان الأعمال فقد تقدم عليهما الأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين ، وأن يقولوا للناس ما هو حسن ومعاشرتهم باللطف والإحسان والتسامح والتراحم .

وتصديق بعثة الأنبياء اللاحقين لموسى عليه السلام ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر السماوي بالصلاة لأنه فرع العبادة ومرآة لها.

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة البقرة ٨٣.

فتآخرها هنا لأن ذكر التوحيد والعبادة أول الآية دعوة للتقيد بها كما ورد الخطاب لبني اسرائيل في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١).

والنسبة بين الآيتين من جهة إقامة الصلاة العموم والخصوص المطلق ، إذ قيدت الآية أعلاه الصلاة بوجوب الركوع فيها ، والتقيد بصلاة الجماعة ، والمنع من إختصار الصلاة أو اسقاط بعض أركانها وواجباتها .

وفيه إشارة إلى اللحق بالمسلمين في صلاتهم ، وأن الصلاة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي التي أمر بها الله عز وجل الأنبياء وأممهم ، مع تقييد إقامة الصلاة بأداء الزكاة .

ومن أركانها الركوع ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) ، ولم يرد لفظ الرাকعين في القرآن إلا في الآية أعلاه ، كما أنه ورد مرة واحدة بصيغة الرفع في الثناء على المؤمنين بقوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وورد خطاباً خاصاً بالوحي إلى الرسول موسى عليه السلام وأخيه النبي هارون وعامة بني اسرائيل في زمانهم والأزمة اللاحقة بقوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنِ تَبَوَّأْ لِقَوْمِكَ مِمَّنْ بِمِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَجْعَلُوا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ قُلُوبًا وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٤٣ .

(٢) سورة الحج ٧٧ .

(٣) سورة التوبة ١١٢ .

(٤) سورة يونس ٨٧ .

وجوب الصلاة على المسلمين

ورد قوله تعالى ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ خطاباً للمسلمين في آيات متعددة منها ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٢)، ومنها ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣).

واقترن الأمر باقامة الصلاة بوجوب طاعة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه سبيل للرحمة ونزول البركة والعفو من عند الله عز وجل ، إذ قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥)، وفي آية النجوى الناسخة بقوله تعالى

(١) سورة البقرة ١١٠.

(٢) سورة النساء ٧٧.

(٣) سورة الحج ٧٨.

(٤) سورة النور ٥٦.

(٥) سورة الروم ٣١.

﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تُفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ليان نسخ وسقوط الصدقة كمقدمة عند مناجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الصلاة بمقدماتها وشروطها لا تسقط أبداً عن أي فرد من المسلمين رجلاً أو امرأة.

واقترن الأمر بالصلاة مع قراءة ما تيسر من القرآن ، ومنه القراءة الواجبة في الصلاة ، قال تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وهل أداء الصلاة اليومية من القرض مع الله أم أنها واجب والقدر المتيقن من القرض هو المستحب والإحسان إلى الناس ، المختار هو الأول .

قانون فرض الزكاة رحمة عامة

في خطابات آية الميثاق المتقدمة لبني إسرائيل^(٣) قوله تعالى ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ لبيان قانون التكافل الاجتماعي بين المؤمنين في كل الأزمنة ، وقد يقول بعض الأغنياء المسلمين هل فرض الزكاة علينا على نحو الخصوص .

فيأتي الجواب الإبتدائي من عند الله بأن الله عز وجل فرض الزكاة على الأمم السابقة أيضاً .

(١) سورة المجادلة ١٣.

(٢) سورة الزمل ٢٠.

(٣) انظر سورة البقرة ٨٣.

وليكون من وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر القرآن جهات :

الأولى : تلقي الأمر الإلهي بدفع الزكاة لمستحقيها كما تلقاه الأنبياء السابقون .

الثانية : توثيق القرآن لأمر الله عز وجل للأنبياء وأمرهم بدفع الزكاة .

الثالثة : الإطلاق وعدم الإستثناء في دفع الزكاة لمن تجب عليه واجتمعت عنده شروطها .

الرابعة : تعاهد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إخراج الزكاة ، وحتى الذي ليس عنده نصاب يستلزم الزكاة فإنه يدرك وجوبها ، ويؤمن بها ، ويرصد نفسه وحاله كل سنة هل تجب عليه أو لا .

الخامسة : تشريع زكاة الفطر وهي مبلغ زهيد يخرج به المسلم عن نفسه وعياله بمقدار صاع من الطعام عن كل فرد منهم أي نحو ثلاثة كيلو غرام ، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(١) ، ومن منافع زكاة الفطر مسائل :

الأولى : تذكير المسلمين والمسلمات بوجوب الزكاة .

الثانية : تحقق المصداق العام لقوله تعالى ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ والفوز الخاص والعام بثواب دفع الزكاة فلا يمر العام على المسلم إلا وقد دفع الزكاة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) .

الثالثة : صدق مسمى الغنى والسعة عند المسلمين .

(١) سورة الأعلى ١٤-١٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٧ .

الرابعة : الشهادة على التاريخ بأن المسلمين ورثة الأنبياء في إقامة الصلاة وإتيان الزكاة .

الخامسة : تنمية ملكة دفع الزكاة عند المسلمين .

السادسة : تجلي قانون اليسر والتسهيل في دفع الزكاة .

السابعة : قانون البركة والعوض على دفع الزكاة .

وتبين الآية قانوناً وهو تذكير القرآن لبني إسرائيل بميثاق الله عليهم بإقامة الصلاة ، وإتيان الزكاة في القرآن شاهد على أن القرآن ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

وأختتمت الآية بقوله تعالى ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ الْإِقْلِيلَ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٢) وهذه الخاتمة من إعجاز القرآن في بيان حال بني إسرائيل بالنسبة لإستحضار وجود أمة منهم يحفظون الميثاق ، ويقرون بفرائده التي وردت في هذه الآية الكريمة ، وأنها موافقة لبنود الميثاق الذي ورثوه عن أنبيائهم ، لبيان قانون تجديد الملل السماوية بالقرآن بالتذكير بأحكامها ، ولزوم عدم نسيانها أو الإعراض عنها .

وتتضمن خاتمة الآية في مفهومها الثناء على المسلمين لأنهم تعاهدوا بنود الميثاق الذي جاء بها الأنبياء ، فقد وردت مضامين هذه الآية بصيغة الوجوب على المسلمين في آيات متعددة ، كما أكد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سنته عليها .

قانون المنافع الآنية لنزول الآية القرآنية

في مقابل علم أسباب النزول نؤسس علماً هو المنافع الآنية لنزول الآية القرآنية ، فمن إعجاز القرآن حصول نتائج ومنافع متعددة للآية القرآنية حال نزولها ، وتتجلى فوائد هذا العلم من جهات :
الأولى : موضوعية الآية القرآنية في الوقائع والأحداث .

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة البقرة ٨٣ .

الثانية : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للآية القرآنية حال نزول جبرئيل بها .

الثالثة : من إعجاز الآية القرآنية دعوتها الناس للعمل بها ، وإجتنب ما تنهى عنه .

الرابعة : الصلة الموضوعية بين آيات القرآن ، ومنها التداخل بين آيات الأوامر والنواهي وآيات الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

الخامسة : قانون فقاهاة المسلمين بالمبادرة للعمل بالآية القرآنية. وعن عبد الرحمن السلمي أن الصحابة الذين كانوا يعلمونهم القرآن إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبين لأصحابه تفسير آيات القرآن وعلومها مستقراً من الآية القرآنية تكون مفاتيح بيد العلماء للنهل من خزائن القرآن.

السادسة : هل من المنافع الآتية لنزول الآية القرآنية تثبيت السلم في الأرض ، الجواب نعم ، فمن خصائص نزول الآية القرآنية بعث السكينة والطمأنينة في القلوب ، وإشاعة مفاهيم الرأفة والتراحم بين الناس.

السابعة : إمتثال المسلمين والمسلمات للعمل بمضامين الآية القرآنية .

الثامنة : قيام المسلمين بنشر الآية القرآنية والإخبار عنها حال نزولها ، خاصة وأن الصحابة يسألون كل يوم : هل نزل قرآن هذا اليوم ، ومنهم من كان يلزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لساعات وهو يرجو رؤيته أثناء نزول الوحي والتنزيل عليه إذ كان يتصبب عرقاً في اليوم شديد البرودة ، قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

إن إشغال المسلمين بآيات القرآن نزولاً وتدبراً وتفسيراً عنوان إرادتهم السلام وتعاهدهم للسلم .

التاسعة : تجلي مصداق حفظ القرآن وسلامته من التحريف والزيادة والنقيصة بتلاقف المسلمين للآية القرآنية حال نزولها ، وجعلها موضوع اللقاء والإجماع بينهم ، فهي الإنس والصاحب المبارك .

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٥- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي
- ٦- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٧- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .
- ٨- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٩- سعادة سفير العراق في الفاتيكان
- ١٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة دمشق .
- ١١- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية
- ١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١٤- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٩- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية / بيروت.
- ٢٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥
٨ / ٤ / ٢٠٠٨

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
محمدهاوي
(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ.د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد العجومي
مستشار الأمين العام





جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في
٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالغ الإعزاز إهداءكم نسخة من كتابكم
الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع
والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام
الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢٠

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مستشارية الأمن القومي

بسم الله الرحمن الرحيم

كوت ماري عمارا
 كازي كاي بالاي نينيجادي
 القصة ١٠٠ / ماسك / ٨٦٥
 الساتنج ١٨٢ / ٥٨٢



جمهورية العراق
 المحكمة الاتحادية العليا
 مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتزاز إهداءكم القيم (الجزء الرابع
 والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن،
 وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .
 ونقدم شكرنا وتقديرنا .

القاضي
 جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠٢٢/٥/ ١٤



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب



العدد /

التاريخ / ٢٠١٩ / ١ / ٨

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

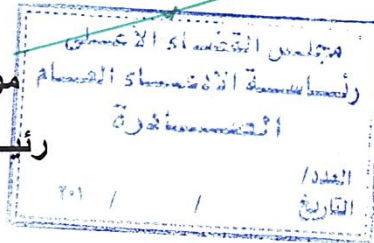
استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.
مع التقدير.

القاضي

موفق محمود محمد صالح

رئيس الادعاء العام

٢٠١٩/١/ ٨



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
التَّائِبِ لِنِجَامِيَّةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اِتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْأَمْنَةُ الْعَالَمَةُ

العدد : ٨٩ / ث
التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء
تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتراز اهداءكم لنا الجزء الواحد
والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير
منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات
متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم اقرأ أو
اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز
عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من
امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم
المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري
الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج
الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي
التميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



المخلص
الأستاذ الدكتور محمد جاسم المصدهاني
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والفترات العلمية للدراسات العليا



سفارة جمهورية العراق
باليوزخه ————— انهى كؤمـارى عىـراق
EMBASSY OF THE REPUBLIC OF IRAQ



العدد: 195 / 2/7
التاريخ: 2022/4/5

الفاتيكان
HOLY SEE

الى /مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ صالح الطائي م/ تأكيد استلام كتب

نرفق اليكم المذكرة الشفوية الواردة الينا من سكرتارية دولة
حاضرة الفاتيكان بالعدد 555.389 المؤرخة في 2022/4/14
المتضمنة تأكيدها استلام هدية مكتب المرجع الطائي المكونة من
خمس أجزاء من تفسيره (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ورسالة
تعريفية بالعدد 22/2 المؤرخة في 2202/1/2 المرسله اليهم رفقة
المذكرة الشفوية لسفارتنا بالعدد 7/2/15 في 2202/1/7
يرجى التفضل بالإطلاع ... مع التقدير

السفير
رحمن فرحان العامري
2022/4/5





الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

رئيس جامعة دمشق

٢٠٥٧ / ٢٢

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب احسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أتقدم اليكم بجزيل الشكر والتقدير لهديتكم القيمة الجزء
الحادي عشر بعد المائتين الخاص بقانون (آيات السلم محكمة
غير منسوخة).

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية والمزيد
من النجاح والتوفيق ، نبارك لكم جهودكم ونقدر لكم هذا
الإهداء...

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين

٢٥ نبذة ٢٠٢١ ١٢ رمضان ١٤٤٢

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى

مكتب رئيس الجامعة

العدد ١٧١

No.:

Date:

التاريخ ٢٠٢٠ / ١١ / ٥

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

استاذ الفقه والاصول والتفسير والاخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان إهداءكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء السادس
بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، لأدعو الله العلي القدير أن
يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح أنه سميع مجيب
ومن الله التوفيق



أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٠/١١/٤



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

الموقر

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتاريخ
٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في
تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها، سائلاً المولى جلت قدرته للجميع التوفيق
والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

كتب المدير
Vice Chancellor Office

المرءة: ج ك/م/ ١٧/ح/ ٣
التاريخ: ... 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦٠ / ١٥٢
التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
الملاحظات:
الملاحظات:



الجمهورية العربية السورية
وزارة الشؤون الإسلامية
الجامعة الإسلامية
مكتب المدير
(٠٣٣)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

ولأني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basra University

Dept. of Media & Public
Relations



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم الإعلام والعلاقات العامة

العدد: ٢٩/٣١/٢٠١٤

التاريخ: ٢٩/٣/٢٠١٤

الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم

مدير مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

نهديكم أطيب التحيات ...

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والتقدير على جهودكم المبذولة
في إهدائكم إيانا نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير
القرآن/ الجزء الواحد بعد المائة) متمنين لكم المزيد من
التقدم والنجاح.

تفضلوا بقبول وافر الاحترام ...

الأستاذ الدكتور

ثامر احمد حمدان

رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

Date:

العدد: ٢٤١ / ٢٠١٥

التاريخ: ٢٠١٥ / ٢ / ٢٠

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير
وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم
متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.
... مع التقدير

٢
١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ٨١٦٠:٨١٦٩ / ١٤٤٢ هـ

التاريخ ١٤٤٢ هـ

الموافق ١٤٤٢ هـ

سبادة الأُمّ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)
تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في
الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم
هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن
يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم
والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ ربيع الأول/ ١٤٤٠هـ

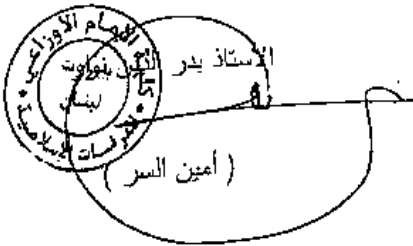
الموافق ٢٤/ ١١/ ٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قمتلينة نڤ: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قمتلينة

رقم 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

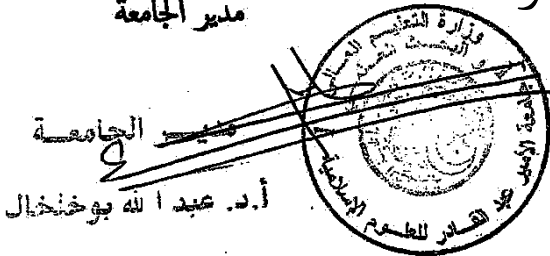
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



طبيب الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٥٦	بحث منطقي
١٤	سنة النبي (ص) القرآنية	٥٦	المبحث الأول : المقدمة
٢٢	السنة التدوينية	٥٨	المبحث الثاني : مبحث الألفاظ
٢٣	السنة الدفاعية	٥٩	المبحث الثالث : التصورات
٢٦	قانون السنة الدفاعية مقدمة للسلم	٦١	المبحث الرابع : التصديقات
٢٨	قانون المنافع المتجددة للسنة الدفاعية	٦٢	الأولى : القضية الحملية
٣٠	علم التاريخ في القرآن	٦٣	الثانية : القضية الشرطية
٣٢	النسبة بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية	٦٣	قانون سلامة القرآن من الزيادة والنقصان
٣٦	مادة الإفتراق بين المعجزة الحسية والعقلية	٦٥	المعجزة شاهد سلامة القرآن من التحريف
٣٨	النص والظاهر والمجمل	٦٦	خصائص آيات (قل)
٤٣	قانون تعدد معاني اللفظ القرآني	٦٩	آيات الصيام سلام متجدد
٤٥	مبحث المؤول	٧٢	قانون آية الأهلة سلام
٤٦	الإنفراد بالمعجزة العقلية	٧٦	من رشحات قانون الإستعانة
٤٨	قانون المعجزة الحسية فرع المعجزة العقلية	٨٠	قانون الإستعانة بالصلاة
٥٢	قانون حضور الخلافة في الآخرة	٨٢	قانون الصبر على السلم

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٥	قانون الإستعانة بالصبر في الحديبية	١٣٤	قانون الإحتجاج في ميدان القتال سلم
٨٩	من آيات السلم	١٣٦	قانون الإحتجاج صرف عن القتال
٩١	اقسام النسخ	١٣٨	قانون البرهان أمضى من الجدال
٩٤	النسبة بين النسخ والإستثناء	١٣٩	قانون منافع ذم الشرك
٩٨	الإختلاف بين النسخ والإستثناء	١٤١	لماذا لم يقع قتال قبل الهجرة
١٠٠	قانون جواز النسخ	١٤٤	معجزة سلامة النبي (ص) من القتل
١٠٢	بحث كلامي	١٤٦	قانون أسواق مكة مناسبة للدعوة السلمية
١٠٦	تقدير ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾	١٤٩	الآية العشرون: ١٩٠ سورة البقرة
١٠٨	أحاديث العرض سلام	١٥٦	الآية الواحدة والعشرون ١٥٩ سورة البقرة
١١١	بين نسخ الشرائع والأحكام	١٥٧	الآية الثانية والعشرون ٣ سورة الأنفال
١١٤	جدول بالآيات التي قيل بنسخها بآية السيف	١٦٠	الآية الثالثة والعشرون ١١٥ سورة البقرة
١٣٠	الآية التاسعة عشرة : ١٣٩ سورة البقرة	١٦٢	دلالات آيات القبلة
١٣٢	مفردات آية ﴿وَلَنَّا أَعْمَالُنَا﴾	١٦٦	تعدد ذكر (وجه الله) في القرآن

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٩	نسخ القبله سلام	٢٠١	الآية الخامسة والعشرون ١٩١ سورة البقرة
١٧٠	الآية الرابعة والعشرون ١٥٨ سورة البقرة	٢٠٢	عدم تقيد المشركين بالعقد الإجماعي
١٧٢	في رحاب الصفا والمروة	٢٠٤	أسباب نزول (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ)
١٧٤	كيفية حج رسول الله (ص)	٢٠٦	آية (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ) غير منسوخة
١٧٨	ذات الصفا والمروة من الشعائر	٢١٠	مسائل في آية (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ)
١٨٢	قانون ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ مطلق	٢١٢	إخراج المسلمين من الديار فتنة
١٨٣	قانون الجامع لآيات القرآن نفي لنسخ آيات السلم	٢١٤	الأمر بالإخراج بعد القتل سلام
١٨٦	صلة الخلافة بـ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾	٢١٦	من معاني الفتنة
١٨٨	عمومات (لَا تَعْتَدُوا)	٢١٩	قانون إخوة الإيمان في الدنيا والآخرة
١٨٩	(لَا تَعْتَدُوا) محكم غير منسوخ	٢٢٢	التفسير بالتقدير
١٩١	النسبة بين أول وآخر آية ﴿وَقَاتِلُوا﴾	٢٢٦	الآية السادسة والعشرون ٢١٧ سورة البقرة
١٩٤	قانون بغض الله للمعتدين	٢٣١	قانون بيعه العقبة معجزة
١٩٧	هل نسخت آية السيف (لَا تَعْتَدُوا)	٢٣٣	محاصرة قريش للدعوة
١٩٩	قانون سعي النبي (ص) للسلم حتى في الميدان	٢٣٤	قانون ولاية قريش للبيت

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٧	قانون آية القتال سلام دائم	٢٦٠	كتاب النبي (ص) إلى كسرى
٢٤٠	قانون آيات القتال بمعنى الدفاع المحض	٢٦٣	الفرق بين المعجزة الحسية والعقلية
٢٤٢	النسبة بين القتال والدفاع	٢٦٤	مادة الإلتقاء بين المعجزة الحسية والعقلية
٢٤٣	تفسير آيات القتال لبعضها بالدفاع	٢٦٦	النبي صالح ونسب العرب
٢٤٧	السنة مانع من القتال الإبتدائي	٢٦٩	مادة الإفتراق بين المعجزة الحسية والعقلية
٢٤٩	الأعمش	٢٧١	بلوغ آيات القرآن الشام وطوائف اليهود ونصارى نجران
٢٥٠	في كتابة الوحي	٢٧٥	آيات يكتمون
٢٥٢	قانون عموم التبليغ والدعوة	٢٧٧	الآية السابعة والعشرون ١١٥ سورة النحل
٢٥٣	من قوانين الدعوة	٢٨٠	الآية الثامنة والعشرون ١١٥ سورة البقرة
٢٥٥	قانون السنة التدوينية فرع آية التبليغ	٢٨٣	الإشراقات المقصودة في (وجه الله)
٢٥٦	الصلاة أكثر الفرائض أداء	٢٨٦	عدم ثبوت نسخ آيات سلم
٢٥٩	كتب النبي (ص) إلى الملوك سلام وموادعة	٢٨٨	الآية التاسعة والعشرون ٨٣ سورة البقرة

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
--------	---------	--------	---------

قانون فرض الزكاة رحمة عامة	٢٩٦	بر الوالدين	٢٩٠
قانون المنافع الآتية لنزول الآية القرآنية	٢٩٨	أفراد الميثاق الأخرى	٢٩١
ردود كريمة	٣٠١	وجوب الصلاة على الأمم السابقة	٢٩٣
الفهرس	٣٢٢	وجوب الصلاة على المسلمين	٢٩٥

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٤٠٤ لسنة ٢٠٢٢

طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دَرَعِ الْفَيَاضِ